
أحمد صدقي الدجاني
رؤى مستقبلية
عربية
للثمانينات
198?

رؤى مستقبلية عربية للثمانينات

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمود دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

دار الجليل للنشر - عمان

ص.ب: ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧

تلكس: ٢٣٠٣١

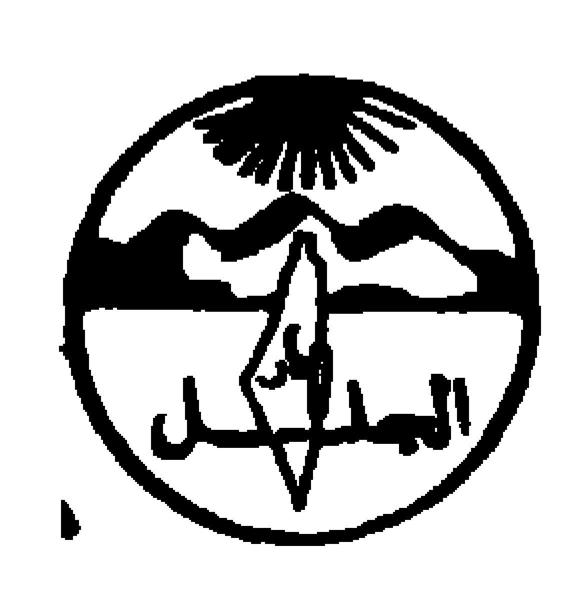
الطبعة الاولى

١٩٨٣ - ١٤٠٣

احمد صدقي الدجاني

رؤى مستقبلية عربية للثمانينات

- مسيرة شعب فلسطين ا لعربي
- الحوار العربي الاوروبي
- دور مصر العربي
- الولايات المتحدة وفلسطين



دار الجليل للنشر ـ عمان

الاهـــداء

الى اولادي

مقدمة

يضم هذا الكتاب بين دفتيه اربع دراسات مستقبلية كتبتها بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٢م. وقد وافق بدء عقد الثمانينات من القرن العشرين الميلادي بداية قرن هجري جديد هو القرن الخامس عشر الهجري، فأوحت هذه المناسبة الزمنية بوقفة يتم فيها استشراف آفاق المستقبل. وهكذا تردد الحديث عن رؤى في الثمانينات، وانشغلت بكتابة هذه الدراسات مستجيبا لدعوات كريمة وجهتها لي مراكز علمية احترمها واقدرها.

كنت قد بدأت التخصص في الدراسة المستقبلية قبل تسع سنوات حين عكفت على كتابة كتابي «ماذا بعد حرب رمضان؟ فلسطين والوطن العربي في عالم الغد.» في اعقاب حرب رمضان ـ تشرين الاول ١٩٧٣م. وقد كتبت يومها عن الدراسة المستقبلية «انها تتناول حديث المستقبل بعد ان تمهد له بحديث الحاضر والماضي. وما اوثق الصلة بين الدراسة التاريخية والدراسة المستقبلية. فكلتاهما رحلة عبر الزمان الذي يميز الانسان عن غيره من المخلوقات بادراكه. وقد شعرت

باهمية دراسة المستقبل بصورة خاصة من خلال تخصصي في التاريخ المعاصر وتدريسي له. ووضح لي الحاح حاجتنا كعرب في طور انبعاثنا الجديد الى الدراسات المستقبلية التي ستساهم في بناء عقلية علمية جديدة للانسان العربي تنطوي على الريادة والاستطلاع وتتصف بالعالمية والمرونة. ويمكننا ان نلاحظ مدى انتشار دراسات المستقبل عند الأمم المتقدمة، وبعض هذه الدراسات يختص بنا وبوطننا، في حين اننا ما زلنا في اول الطريق. وعلينا ان نتابع جهود مفكرينا العرب الذين كان لهم فضل الريادة في الدراسات المستقبلية».

قلت ايضا انذاك «ان الحاجة الى استشراف آفاق المستقبل واستشفاف كنه ما سيأتي، هي حاجة انسانية تشتد في فترات معينة، وهي تلح في طرح سؤال ماذا بعد؟ وتفرض محاولة الاجابة عليه».

لقد نما الاهتمام بالدراسة المستقبلية في وطننا العربي خلال تلك السنوات التسع، وزاد انشغالي بها فادخلتها ضمن المنهج الذي ادرسه لطلابي حول القضايا العربية المعاصرة، واستجبت للمشاركة في ندوات تتناول موضوعات مختلفة برؤية مستقبلية.

وقفت طويلا امام مصطلح «الرؤية المستقبلية»، رجعت الى المعاجم والى بعض كتابات الاقدمين حول الرؤية والرؤيا. اعدت قراءة ما اورده شيخنا ابن خلدون في المقدمة السادسة من مقدمته، وهي «في أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة او بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا». وجدته يعرف الانسان بأنه «صاحب الفكر والروية» في معرض حديثه عن تدريج التكوين. ووجدته يتحدث عن «تشوف الامور المستقبله» في معرض حديثه عن الرؤيا التي يقول عنها «وأما الرؤيا فحقيقتها مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية

لمحة من صور الواقعات». ووجدته يتحدث عن «العرافين» كمثل لاشخاص يوجدون في النوع الانساني «يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس، ولا يرجعون في ذلك الى صناعة، ولا يستدلون عليه باثر من النجوم ولا غيرها، انما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها.» ووجدته يتحدث عن «مقدمة في ان النفس الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب». وهناك «نوعان من الادراك، ادراك بالآت الجسم تؤديه اليها المدارك البدنية.. او بالرياضة مثل اهل الكشف من الصوفية.» ويورد فقرة «عن زعم بعض الناس ان هنا مدارك للغيب، من دون غيبة عن الحس» يتحدث فيها عن المنجمين، والخاطين بالرمل، والقائلين بحساب التيم «وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة الى برهان وتحقيق».

لم يتحدث ابن خلدون في هذا الفصل عن الدراسات المستقبلية العلمية. ولكنه كان قد تحدث في مطلع مقدمته عن «علم التاريخ» الذي هو والد «علم المستقبل» فعرفه تعريفا شاملا تناول ظاهره وباطنه الذي هو «نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق، فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق، وجدير بان يعد في علومها خليق». وواضح ان هذا هو الاساس الذي تقوم عليه دراسة المستقبل وتنطلق منه الى الوفاء بمهمتها في تشوف ما هو قادم وطرح الاحتمالات والايحاء بما ينبغي عمله. وواضح ايضا ان ما فعله ابن خلدون في مقدمته هو تطبيق عملي لمنهج علمي في التعامل مع التاريخ او مع حديث الحاضر والماضي في الدراسة المستقبلية الذي يمكن من تحديد مجرى حركة الاحداث والاحاطة بالظروف التي جرت فيها.

راجعت المعاجم لتحديد مفهوم «الرؤية» بدقة فوجدت انها «النظر بالعين والقلب» «والنظر بالعين والعقل» «وادراك المرئي» بطرق عدة. اما «الرؤيا» فما «رأيته في منامك» وتجمع «الرؤية» و «الرؤيا» على «رؤى». وقد حدد الراغب الاصبهاني في «المفردات في غريب القرآن» طرق ادراك المرئي فقال« الاول: بالحاسة وما يجري مجراها نحو قوله تعالى «لترون الجحيم، ثم لترونها عين اليقين». . والثاني: بالوهم والتخيل نحو قوله تعالى «ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا». . والثالث: بالتفكر نحو قوله تعالى «اني ارى ما لا ترون». والرابع: بالعقل وعلى ذلك قوله تعالى «ما كذب الفؤاد ما رأى». ورأى اذا عدي الى مفعولين اقتضى معنى العلم نحو قوله تعالى «ويرى الذين اوتوا العلم» «ان ترن انا اقل منك مالا وولدا»

لقد اوردت هذه الطرق الاربعة لانها تدخل جميعها في الدراسة المستقبلية. ومن هنا اطمأننت الى الاسم الذي اخترته لهذا الكتاب «رؤى مستقبلية عربية للثمانينات».

كتبت دراستي عن مسيرة الشعب الفلسطيني وآفاق الصراع العربي الاسرائيلي في الثمانينات «بطلب من مؤسسة الدراسات الفلسطينية في صيف عام ١٩٨٠، والقيتها كمحاضرة في شهر تموز (يوليو) في اطار سلسلة الندوات التي اقامتها المؤسسة حول موضوع «آفاق الصراع العربي - الصهيوني في الثمانينات». ونشرت الجزء الاول منها في مجلة «شؤون فلسطينية» العدد ١٠٥. وقد صدرت عن المؤسسة في كراس رقم ١٥ من اوراقها.

كتب دراستي «اضواء على المرحلة الراهنة بطلب من مجلة شؤون عربية ونشر في عددها الرابع حزيران/ يونيو ١٩٨١م. وكانت هذه الدراسة بمثابة تمهيد لدراستي عن مستقبل الحوار العربي الاوروبي التي قدمتها لندوة «جامعة الدول العربية: الواقع

والطموح» التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في تونس خلال الفترة بين ٢٨ نيسان/ ابريل و ٢ / مايو ١٩٨٢ . وقد رأيت ان انشرهما معا كدراستين متكاملتين . وهما تكملان ما كتبته عن «الحوار العربي الاوروبي» منذ عام ١٩٧٥ ونشرته في كتابي «الحوار العربي الاوروبي، وجهة نظر عربية» الذي صدر عام ١٩٧٦ ، ومنظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الاوروبي» الذي صدر عام ١٩٨٠ .

كتبت دراستي «آفاق دور مصر العربي في الثمانينات» للندوة التي نظمها مركز الابحاث العربية عن مصر والوطن العربي في الثمانينات في كانون اول / ديسمبر ١٩٨٢ بلندن . وقد عرضتها في ختام بحوث الندوة .

وكتبت دراستي «الولايات المتحدة ودولة فلسطين واستتباب السلام العادل» بمناسبة دعوة «مجلس العلاقات الخارجية» في نيويورك لي لالقاء محاضرة عن قضية فلسطين . وقد القيت موجزا لهذه الدراسة في المجلس يوم ٢ كانون اول / ديسمبر ١٩٨٢ .

اهديت الكتاب الى اولادي، وهم يشملون طلابي وابنائي، ومريدين شبابا اتاحوا لي فرصة تواصل الاجيال من خلال الصحبة والحوار . رمزا لجيل شبابنا الذين على اكتافهم تقع مسؤولية صنع مستقبلنا .

بقي أن اسأل الله التوفيق والصدق في القول والاخلاص في العمل .

احمد صدقي الدجاني

مصر الجديدة في ١/ ١/ ١٩٨٣م
١٧ ربيع الاول ١٤٠٣هـ

مسـيرة شعب فلسطين العربي وآفاق الصراع العربي الاسرائيلي في الثمانينات

ماذا نرى في آفـاق الصـراع العـربي ـ الاسرائيلي خلال ثمانينات القرن العشرين؟

كيف ستكون مسيرة الشعب الفلسطيني وسط امته العربية، وهو ينـاضـل من اجـل تحريـر وطنـه في هذا العقـد من السنـين؟ اي شوط ستقطعـه هذه المسـيرة؟ ما هي التحـديـات التي ستـواجههـا، وما هي القضايا التي ينبغي التصدي لمعالجتها؟

ان تعـاملنـا مع بعـد الـزمان في هذا البحث، يذكرنا بأن شعب فلسطـين يدخـل مع الثـمانينـات القـرن الثـاني في مواجهتـه للغـزوة الصهيـونيـة، التي استهـدفت وطنـه حيث بدت تبـاشيرها واضحة مع الموجة الاولى للتهجير الصهيوني عام ١٨٨٢. كما نذكر ان اكثر من ستة عقـود مضت على صدور تصـريـح بلفـور عام ١٩١٧، واكثر من ثلاثة عقود مضت على قيام دولة اسرائيل بقرار دولي. ونشير الى اننا نعيش العقـد الثـاني في المرحلة الـراهنـة من النضـال الفلسطيني الذي تقوده منظمـة التحـريـر الفلسطينيـة، والى ان منطقتنـا العـربيـة دخلت قرنا هجريا جديدا هو القرن الخامس عشر.

نستشعر الحاجة، ونحن في صدد البحث في رؤية مستقبلية، ان نطرح بايجاز فهمنا لحديث المستقبل ومنهجنا في الدراسة المستقبلية. ان حديث المستقبل يلبي حاجة انسانية في استشراف آفاق الغد، واستشفاف كنه ما سيأتي. وكما ان الذي يعرف من اين يعرف الى اين، فان الذي يتشوف غده يدرك بوعي اعمق اين يقف اليوم. وواضح ان حديث المستقبل وثيق الصلة بحديث الحاضر والماضي. وهو ليس مجرد تنبؤ يقوم على الرجم بالغيب، ولكنه محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صورة الحاضر، وتلاحظ فيها سنن الكون ومجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضي، وترسم على ضوء ذلك كله صورة المستقبل.

ان البحث في آفاق الصراع العربي ـ الاسرائيلي، على مدى عقد قادم من السنين، يقتضي ان ننظر الى الاحداث الجارية بنظرة شاملة، تأخذ بعين الاعتبار مختلف ابعاد الصراع وتحيط بشتى جوانبه. فهي ترى الابعاد الدولية والقومية والمحلية، وما يخص العدو منها وما يخصنا نحن، والجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والفكرية. كما ان هذا البحث ينطلق من ادراك ان توقع ما سيجري مرتبط بتطلع الانسان الى الاسهام في صنع المستقبل. فالفرد الانساني قادر على ان يكون فاعلا في الاحداث. وهو وان لم يكن بامكانه الوقوف في وجه حركة التاريخ الا ان بامكانه التأثير على تيار الاحداث المتدفق وتحويله لصالحه. وهكذا، فان هذا الحديث المستقبلي يوظف المعرفة للفعل والتأثير، ويحاول تحديد ما ينبغي ان يكون دون ان يغفل عن توقع ما سيكون. والغاية ان تتوافق، من خلال الفكر والادارة والقدرة، صورة الآمال مع صورة التوقعات [1]

★★★

---

١ يراجع حول الدراسة المستقبلية: قسطنطين زريق، «نحن والمستقبل» (دار العلم للملايين)، احمد صدقي الدجاني، «ماذا بعد حرب رمضان» (المؤسسة العربية)، وذلك من بين كتب اخرى.

نبدأ بحديث الحاضر والماضي فننظر كيف كانت مسيرة الشعب الفلسطيني في اطار الثورة الفلسطينية خلال السبعينات التي ودعناها، وننظر اين تقف منظمة التحرير الفلسطينية التي تقود هذه الثورة اليوم وهي تستقبل الثمانينات.

لقد حفل العقد الماضي باحداث هامة اتصلت بالصراع العربي ـ الاسرائيلي مباشرة اوبصورة غير مباشرة، وجرت على شتى الصعد المحلية والقومية والدولية.

بدأت السبعينات باحداث ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٠ في الاردن، وغاب عن المسرح السياسي العربي في ذلك الشهر جمال عبدالناصر، ابرز زعامة عربية في المنطقة. وبلغت تلك الاحداث ذروتها عام ١٩٧١، ونتج عنها انتقال مركز قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الى لبنان. ونشبت حرب رمضان في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ بين مصر وسورية والمنظمة من جهة، وبين اسرائيل من جهة اخرى. وهي الحرب الرابعة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وكان من حصادها ظهور قضية الطاقة في العالم الغربي. وتم في اعقابها انعقاد مؤتمر جنيف وابرام اتفاقيتي فصل القوات بين اسرائيل ومصر كاولا، ثم بين سورية واسرائيل. كما تم ابرام اتفاقية فصل القوات الثانية بين مصر واسرائيل في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٥. وتفجرت في النصف الاول من ذلك العام الحرب اللبنانية، وكان التوتر قد ظهر في لبنان بوضوح منذ عام ١٩٧٣. وتمت في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٧٧ زيارة رئيس جمهورية مصر، انور السادات، الى القدس حيث تحدث في الكنيست الاسرائيلي. وقامت اسرائيل بهجومها على جنوب لبنان في آذار (مارس) ١٩٧٨، فجرت حرب الايام الثمانية. وجاء ابرام اتفاقيات كامب ديفيد بين الولايات المتحدة واسرائيل ومصر في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨. وانعقد مؤتمر القمة العربي التاسع في بغداد لمواجهة هذه الاتفاقيات في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٨. وتم ابرام المعاهدة الاسرائيلية ـ المصرية في آذار (مارس) ١٩٧٩ بعد فترة قصيرة

من انتصار الثورة الاسلامية في ايران وسقوط نظام الشاه في مطلع ذلك العام. وشهدت السبعينات احداثا اخرى هامة في عالمنا، نشير من بينها الى تصفية الاستعمار البرتغالي في افريقيا، والخروج الاميركي من الهند الصينية، وبروز الازمة الافغانية.

جرت احداث منطقتنا في السبعينات وسط مناخ دولي كان له دوره في انضاجها، وحملت هذه الاحداث في تضاعيفها تغيرات هامة تتعلق بالصراع العربي - الاسرائيلي، وقد اثرت بدورها على هذا المناخ الدولي، الذي بدأ في مطلع السبعينات محكوما بسياسة الانفراج، واصبح في نهايتها محكوما بأزمة حادة تعاني منها سياسة الانفراج.

كانت ملامح المرحلة الجديدة في التوازن الدولي التي عرفت باسم الانفراج قد بدت

في اعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حين اجتمع كوسيغين وجونسون في غلاسبورو، وما اسرع ما بانت بوضوح اكثر في اجتماع موسكو عام ١٩٧٢ بين بريجنيف ونيكسون، وفي اجتماع فلاديفوستك عام ١٩٧٤ بين بريجنيف وفورد، واخذت صورة اجتماعات دورية بين ممثلي الدولتين واثمرت اتفاقيات في عدد من المجالات، وقد جاءت هذه المرحلة في اعقاب مراحل ثلاث عبرها التوازن الدولي منذ الحرب العالمية الثانية، كتطور منطقي يعبر عن الاستجابة لتحدي الخطر النووي الذي اشتد مع تقدم صنع الاسلحة النووية، ولتغيرات اخرى في الصورة الدولية، وهكذا، انتقل هذا التوازن من سياسة حافة الحرب، الى سياسة الردع الشامل، الى سياسة التعايش السلمي، الى سياسة الانفراج (٢)

اختلف تطبيق سياسة الانفراج عند الدولتين الكبريين من منطقة الى اخرى، بحسب مواقع هذه المناطق منها وطبيعة مصالحها

٢ فصلنا شرح هذه المراحل في كتاب «ماذا بعد حرب رمضان» واشرنا الى كتاب جمال حمدان، «استراتيجية الاستعمار والتحرير» (كتاب الهلال)

فيها. وقد اتسمت منطقة الوطن العربي بحساسية خاصة في هذه السياسة، لما تتميز به من اهمية تنامت بقوة في السبعينات، ولانها من المناطق التي لم تحدد فيها بوضوح الخطوط الفاصلة بين مصالح الدولتين. وانعكست هذه الحساسية على طريقة معالجة كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لقضية فلسطين والصراع العربي - الاسرائيلي عامة، وعلى طريقة تعاونهما في هذه المعالجة. ولقد شرح هارولد سوندرز في مؤتمر حول الشرق الاوسط انعقد بسانت لويس خريف عام ١٩٧٩، مكان الصراع في العلاقة بين الدولتين حين عرض للمصالح الاميركية في المنطقة، ووضع المصلحة المتعلقة بالاتحاد السوفياتي كأول هذه المصالح، فقال: «مع اننا ادركنا منذ امد طويل أهمية حرمان الاتحاد السوفياتي من ان يكون له نفوذ ساحق في الشرق الاوسط، الا اننا عرفنا ايضا في حدة ازمتين بان لنا اهتماما خاصا بتحاشي المجابهة مع السوفيات في الشرق الاوسط في هذا العصر النووي. ان الاتحاد السوفياتي يرى، لاسباب تتعلق بالنفوذ والنفط والقرب الجغرافي والروابط العرقية والثقافية بين عناصر من سكانه وشعوب الشرق الاوسط، بأن له مصالح في تلك المنطقة. كما اننا نهتم بأن نساعد شعوب المنطقة في الحفاظ على استقلالها حيال اية سيطرة اجنبية. ولكن، خلافا لما عليه الحال في اوروبا، حيث الخطوط بين السوفيات وبيننا مرسومة جغرافيا وبالسوابق، نجد ان هذه الخطوط ليست محددة بوضوح في الشرق الاوسط. ومن الممكن، سواء بالصدفة او بالتصعيد، ان ينتهي الحال بالدولتين العظميين الى المجابهة. وان الرسائل المتبادلة بين موسكو وواشنطن، خلال حدة الازمتين في حربي ٦٧ و٧٣، جعلت ذلك الخطر في منتهى الوضوح، ولهذا، فاننا ندرك التحدي بشكل اكثر حدة من اي وقت مضى من اجل تجنب المجابهة. (٣)

---

٣ ـ مجلة «النهار العربي والدولي» ١٩٧٩/١١/٨

لقد مثلت حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ نوعا من المواجهة بين الدولتين الكبريين، وكذلك مثلت حرب رمضان ١٩٧٣، مع انها جاءت بعد اخراج الخبراء السوفيات من مصر عام ١٩٧٢. ومن هنا توزعت السياسة الامريكية في تحركها تجاه تسوية الصراع العربي - الاسرائيلي بين مايتطلبه دفع خطر المواجهة من تفاهم مع الاتحاد السوفياتي بشأن التسوية وبين ماتتطلبه منافسة الاتحاد السوفياتي وابعاده عنها من انفراد في التحرك. وهكذا برز اتجاهان في السياسة الاميركية حول المشاركة السوفياتية في تحقيق التسوية، يرى احدهما ضرورة التوصل الى اتفاق مع السوفيات حول المبادىء والاجراءات، ويرى الآخر الانفراد وابعاد السوفيات والمضي في تحقيق التسوية من دونهم.

عبرت سياسة كيسنجر في النصف الاول من السبعينات عن هذا التوزع، ووصلت الى تبني الاتجاه الاخر. فقد تم الاتفاق، في اعقاب حرب ٧٣، مع الاتحاد السوفياتي على اطار مؤتمر جنيف برئاسة الدولتين كاطار للتوصل الى تسوية الصراع العربي - الاسرائيلي، ولكن كيسنجر سعى عمليا الى ابعاد الاتحاد السوفياتي عما اسماه «عملية السلام». ومع انه حرص على التباحث بين حين وآخر مع وزير الخارجية السوفياتي، اندرية غروميكو، لتغطية سعيه، الا ان السوفيات لم يروا في هذا التباحث اكثر من كونه نوعا من التشاور ولا يوصل الى المشاركة المطلوبة. وهكذا، هاجمت البيانات السوفياتية مفاوضات الخطوة خطوة التي تولتها الولايات المتحدة بمفردها، وامتنعت موسكو عن ارسال مبعوث لحضور التوقيع الرسمي في جنيف على الوثائق الخاصة بالاتفاق الاسرائيلي - المصري الذي ابرمه كيسنجر عام ١٩٧٥ (٤)

---

٤ - هناك مجموعة كتب نشرت حول سياسة كيسنجر وتطبيقاتها في منطقة الوطن العربي، نشير من بينها الى كتاب امين هويدي، «كيسنجر والصراع الدولي» (دار الطليعة)

اتجهت الـولايـات المتحـدة الى التفـاهم من جديـد مع الاتحـاد السوفياتي حول التسوية في منتصف سنة ١٩٧٧ بعد تولي الرئيس كارتر زمـام امـور الادارة الامـيركيـة، وكـان كارتر قد طرح حال توليه تصوره للوصول الى حل سلمي للصراع العربي ـ الاسرائيلي، وحدده في ثلاثة بنـود رئيسيـة هي: «انسحـاب اسـرائيـل من اراض محتلة، مع اجـراء تعـديـلات طفيفة على حدود ١٩٦٧، واقامة سلام كامل يشمل اقامة علاقـات دبلومـاسيـة واقتصادية وثقافية بين اسرائيل وجيرانها العرب، وانشـاء وطن للشعب الفلسطيني.» وقد اعتمد مشروع كارتر هذا على تقرير معهد بروكينز، واستفاد في بنده الاول من مشروع روجرز لعام ١٩٦٩. كما تعدى في بنده الثاني ما جاء في قرار ٢٤٢ الذي تحدث عن انهاء حالة الحرب، واشار في بنده الثالث الى تقريرمصير الفلسطينيين. وحـين نبحث عن دوافـع الولايات المتحدة لهذا التوجه نحو التفاهم مع الاتحـاد السـوفيـاتي، نلاحظ انه ينسجم مع متطلبات سياسة الانفراج التي شهدت عام ١٩٧٥ توقيع اتفاقية هلسنكي للامن الاوروبي، كما نلاحظ انه جاء بعد ان جوبهت محاولات الولايات المتحدة اشراك جميع العـرب في مفـاوضـات بصعـوبـات فائقـة. وهكـذا اتفقت الحكومتان الامـيركيـة والسـوفيـاتيـة على احيـاء فكرة التقارب المشترك. وأوصل اتفـاقهـما الى اعـلان البيـان السوفياتي الاميركي المشترك في ١ تشرين الاول (اكتـوبـر) ١٩٧٧ الـذي وقعـه كل من سايـروس فانس وأندريه غروميكو باسم دولتيهما، باعتبارهما رئيسي مؤتمر السلام حول الشرق الاوسط. (٥)

لقد تضمن هذا البيان عددا من المبادىء والاجراءات. فتحدث عن ضرورة التـوصـل في اسـرع وقت الى تسـوية عادلة ودائمة وشاملة «تتنـاول كل المـواضيـع وكـل الاطراف». وتعالج المسائل الاساسية في

٥ ـ يراجـع من بين دراسـات عدة مقـال جورج لنكـوفسكي، «قـوس الازمـات» مجلة فورين افـيرز «Foreigh Affairs» ربيع ١٩٧٩، ترجمة مركز التخطيط، بيروت، ومقال جون س. كامبل، «اعباء السيطرة»، مجلة «فورين افيرز «Foreign Affairs» صيف ١٩٧٩ ترجمة مركز التخطيط.

المشكلة بانسحاب اسرائيل من اراض احتلت في حرب ١٩٦٧ ، وحل المسألـة الفلسطينيـة بما في ذلـك ضمان الحقـوق المشـروعـة للشعب الفلسطيني ، وانهـاء حالـة الحـرب واقـامة علاقات سلمية عادية رسمية على اسس الاعـتراف المتبـادل بمبـادىء السيـادة وسـلامـة الاراضي والاستقلال السياسي . وحدد البيان ان الطريق الوحيد لبلوغ ذلك هو التفاوض في اطار مؤتمر جنيف للسلام ، على ان تشترك في اعماله «كل اطراف الصراع ، بمن في ذلك ممثلو الشعب الفلسطيني» .

كمنت اهميـة هذا البيـان في توقيت اعـلانـه وفي صدوره عن الـدولتـين الكـبر يـين من خلال عملية تفاوض ، وفي حديثه عن ضمان الحقـوق المشـروعـة للشعب الفلسطيني ومشـاركـة جميـع الاطـراف في التفـاوض ، بمن في ذلـك ممثلو الشعب الفلسطيني . وكـانت الـولايات المتحـدة تتحـدث قبله عن «المصالح المشروعة للفلسطينيين» ، وتتجنب الحـديث عن مشـاركة ممثلي الشعب الفلسطيني . وقد رأى الكثير ون في توقيـع الـولايـات المتحدة على البيان اتجاها محمودا للاعتراف بالحقائق القائمة ومباشرة مفاوضات مثمرة ، فيما رأت اسرائيل والحركة الصهيونية العـالميـة غير ذلك ، واعتبرت البيان انحرافا في السياسة الاميركية التي جنحت الى الانفـراد . وهكـذا ، اثـارت الصهيـونيـة العـالمية ضجيجا قويـا ، وشنت حملة شديـدة على البيان وهاجمت فكرة اشراك السوفيات في التسـويـة ، الامـر الذي دفع الادارة الاميركية الى التخلي عن البيان بعد ايام قليلة من اعلانه .

سارت الولايات المتحدة في طريق الانفراد ، وعملت على فرض تسوية خاصة بها ، واتفقت مع اسرائيل على ورقة عمل اغضبت عددا من الاطـراف العـربيـة وأكـدت قنـاعتهم بانحيـازها لاسرائيل . وحين فشلت في احضار جميع الفرقاء الى طاولة المفاوضات ، شجعت زيارة رئيس جمهـوريـة مصـر الى اسـرائيل ، وتولت رعاية الخط الذي رسمته هذه الـزيـارة ، وهكذا اسقطت احتمال تحقيق مفاوضات شاملة واحتمال قيام الاتحاد السوفياتي بدوره في المفاوضات .

اوصلت هذه السياسة الاميركية الى ابرام اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة، ومن ثم الى توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل. وأدت هذه السياسة على صعيد المنطقة الى زيادة التوتر فيها والى تورط الولايات المتحدة في تبني المنهج الاسرائيلي في تسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي. كما ادت على صعيد العلاقات بين الدولتين الى الاسهام في صنع ازمة في الانفراج الذي قام بينهما. واصبحت واحدة من القضايا الهامة التي زادت من حدة هذه الازمة. ولم يخف الاتحاد السوفياتي هذه الحقيقة في شرحه لحال الانفراج وللواقع القائم بعد دخوله افغانستان.

لقد كشفت السبعينات عن حقيقة تأثر الصراع العربي ـ الاسرائيلي بالعلاقات بين الدولتين الكبريين. وبدا واضحا ان هناك خلافا قويا حول كيفية تسوية هذا الصراع. بعد ان اتجهت السياسة الاميركية الى الانفراد في معالجته. وما زال هذا الخلاف يفعل فعله في أحداث المنطقة.

كيف ستكون العلاقات بين الدولتين خلال الثمانينات؟ هل تنتهي ازمة الانفراج ام تشتد؟ كيف سيكون تعامل كل من الدولتين مع الصراع العربي ـ الاسرائيلي في اي من الحالتين؟

**

سنحاول الاجابة عن هذه الاسئلة في حديث المستقبل، ونتابع الان التعرف بايجاز على جوانب اخرى في الصورة الدولية كما بدت خلال السبعينات، وعلى الخصوص موقف كل من اوروبا الغربية ومجموعة عدم الانحياز من الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

لقد اشتد اهتمام اوروبا الغربية بالصراع بعد حرب رمضان، حيث بدا واضحا تأثر امن اوروبا الغربية بأمن الوطن العربي. وارتباط اقتصاد اوروبا الغربية بالنفط العربي.

وهكذا، اصدرت دول المجموعة الاوروبية بيان ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ حول موقفها من الصراع، وبنت هذا الموقف على

قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢، مع اضافة محددة هي اخذ الحقوق المشروعة للفلسطينيين في الحسبان من اجل بلوغ سلام دائم وعادل.

وتوجهت هذه الدول لمباشرة حوار مع الدول العربية، وباشرت هذا الحوار وسارت فيه سيرا وئيدا، ولم تستطع ان تقوم بالدور الذي كان متوقعا قيامها به في التعامل مع الصراع بسبب ضغوط ارتباطاتها بالولايات المتحدة الاميركية، وبسبب تباين الاتجاهات داخلها وقد اوصل الحوار الى موقف اوروبي غربي يؤكد المبادىء التي تضمنها قرار ٢٤٢، مع التسليم بتلبية الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في التعبير عن هويته الوطنية والعيش في وطن ووصل في بيان البندقية الاخير الذي صدر في حزيران (يونيو) ١٩٨٠، الى النص الصريح عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وتضمن الموقف الاوروبي ادانة للاستيطان الاسرائيلي في الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧، ورفضا لاية تغييرات اسرائيلية في وضع القدس.

شهدت السبعينات اذن تطورا في الموقف الاوروبي. ولكن هذا التطور لم يتجسد في اجراءات عملية، وبقي عاجزا عن تلبية المطلب العربي باعتراف دول المجموعة الاوروبية بمنظمة التحرير الفلسطينية ولم تطرح، على مدى العقد الماضي، اية صيغة يكون للدول التسع فيها مكان ودور لحل الصراع، ويصدق هذا على صيغة جنيف التي تمسك بها البيان السوفياتي الاميركي. وقد فرضت سياسة الانفراد الاميركية على المجموعة الاوروبية ان توقف تحركها البطيء وتنتظر وتترقب على مدى عامين، جمدت خلالهما الحوار العربي الاوروبي حتى انتهى التاريخ المحدد للفراغ من مفاوضات الحكم الذاتي يوم ٢٦ ايار (مايو) الماضي فباشرت دول المجموعة تحركها من جديد واصدرت بيان البندقية يوم ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٨٠.

يجدر ان نشير ايضا الى ان بعض دول اوروبا الغربية خارج اطار المجموعة الاوروبية قد طورت موقفها من الصراع، ونشير من بين هذه الدول الى النمسا التي حاول مستشارها ان يقوم بدور فعال في تطوير موقف الاشتراكية الدولية. (٦)

كان موقف دول عدم الانحياز، بمجموعاتها الافريقية والاسيوية والاسلامية، متجاويا مع الحقوق الوطنية لشعب فلسطين، ومؤيدا لوجهة النظر العربية في تسوية الصراع، وقد رحبت هذه الدول بعضوية منظمة التحرير في المجموعة، وقاطعت غالبيتها اسرائيل. واتخذت في مؤتمراتها المتعاقبة، واخرها هافانا عام ١٩٧٩، قرارات واضحة بشأن الصراع وكيفية التحرك لتسويته.

شهدت السبعينات ايضا تطورا ايجابيا في موقف دول المجموعة الاشتراكية من قضية الصراع العربي - الاسرائيلي. واعترفت هذه الدول بمنظمة التحرير الفلسطينية. اما اليابان، فكان التطور الذي حدث في موقفها ضئيلا، وبقي هذا الموقف تابعا للموقف الاوروبي واسيرا للضغوط الاميركية. وقد حدث تطور محدود في مواقف دول اميركا اللاتينية. وتحسن موقف الهند المؤيد للحق الفلسطيني بعد عودة حزب المؤتمر، بقيادة السيدة انديرا غاندي، . الى الحكم في العام الماضي.

ننتقل الى البعد الاسرائيلي في الصراع، ونوجز حصيلة ما شهدته السبعينات على هذا الصعيد.

لقد جاءت حرب رمضان لتكون تجربة جديدة على التجمع الاسرائيلي، بما تضمنته من جديد على صعيد اتخاذ القرار، وعلى صعيد المبادرة في الهجوم وعلى صعيد مجريات المعركة، . ومع ذلك،

---

٦ - شرحنا تطور الحوار العربي الاوروبي والجانب السياسي بشيء من التفصيل في كتابينا: «الحوار العربي الاوروبي - وجهة نظر عربية ووثائق» (القاهرة: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٩٧٦) «منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الاوروبي: دراسة في الجانب السياسي من الحوار ووثائق» (بيروت: مركز الابحاث الفلسطينية ١٩٧٩)

بقي توجه التجمع الاسرائيلي في محصلته على ما هو عليه بعد الحرب. وبقي الهدف الصهيوني كما هو، وازدادت نزعات التطرف في اوساط الاسرائيليين حتى اوصلت تجمع ليكود الى الحكم عام ١٩٧٧ وابرزت جماعة غوش ايمونيم كجماعة مؤثرة في سياسة التوسع الاسرائيلية، وشهد التجمع في الوقت نفسه بروز جماعات تنادي بوقف التوسع مقابل السلام، ولكن تأثير هذه الجماعات على الحكم في اسرائيل بقي ضئيلا للغاية، وعمل الحكم الاسرائيلي، من خلال اعتماده التطرف والتشدد، على فرض التسوية التي يريدها والتي تحفظ له السيطرة على الضفة الغربية وقطاع غزة، واعتمد في محاولته النجاح في هذه السياسة، على ربط الموقف الاميركي بموقفه، وركز على دفع الولايات المتحدة للانفراد في التحرك لبلوغ التسوية مبعدا الاتحاد السوفياتي، كما ركز على عزل مصر واخراجها من الصراع العربي ـ الاسرائيلي ونشط في عملية الاستيطان في الضفة الغربية وفي تغيير معالم القدس، كما لجأ الى المغالاة في سياسة القمع التي ينتهجها ضد الشعب الفلسطيني في الوطن المحتل، وتابع محاولاته لتهجير مزيد من يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل. واستهدف لبنان مصعدا عملياته في الجنوب اللبناني.

ولعل من اهم ما يمكن تسجيله على البعد الاسرائيلي في الصراع كما وصل في نهاية السبعينات. ما يلي:

ـ نجحت اسرائيل في التوصل الى ابرام معاهدة سلام مع مصر عام ١٩٧٩

ـ عانت اسرائيل من عزلة دولية ازدادت شدة منذ مجيء حكومة ليكود وبفعل مواقف هذه الحكومة اثناء المفاوضات المصرية ـ الاميركية ـ الاسرائيلية حول الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة والقطاع.

ـ حدث خلال السبعينات اختلال في التطابق بين مواقف الحكومة الاسرائيلية ومواقف التجمعات اليهودية في اوروبا الغربية والولايات المتحدة الاميركية. وبدأت بعض اوساط هذه التجمعات

في محاولات للتأثير على المواقف الاسرائيلية بما ينسجم مع مصالحها في الدول التي تعيش فيها.

- بدأت الخلافات داخل التجمع الاسرائيلي تأخذ شكلا اكثر حدة على تزايد النزوع الى التطرف وبروز قوى تنادي بالسلام.

- بدأت العلاقات الاميركية - الاسرائيلية ، بعد اتفاقيات كامب ديفيد على الخصوص، مرحلة جديدة برزت فيها تعارضات نابعة من اختلاف الاساليب بين طرفي العلاقة ومن مستلزمات المصالح الاميركية في المنطقة والعلاقات الاميركية - العربية (٧)

**

نأتي الى البعد العربي في الصراع ، ونوجز ما شهدته السبعينات على هذا الصعيد. كانت السبعينات حافلة بالاحداث المتصلة بالصراع. بدأت بمعاناة احداث ايلول (سبتمبر) وتتالت هذه المعاناة مع اشتداد الصراع داخل الوطن العربي بين عرب وعرب. وقد تعددت بؤر التوتر والانفجار في الوطن العربي ، وقامت عدة حروب عربية عربية ، بعد حرب رمضان على الخصوص. وكانت حرب رمضان قد اظهرت امكانيات الموقف العربي الواحد الكبيرة في حالة حشدها وتوظيفها في الصراع ، ولكن السنوات التي تلت ابرزت عجز الكيانات العربية عن توجيه ارادتها وصياغة الارادة العربية المشتركة.

وشهدت السبعينات حدوث تحولات هامة في البلاد العربية ، على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي ، كانت سببا في حدوث جيشان في الاوضاع الداخلية لكل قطر وأسهمت في الصراع العربي العربي .وافتقد العمل العربي الموحد وجود الزعامة العربية الواحدة او وجود المؤسسة التي تحل محلها، وتنامت الثروات في البلاد النفطية بعد ارتفاع اسعار النفط منذ ١٩٧٣.

---

٧ - فصلنا شرح اثار حرب رمضان على التجمع الاسرائيلي والاتجاهات الاسرائيلية بعد الحرب في كتاب «ماذا بعد حرب رمضان». يراجع بشأن بروز غوش ايمونيم والسلام الان بحث يائيل يشاع، «المجموعات المؤثرة في السياسة الخارجية في اسرائيل» المقدم لمؤتمر *IPSA* ١٩٧٩.

استطـاعت الدول العربية ان تصوع موقفا موحدا من الصراع لم يبلغ حد الاجماع في حرب ۱۹۷۳ ، ولكن سرعان ما انتثرت حبات عقد هذا المـوقف، واعـترفت الـدول العـربيـة عام ١٩٧٤ بمنظمة التحرير الفلسطينيـة ممثـلا شرعيا لشعب فلسطين. وانشغلت منذ عام ١٩٧٥ بالازمــة اللبنـانيـة، التي ما ان خفت حدتهـا حتى جاءت زيـارة رئيس جمهـوريـة مصر الى القدس المحتلة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧. وهكذا انشغلت الدول العربية بالتصدي لهذا الانفراد ومعالجة ما نجم عنه من آثار. وقد استطاعت في اعقاب توقيع مصر لاتفاق كامب ديفيد مع اسرائيل والولايات المتحدة، ان تصوغ موقفا عربيا موحدا في مؤتمر القمـة التـاسـع ببغـداد (تشـرين الثـاني/ نوفمبر ١٩٧٨)، اكدت فيه التزامها بقرارت الامم المتحدة في تسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وجمدت عضوية مصر في الجامعة العربية، ونقلت مقر هذه الجامعة الى تونس.

يمكننـا ان نلاحـظ ايضا، فيما يخص هذا البعد في الصراع، ان المنطقـة العـربيـة شهدت حركة احياء روحي بدت تباشيرها منذ نكسة حزيـران (يـونيـو) ١٩٦٧، وتنـامت في السبعينات، وبلغت مداها بعد نجـاح الثـورة الاسـلامية في ايران عام ١٩٧٩، وقد عبرت هذه الحركة عن موقف حضـــاري يرفض الاستغــراب والتحـديث على الطـريقـة الغـربيـة، وحكمت بفشله، كما مثلت تطـورا في المفهـوم القومي الذي ساد خلال العقـدين السابقين، اضاف اليه بعد الاخوة الروحية ضمن دائـرة الحضـارة العـربيـة الاسلامية. وقد هيأ هذا التطور فرصة سانحة لاقـامـة علاقـات صحيحة بين منطقة الوطن العربي وبين جاراتها التي تمثـل عمق هذا الـوطن. ونـلاحـظ ان ايـران وتـركيـا تشهدان الظاهرة نفسهـا. كذلـك نلاحـظ ان العـداء المـوجـه الى الـولايات المتحدة في المنطقة يتزايد مع وجود نزعة قوية لاستعادة الهوية الثقافية ترجع بالمنطقة الى اصـولهـا وتقرن بين الاصالة والتجديد، ونلاحظ ان اطراف منطقة

الـوطن العـربي اصبحت مراكـز لبـؤ ر توتـر شديد في الصراع الدولي، وعلى الخصـوص في القـرن الافـريقي وبحـر العـرب القـريب من افغـانستـان، الامـر الـذي جعـل بحـر العـرب والمحيط الهندي ساحة مواجهة في هذا الصراع. (٨)

نصل بعد استحضار ابعاد الصراع كما بدت في السبعينات، الى الاجـابـة عن السؤال الذي طرحناه حول مسيرة الشعب الفلسطيني في اطـار ثورتـه خلال العقـد المـاضي، وحـول موقف منظمـة التحـريـر الفلسطينية اليوم وهي تستقبل الثمانينات.

لقـد تفـاعلت منظمة التحرير مع الاحداث التي عاشتها المنطقة فأثـرت فيهـا الى حد ليس بالقليل، وتأثرت بها الى حد ليس بالقليل. وشقت طريقها وسط هذه الاحداث. وتابعت النضال في داخل الوطن المحتـل وخـارجه. وحققت نتائج هامة. وتوزع جهد المنظمة بين توجيه الضـربـات للعـدو الصهيـوني على الصعيـدين العسكـري والسياسي وتحقيق تقدم على طريق التحرير، وبين حماية نفسها من الضربات التي توجه اليها. وقد خرجت من المعارك المتصلة التي خاضتها اشد قوة وصلابة.

يمكننـا ان نشـير بايجـاز الى اهم ما نراه في تحرك المنظمـة خلال السبعينات، ونميز بين ثلاث مراحل عبرها هذا التحرك.

- بدأت السبعينـات بازمـة ايلول (سبتمـبر) في الاردن، وعانت الثورة منها ما عانت. ولكنها ما لبثت ان خرجت من هذه المعاناة وتابعت نضـالهـا. ونجحت المنظمـة في مطلع السبعينـات في استكـمال هدف اســاسي لها وهــو تلاحم شعبهــا الفلسطيني بها، فاصبحت الممثــل الحقيقي الـوحيـد لهذا الشعب. واستقرت مؤسساتها على ارض صلبة من الشـورى والـديمقـراطيـة، وتحقق في هذه المؤسسات حد ادنى من

---

٨ - شرحنـا العـلاقـات العـربية في كتابنا: «العرب وتحديات المستقبل» (القاهرة: الشركة المتحدة للتوزيع ١٩٧٦) وفيه مقال «الصراع بين عرب وعرب».

الـوحـدة الـوطنيـة بين فصائل المقاومة. وهكذا اختتمت المنظمة مرحلة اولى هامة في نضالها.

ـ كذلك نجحت المنظمة عام ١٩٧٤ في استكمال هدف اساسي آخـر لها وهـو اعـتراف الـدول العربية بها ممثلا شرعيا لشعب فلسطين. وقـد اتخذ هذا الاعـتراف صفـة العضـويـة الكـاملة في جامعـة الدول العربية عام ١٩٧٧. وكان ذلك تعبيرا عن استكمال تأييد امتها العربية لها. وهكذا اختتمت المنظمة مرحلة اخرى هامة في نضالها.

ـ وغــذت منظمــة التحــريـر السـير في اعقـاب حرب ١٩٧٣ للحصـول على اعـتراف العـالم بها وبـالحقـوق الـوطنية الثابتة لشعب فلسطــين. وكـــانت بعض الفصـــائـل قد وجهت جزءا من نشـاطهـا لعمليـات في السـاحـة الدولية ضد اهداف صهيونية لفتت الانظار الى المشكلة. كما وجهت المنظمة جزءا من نشاطها السياسي للنفاذ في بعض مجالات الساحة الدولية. وهكذا دخلت المنظمة المرحلة الثالثة الحاسمة في نضـالهـا التي تصـل بها الى حصـولها على الشرعية الدولية، ومن ثم بلوغ اهدافها.

★★★

اعطت المنظمــة اهتــامــا خاصـا للكفـاح المسلح ضد العـدو الصهيوني داخل فلسطين المحتلة. وقد اتخذ هذا الكفاح المسلح صورة عمليـات عسكـريـة تقـوم بها المقـاومـة الشعبيـة في الـداخل، وصورة عمليـات عسكـريـة توجـه الى الـداخـل من قواعد الثورة في الخارج. ونـلاحـظ ان المقـاومـة المسلحة حققت تصاعدا يلفت النظر وتطويرا في اسـاليبهـا في قطـاع غزة والضفة الغربية اوائل السبعينات، الامر الذي دفــع العـدو الى مضـاعفـة جهـوده للقضـاء عليهـا. واستمـرت هذه المقاومة، على الرغم من ذلك، ضمن حد معين في القطاع وفي الضفة الغـربيـة وسـط ظروف بالغـة الصعـوبـة، وعلى الرغم من كل وسائل القمع الاسرائيلي. وما زالت مستمرة تقدم صورا من بطولات شعب فلسطين.

كذلك تتابعت عمليات المقاومة الموجهة من خارج فلسطين وتنوعت. وقامت بدورها مع عمليات الداخل خلال حرب رمضان. وطرحت في بعض الاحيان نماذج متطورة تجلت فيها بطولات شعب فلسطين.

بقي معدل عمليات الكفاح المسلح خلال السبعينات محافظا على مستوى معين لا يتجاوزه. ولم يصل هذا المعدل الى حد يغير من طابع المواجهة مع العدو. وكانت جل الجبهات العربية مغلقة امام هذه العمليات. كما لم تستطع المقاومة المسلحة بناء قواعد ثابتة لها في الداخل. وبقيت هناك نسبة من العمليات يجري كشفها قبل ان تنفذ. ونمت قوة المنظمة على الصعيد العسكري نموا لا بأس به. واستوعبت بعض الاسلحة المتطورة، ولكن هذا التطور والنمو بقي محدودا. وعانت قوة المنظمة العسكرية من بعض اوضاع جيش التحرير ومن تعدد الفصائل.

وخاضت المنظمة معارك دفاعية في مواجهة محاولات العدو تصفية وجودها في لبنان. وكانت اشد هذه المعارك ضراوة ما سمي بحرب الايام الثمانية في آذار (مارس) ١٩٧٨. وقد خرجت المنظمة من هذه المعارك اكثر قوة.

واجبرت المنظمة على دخول معارك مع اطراف عربية خلال وجودها في لبنان منذ عام ١٩٦٩. فكان هناك اشتباك عام ١٩٧٣. ثم جاءت الازمة اللبنانية التي استمرت سنتين بين عامي ١٩٧٥ - ١٩٧٧. وقد اثرت هذه المعارك على الكفاح المسلح داخل الوطن المحتل تأثيرا سلبيا.

اهتمت المنظمة خلال هذا العقد بتصعيد نضالها السياسي داخل فلسطين المحتلة وخارجها. وبذلت في هذا النضال جهودا كبيرة. ونجحت المنظمة من خلاله في تحقيق نتائج هامة.

فعلى صعيد الوطن المحتل، استمرت المقاومة الشعبية للاحتلال. وتجلت في الانتخابات البلدية حيث فاز مرشحو المنظمة. وخاضت قيادات الداخل معارك سياسية متصلة كان لها دور في لفت انظار العالم. وبلغ النضال السياسي احدى ذراه في انتفاضة يوم الارض في الجليل عام ١٩٧٦. واتجهت قيادات فلسطينيي المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ الى الالتحام بمنظمة التحرير. واصبحت المنظمة بحق الممثل الوحيد لشعب فلسطين. ودللت مجموعة اختبارات على صدق هذه المقولة. وكان من آخر هذه الاختبارات محاولات اشراك فلسطينيي الضفة والقطاع في مفاوضات الحكم الذاتي ضمن اطار كامب ديفيد، وقد فشلت هذه المحاولات فشلا ذريعا.

وعلى صعيد شعب فلسطين في اماكن تجمعه المختلفة، نجحت المنظمة في التواصل مع ابناء فلسطين، وفي حشد جانب من طاقاتهم تناسب مع الظروف المحيطة بهم. ونظمت قطاعات منهم على الصعيد المهني. وبقيت قطاعات اخرى تفتقر الى التنظيم الشعبي. وبنت عددا من المؤسسات الخاصة بهم. وتولت رعاية بعض نشاطاتهم في بعض اماكن التجمع. واصبحت على الصعيد المعنوي المسؤول عن كل فلسطيني، وعلى الصعيد المادي مسؤولة عن قطاع منهم. وتجاوزت اهتماماتها الجانبين العسكري والسياسي الى الجوانب الاقتصادية والثقافية والتربوية والاجتماعية والصحية.

واستقر بناء المنظمة الدستوري على اساس راسخ من خلال الممارسة في ظل المؤسسات الدستورية. وانتظمت العلاقة بين المجلس الوطني والمجلس المركزي واللجنة التنفيذية والدوائر والجيش والفصائل. كما تحددت صيغة العلاقات بين الفصائل على ارض المنظمة. وتبلورت الى حد ليس بالقليل طريقة صنع القرار. وقدمت هذه الممارسة بمجملها تجربة ديمقراطية شورية تستحق التقدير.

كان من اهم ما فعلته المنظمة خلال السبعينات هو طرحها لبرنامج سياسي حددت فيه اهدافها وطرحت افكارا واضحة لكيفية

تحركهـا على طريق بلوغ هذه الاهـداف . وقـد طرحت المنظمـة عام ١٩٦٩ صيغـة الـدولـة الـديمقراطية في فلسطين التي يعيش فيها اليهود والمسيحيـون والمسلمون مواطنين متساويين، كحل عادل للصراع . وفي عام ١٩٧٤ طرحت فكـرة السلطـة الـوطنيـة على اي جزء من فلسطين يتحـرر ضمن برنـامج النقاط العشر. ثم طرحت عام ١٩٧٧ فكرة قيام دولة فلسطينية على اي جزء من فلسطين ينسحب منه العدو. وحددت الحقـوق الـوطنيـة الثابتة للشعب الفلسطيني : حقه في العودة وفي تقرير المصـير وفي اقـامة الدولة المستقلة ذات السيادة . وقد ابرز خطاب رئيس المنظمـة في الامم المتحـدة هذه الافكار، فتحدث عن الحلم الفلسطيني بدولة فلسطين الديمقراطية . ورحب بأن يعيش اليهود الموجودون على ارض فلسطين مع العرب بسلام بعد ان ينبذوا العدوان . وطرحت فكرة اقـامـة حكومة فلسطينية في المنفى عدة مرات خلال السبعينات، ولكن المنظمة لم تستجب لها مقدرة ان الشروط اللازمة لاقامتها لم تستكمل بعد .

قاوم الكيـان الصهيـوني فكـرة الـدولـة الديمقراطية في فلسطين مقـاومـة شديـدة، واعتـبرها تستهدف تقويض دولة اسرائيل . تماما كما قاوم فكرة اقامة دولة فلسطينية على جزء من فلسطين، واعتبرها تهديدا لامن اسـرائيـل والنقيض لدولـة اسـرائيل . ولكن طرح المنظمة للفكرة الثانية لاقى تجاوبا في قطاعات من الرأي العام العالمي وفي دول كثيرة، ومهـد لاقـامـة علاقات بين المنظمة وبين هذه القطاعات والدول . وقد رحبت غالبيـة الـدول العـربية بافكار المنظمة، ولكن بعض هذه الدول تحفظ على هذه الافكار، ولم يقبل بفكرة اقامة دولة فلسطينية على جزء من فلسطـين، حتى انعقـد مؤتمـر بغـداد واتخذ قرارا بهذا الشأن ضمن تصوره للحل العادل الشامل، فزال التحفظ على الصعيد الرسمي . ٩

٩ ـ هنـاك مجموعـة مقالات تعرض لتحرك المنظمة على الصعيد الفلسطيني في سلسلة اعداد مجلة «شؤون فلسطينية» التي تصدر عن مركز الابحاث الفلسطينية . وتتضمن هذه الاعداد ثبتا بالعمليات الفدائية .

اوصلت السبعينات الى طرح مجموعة اسئلة تتعلق بالبرنامج الوطني للمنظمة، وعلى الخصوص بهدف المرحلة الراهنة وصلته بالهدف النهائي. خصوصا بعد ان ادى ابرام اتفاق كامب ديفيد وما اقترن به من ممارسات صهيونية في الوطن المحتل الى نزوع الى التشدد في بعض اوساط الساحة الفلسطينية والساحة العربية عموما، والى احساس بعدم جدوى «الواقعية العملية»، وضرورة الوصول الى الهدف النهائي. وقد تجلى ذلك بوضوح في مؤتمر حركة «فتح»، كبرى التنظيمات الفلسطينية، الاخير. من هذه الاسئلة المطروحة:

ماذا يجب ان يتضمن برنامجنا الوطني ونحن على ابواب الثمانينات؟

هل يمكن ميزان القوى الراهن من تحقيق هدف اقامة دولة فلسطين الديمقراطية من خلال تسوية سياسية؟

هل نقبل باقامة دولة على جزء من التراب الفلسطيني ان تمكن ميزان القوى الراهن من فرض انسحاب اسرائيل من هذا الجزء؟

هل تكون اقامة هذه الدولة خطوة على طريق بلوغ الهدف النهائي ام عقبة في طريق بلوغه؟

ما هي الشروط التي يمكن بها ان نقبل اقامة دولة فلسطين على جزء من التراب؟

ما هو موقفنا من النشاط السياسي ان كان ميزان القوى الراهن لا يصل بنا الى الحد الادنى الذي نتطلع اليه؟ هل نحد منه ونوحد طاقاتنا للعمل العسكري؟ هل نجعل الهدف منه التمهيد للحسم العسكري؟

كيف نصعد عملنا العسكري داخل الوطن المحتل؟ وكيف نعد للحرب العربية ـ الاسرائيلية القادمة؟

تحركت المنظمة بنشاط على الصعيد العربي، واهتمت بعلاقاتها العربية مستشعرة بعمق حقيقة كونها جزءا من الدائرة العربية. وتميزت هذه العلاقات بالتداخل النابع من وجود ارتباط عضوي بين الجسم

الفلسطيني والدول العربية، من خلال ثقل الوجود الفلسطيني في بعض هذه الدول المجاورة لفلسطين وفي الجزيرة العربية، ووجود ارتباط عضوي بين فصائل الثورة والمؤسسات الحاكمة في هذه الدول. الامر الذي جعل صورة هذه العلاقات تبدو غاية في التعقيد والتشوش احيانا. ويمكننا ان نستخلص الخطوط الرئيسية التي ترسم هذه الصورة ان امعنا النظر فيها.

ـ حرصت المنظمة على الحفاظ على دائرة خاصة بها تعبر فيها عن استقلالها. وقاتلت قيادة المنظمة حفاظا على هذه الدائرة التي بدت صغيرة على العموم، وكانت تتسع وتضيق احيانا بحسب الظروف. وجاء هذا الحرص تعبيرا عن تمسكها بسياسة استقلال القرار الفلسطيني.

ـ تمسكت المنظمة جهد المستطاع بسياستها القائلة بعدم التدخل في الامور الداخلية للدول العربية، وهي سياسة تنسجم مع سياسة استقلال القرار الفلسطيني. وكانت تعمد الى التدخل كرد على التدخل في ما تعتبره تدخلا في ساحتها الفلسطينية ومساسا بدائرة استقلالها.

ـ حاولت المنظمة جهدها ان توفق بين ارتباطاتها الرسمية مع الدول العربية وصفتها كمنظمة رسمية تتعامل مع هذه الدول، وبين علاقاتها الشعبية وتفاعلاتها مع قوى التغيير في هذه الدول وصفتها كمنظمة ثورية تقود ثورة شعبية هي قبلة انظار الثوار العرب. ولم تكن المحاولة سهلة ابدا في عملية الجمع بين ما اصطلح على تسميته بالعمل العربي الموحد والعمل العربي الثوري. ومع ان المحاولة نجحت الى حد ما الا انها سببت سوء فهم في الدول العربية وفي اوساط المنظمة على السواء. ولم تبذل الجهود اللازمة لازالة سوء الفهم هذا بشرح طبيعة العلاقات على ضوء طبيعة تكوين اطرافها.

ـ تحركت قيادة المنظمة بين مختلف اطراف الدائرة العربية،

واقامت علاقات ثنائية معها، وشاركت في تحالفاتها المختلفة والمتعارضة احيانا، ودخلت كوسيط في النزاعات التي تقوم بين بعض هذه الاطراف. وقد حكمها في تحركها هذا ادراك باهمية المبادرة والفعل، واستشعار لدورها المعنوي كثورة، ووعي بمدى تأثرها بالاحداث العربية المحيطة، واحساس بقيمة عمقها العربي، وحرص على عدم وقوعها اسيرة اية صيغة تفقدها استقلال القرار الفلسطيني.

حين ننظر في حصيلة علاقات المنظمة على الصعيد العربي خلال السبعينات، نرى ان قيادة المنظمة نجحت في احتلال مكان هام من الصورة العربية. ونجحت حسب وجهة نظر بعض المراقبين، في الخروج من مآزق صعبة حصرت فيها، فاستمرت بفعالية تؤثر في الدائرة العربية. ونلاحظ ان علاقاتها ساءت وتوترت مع عدد من الدول العربية واحدة بعد الاخرى، ولكنها لم تصل قط الى طريق مسدود، بل عادت وانفرجت ثم تحسنت من جديد، ونلاحظ ان علاقات خاصة ربطتها بدول عربية بعينها بحكم الجغرافيا احيانا، وبحكم الظروف السياسية المحيطة احيانا اخرى. ويلاحظ بعض المراقبين ان قيادة المنظمة لم تكن طوبائية في نظرتها الى العلاقات العربية فتعاملت معها بواقعية عملية «براغماتية». وهذا في رأيهم ما ساعدها على البقاء والاستمرار. كما يلاحظ البعض انها لم تحرص على بناء الموقف العربي الواحد لان «الاختلاف في الساحة العربية رحمة وليس نقمة» فيما يخص النضال من اجل تحرير فلسطين في رأي هؤلاء. وقد وجد تيار قوي في قيادة المنظمة يرى غير ذلك، ويعتقد ان بناء الموقف العربي الواحد يقوي المنظمة ويمكنها من القيام بدورها في قيادته، ويمنع الانفراد الذي تسعى اليه اسرائيل في تسوية الصراع. وايا كان الحال، فان السبعينات اوصلت الى طرح مجموعة اسئلة تخص علاقات المنظمة العربية ولا بد من اجابات واضحة على هذه الاسئلة.

ما مستقبل وجود المنظمة في لبنان، وكيف تنظم العلاقة الفلسطينية اللبنانية وتقنن؟

ما هي الصيغة العملية الامثل للعلاقة الفلسطينية الاردنية من اجل بلوغ هدف التحرير؟

كيف تعزز العلاقة الفلسطينية السورية، وكيف يتحقق الانسجام بينها وبين كل من العلاقتين السابقتين؟

بتعبير آخر: ما هي خريطة العلاقات العربية في ما اصطلح على تسميته بسورية الكبرى؟

كيف نعمل من اجل بناء الجبهة الشمالية الشرقية؟ وما هو الدور الذي يمكن للعراق القيام به في النضال من اجل التحرير؟ وكيف تعزز العلاقة الفلسطينية العراقية؟

كيف نعمل من اجل بناء جبهة الدول النفطية في الجزيرة العربية؟ وما هو الدور الذي يمكن لهذه الجبهة ان تقوم به في النضال من اجل التحرير؟

ما هي رؤية المنظمة لدور العمل العربي الموحد في النضال من اجل التحرير على الصعيد العسكري وعلى صعيد العلاقات الدولية؟

كيف نعمل فلسطينيا وعربيا لمواجهة اخطار اتفاق كامب ديفيد على مصر، واعادة مصر الى المجموعة العربية؟

كثفت المنظمة نشاطها بعد حرب رمضان عام ١٩٧٣ على الصعيد الدولي، مدركة طبيعة المرحلة التي دخل فيها النضال الفلسطيني، ومستشعرة اهمية البعد الدولي في حل الصراعات، وواعية المكانة التي تحتلها الثورة الفلسطينية في عالمنا كواحدة من اكبر حركات التحرير المعاصرة، وكأولى هذه الحركات بعد انتصار فييتنام ورمز للثورة العالمية. وتحركت المنظمة على عدة صعد في النطاق الدولي. فاقامت صلات مع التنظيمات الشعبية والاحزاب في عدد من الدول، ومع المنظمات الشعبية والدولية، ومع الدول على صعيد ثنائي، ومع المجموعات الدولية، ودخلت في المنظمات الدولية المختلفة.

اصبحت المنظمة عضوا مراقبا في منظمة الامم المتحدة عام ١٩٧٤. وبدأت تشارك، بهذه الصفة، في مختلف نشاطات المنظمة

الـدوليـة والمنظمات المتفرعة عنها. واذا كان قرار دخول المنظمة في الامم المتحدة قد تم بموافقة اغلبية الساحة الفلسطينية، ووجد عند ذلك من يهاجم هذه الخطـوة، فقـد اكـدت التجـربـة العمليـة مدى سلامتهـا واصبحت القناعة بها شاملة. وبعد ان اصبحت المنظمة عضوا مراقبا في اليـونسكـو ومنظمـة العمـل الـدوليـة ومنظمة الصحة العالمية وغيرها، تطلعت لكي تصبح عضوا في صندوق النقد الدولي.

انطلقت المنظمـة من هذه الخطـوة الى اقـامـة علاقات ثنائية مع العديد من الدول وافتتحت مكاتب لها فيها. وقد اعطت اهتماما لدول العالم الثالث في دوائره الاسلامية والافريقية والآسيوية وعدم الانحياز، واصبحت عضـوا كامـل العضـويـة في المـؤتمـر الاسـلامي ومؤتمر عدم الانحياز، وعضوا مراقبا في مؤتمر الوحدة الافريقية.

وقـد شهـدت نهايـة السبعينـات افتتاح مكتب للمنظمة في ايران احتـل مبنى السفـارة الاسـرائيلية التي جرى اغلاقها بعد انتصار الثورة الاسـلاميـة هنـاك، وافتتاح مكتب للمنظمة في تركيا تبعته زيارة رسمية لرئيس اللجنـة التنفيـذية الى انقره. وهكذا تم طرد اسرائيل من العمق العـربي في الشـرق ـ نعني ايـران ـ وبقي ان تطرد من العمق العربي في الشمال ـ نعني تركيا ـ وفي الجنوب ـ نعني اثيوبيا ـ ليتحقق مزيد من امن الوطن العربي ونستكمل عزلها وشلها عن العدوان.

واعطت المنظمـة اهتماما لعلاقاتها بدول المنظومة الاشتراكية التي يقـودهـا الاتحـاد السـوفياتي. وحرصت على تقوية اواصر الصداقة مع هذه الـدول. وافتتـح مكتب للمنظمـة في موسكـو اخـذ وضعا رسميا، واستقبـل رئيس المنظمـة عدة مرات رسميـا، والتقى بأمـين عام الحزب وكبـار القـادة. وحـدث مثـل ذلـك في دول اوروبا الشرقية. وقد اعلن الاتحاد السوفياتي تأييده للحقوق المشروعة لشعب فلسطين، ودعا الى تطبيق سريع لقراري ٢٤٢ و٣٣٨ الصادرين عن مجلس الامن.

وتـابعت المنظمـة تعـزيز علاقاتها مع الصين التي كانت اول دولة

خارجية تعترف بالمنظمة كجزء من موقف متكامل يعترف بالحق الفلسطيني.

وبذلت المنظمة جهدها للنفاذ الى اوروبا الغربية خلال السبعينات. وقد بعثت بمجموعة مسؤولين اعلاميين تحركوا من خلال مكاتب اعلام جامعة الدول العربية. وتحركت على صعيد التنظيمات الشعبية والحزبية، وعلى صعيد العلاقات الثنائية الرسمية، وعلى صعيد الحوار العربي الاوروبي الحكومي والبرلماني. واتخذت موقفا ايجابيا من فكرة الحوار العربي الاوروبي، وعملت من خلاله على ايجاد حقائق جديدة تصل بالدول الاوروبية الى تطوير موقفها والاعتراف بالحق الفلسطيني وبالمنظمة. وقد وصلت دول المجموعة الاوروبية التسع الى الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني في بيان البندقية (حزيران/ يونيو ١٩٨٠) كما سبق ان ذكرنا. وكانت النمسا من بين الدول الاوروبية الاخرى، قد اتخذت موقفا متقدما واعترفت بالمنظمة رسميا، ومثلها كانت اسبانيا. وقد نجحت المنظمة بالتعاون مع الدول العربية في تطوير مواقف الدول الاوروبية من الحقوق الفلسطينية خلال العقد الماضي. ولكن هذه المواقف بقيت تحاول الموازنة بين هذه الحقوق وبين ما تسميه «امن اسرائيل». كما بقيت تتأثر الى حد كبير بالموقف الاميركي، ولم يقدر لها ان تتجسد في اجراءات عملية بعد، لا ولا ان تصوغ بمجموعها دورا اوروبيا واضحا في العمل لبلوغ التسوية العادلة.

وجابهت المنظمة على مدى السبعينات سياسة الولايات المتحدة الاميركية تجاه الصراع مجابهة شديدة. وحاولت في النصف الثاني من العقد النفاذ الى قطاعات في الشعب الاميركي للتأثير على السياسة الرسمية الاميركية. وكانت الادارة الاميركية قد اسهمت بوضوح في تدبير ازمة ايلول (سبتمبر) في الاردن عام ١٩٧٠، ثم في تدبير ازمة لبنان ربيع عام ١٩٧٣، وتولت الاجهزة الاميركية القيام بدور بالغ الخطورة في حرب السنتين تنفيذا للسياسة التي رسمها هنري كيسنجر

والتي اتجهت الى فرض التسوية على مراحل، والى ابعاد منظمة التحرير الفلسطينية، والى رفض فكرة اقامة دولة فلسطينية. وقد عمد كيسنجر الى تقييد الحكومة الاميركية بالاتفاقيات السرية التي ابرمها مع اسرائيل والحقها باتفاقية سيناء عام ١٩٧٥ بين مصر واسرائيل. وحين تولت ادارة الرئيس كارتر في مطلع عام ١٩٧٧، تحدث عن وطن للفلسطينيين، ثم عن الحقوق المشروعة للفلسطينيين في البيان السوفياتي الاميركي بعد ان كانت السياسة الاميركية تتحدث عن المصالح المشروعة للفلسطينيين، ولكن هذه الادارة اعتمدت سياسة متذبذبة تقوم على التقدم والتراجع. فكان ان اشارت الى حق تقرير المصير، ثم تراجعت الى المشاركة في حق تقرير المصير، ثم الى المشاركة في صنع مستقبلهم. وتراجعت عن البيان، وابرمت اتفاقيات كامب ديفيد التي جسدت هذا التراجع. واتجهت في صيف عام ١٩٧٧ الى تعديل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢، شريطة اعتراف المنظمة بالنص الخاص بضمان امن جميع دول المنطقة. ثم اتجهت في مطلع عام ١٩٧٨ الى سياسة الاجهاز على المنظمة التي عبر عنها قول بريجنسكي «مستشار الامن القومي»: «وداعاً لمنظمة التحرير». ثم لم تلبث مع فشل هذه السياسة ان اعادت النظر فيها، وبدأت تفكر بموقف آخر. وقد بدت هذه السياسة مناقضة لشعار حقوق الانسان الذي رفعته ادارة الرئيس كارتر. وسبب تذبذبها عدم ثقة اكثر الدول العربية بها وفقدان احترامهم لها.

تصدت المنظمة لهذه السياسة بعناد شديد، ووظفت علاقاتها العربية والدولية لمقاومتها، ونجحت في الصمود امامها. ورفضت الاستجابة للشرط الاميركي لمباشرة الحوار معها. وقامت في الوقت نفسه بجهود تلفت النظر للنفاذ في بعض اوساط الشعب الاميركي. ووضعت نصب اعينها ان تصبح قضية فلسطين واحدة من القضايا التي تؤثر على ضميره وعلى مصالحه. ونجحت في اقامة صلات محدودة مع بعض رجال الكونغرس، ثم مع بعض قيادات السود، ورجالات

الحركة المعادية للحرب. وقامت مؤخرا بتنظيم الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة والتواصل مع الجالية العربية هناك.

لقد اوصلت السبعينات الى طرح مجموعة اسئلة تتعلق بعلاقات المنظمة الدولية، وبالسياسات الدولية في المنطقة.

هل طرأ تغير على مكان اسرائيل في الاستراتيجية الاميركية تجاه منطقة الوطن العربي بعد اتفاق كامب ديفيد؟

هل ستغير الولايات المتحدة موقفها من منظمة التحرير الفلسطينية؟ وهل ستعترف بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين؟

هل يتم التوصل الى اتفاق بشأن منطقة الوطن العربي بين الدولتين الاعظم؟

كيف يمكن ان يطور الاتحاد السوفياتي موقفه من الحقوق الوطنية لشعب فلسطين؟

كيف نوجه العلاقة السوفياتية ـ العربية والسوفياتية ـ الفلسطينية لفرض انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة؟

كيف يمكن ان نوجه اوروبا الغربية للقيام بدور فعال في فرض انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة؟

كيف نعمل لطرد اسرائيل من المنظمة الدولية، ولفرض العقوبات عليها، ولتمكين الامم المتحدة من تنفيذ قراراتها؟[١٠]

★★

لا يكمل هذا الحديث عن جهود المنظمة على شتى الصعد الا بتطرقنا الى الصعيد الاسرائيلي اليهودي.

لم تهمل المنظمة في تحركها خلال السبعينات هذا الصعيد،

---

١٠ ـ تراجع «شؤون فلسطينية» للتوسع في التحرك الفلسطيني على الصعيدين العربي والدولي. وكذلك مجلة «دراسات فلسطينية»(Journal of Palestine Studies) التي تصدر بالانكليزية عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

فاعطته شيئا من اهتمامها. وكان ذلك امرا جديدا في النضال الفلسطيني والعربي عامة. وقد تفاعل في الوصول اليه عاملان: اولهما هو ازدياد معرفة الثورة الفلسطينية بواقع اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ نتيجة تقدم الدراسات الفلسطينية في هذا الميدان، ونتيجة التفاعل المباشر في ساحة الصراع داخل الاراضي المحتلة، والعامل الاخر هو الثقة بالنفس التي اورثتها الثورة الفلسطينية للفلسطيني والعربي عامة، والتي ابرزت منطق الفعل والتأثر. وهكذا اصبح النضال الفلسطيني يتتبع دقائق ما يجري داخل الكيان الاسرائيلي، ويحاول التأثير عليه، وكان النضال قبل ذلك يتعامل مع هذا الكيان من خلال نظرة عمومية غير دقيقة لا تثمر الا احكاما عامة. ولكن يمكن القول، في الوقت نفسه، ان المنظمة لم تعط هذا التحرك الاهتمام اللازم كله، وتقيدت حركتها فيه برواسب المرحلة السابقة وبضغوط اسرى العموميات في الساحة العربية وبعدم الوضوح الكامل فيه.

تعرفت المنظمة على حركات الرفض الاسرائيلية التي ظهرت اواخر الستينات كما تبين، واحتكت بفلسطينيي الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ لاول مرة - وهم جزء من الشعب الفلسطيني انقطع التواصل معه بين عامي ١٩٤٨و١٩٦٧ - واوصلها ذلك الاحتكاك الى التعرف على حزب راكح الشيوعي الاسرائيلي الذي يضم عددا هاما من هؤلاء الفلسطينيين، ثم الى التفاعل معه. كما تعرفت المنظمة على مواقف افراد اسرائيليين يرفضون التوسع الصهيوني، ومواقف اخرين يقلقهم الارهاب الصهيوني الموجه لعرب فلسطين. ودرست المنظمة بعناية برامج الاحزاب الاسرائيلية، وحددت مواقع كل منها.

كذلك التقت المنظمة خلال تحركها على الساحة الدولية بعناصر يهودية تقدمية ترفض الصهيونية كليا او جزئيا، وتدعو الى وقف التوسع الصهيوني ووقف الارهاب الصهيوني الموجه لعرب فلسطين. ودرست المنظمة دراسة اولية طبيعة تكون التجمعات اليهودية في الولايات المتحدة

واوروبا الغربية والشرقية، والعوامل التي تؤثر في توجهاتها، واقامت علاقات مع العناصر التقدمية فيها.

وانطلقت المنظمة من تفريقها بين الصهيونية واليهودية الى اتخاذ موقف ينادي بالحوار مع القوى التقدمية اليهودية، والتعاون معها في مواجهة الاطماع الصهيونية. كما اتخذت موقفا واضحا يؤيد بقوة حق اليهود في العيش على قدم المساواة في اوطانهم مع مواطنين، بما في ذلك يهود الوطن العربي. [11] ورحب خطاب فلسطين في الامم المتحدة عام ١٩٧٤ بأن يعيش اليهود في فلسطين مع شعب فلسطين بسلام بعد ان ينبذوا العنصرية الصهيونية. ثم قرر المجلس الوطني الفلسطيني عام ١٩٧٧ التوجه للحوار مع القوى التقدمية اليهودية. وقامت منظمة التحرير باللقاء مع حزب راكح باعتباره منكرا للصهيونية. وشهدت السبعينات دخول افراد اسرائيليين في منظمات الثورة، ومشاركتهم في بعض العمليات. كما شهدت توجه عدد من القيادات الاسرائيلية المعارضة للحوار مع المنظمة. وقد جابهت الاحزاب الصهيونية هذا التوجه بشدة تلفت النظر، كما قاومت هذا التوجه في التجمعات اليهودية في العالم.

وعلى الرغم من ان تحرك المنظمة على هذا الصعيد اوصل الى نتائج اولية هامة، وبدت فيه القوى الاسرائيلية الصهيونية في موقع الدفاع والعزلة وهي ترفض الاعتراف بوجود منظمة التحرير، فان حركة المنظمة في هذا المجال لم تأخذ مداها، وقيدتها فكرة رفض الحوار مع اليهود التي سادت في مرحلة النضال السابقة، وظهرت آنذاك كموقف دفاعي امام الهجمة الصهيونية، وضغوط اسرى العموميات في الساحة العربية الذين بقوا يعيشون في ظل تلك المرحلة ولم ينتقلوا الى المرحلة الجديدة في فهم الغزوة الصهيونية والتعامل معها. واساء الى

---

١١ ـ سعت المنظمة مع عدد من الدول العربية لاصدار اعلانات من هذه الدول تؤكد حق المواطنين اليهود الذين هاجروا منها في العودة. كما سعت لرفع اية اجراءات استثنائية طبقت عليهم بسبب الصراع، ونجحت في ذلك الى حد كبير.

هذه الحركة احيانا عدم الوضوح والاقدام على خطوات لم يتم بحثها بشكل كاف، الامر الذي ترك مجالا للتخوف والتحسب.

كانت اهم النتائج التي حققها هذا التحرك هو اسهامه في تفجير التناقضات داخل الكيان الاسرائيلي في الاتجاه المعادي للصهيونية، واسهامه في الاخلال في التطابق بين الحركة الصهيونية وتجمعات اليهود في عالمنا. ومن المؤشرات التي تلفت النظر ان عددا متزايدا من اليهود، داخل اسرائيل وخارجها، بدأوا يرفضون الصهيونية، وان عددا آخر منهم ممن لا يزال يعتنق الصهيونية يحاول ان يطرح لها مفهوما جديدا يزاوج بين اعتقاده انها حركة احياء يهودية وبين رفضه لممارساتها العنصرية.

لقد اوصلت السبعينات الى طرح مجموعة اسئلة تتعلق بتحرك المنظمة على صعيد يهود العالم واليهود الاسرائيليين.

كيف تصعد المنظمة مقاومتها المسلحة للاستيطان الصهيوني الذي اجمع العالم على ادانته؟

كيف تحاصر المنظمة مقاومتها غلاة الصهيونية الاسرائيليين وغير الاسرائيليين؟

كيف تغذي المنظمة الاتجاهات اليهودية المعادية للاستيطان والحرب والقمع؟

كيف تتحرك المنظمة في اتجاه اليهود العرب، ومن بينهم يهود فلسطين العرب؟

كيف تتحرك المنظمة في اتجاه دعاة الصهيونية الجديدة الذين يحاولون طرح مفهوم جديد للصهيونية يرفض التوسع والممارسات العنصرية؟

كيف تتحرك المنظمة بين تجمعات يهود الولايات المتحدة واوروبا الغربية واوروبا الشرقية؟

كيف تنظم المنظمة الحوار مع القوى التقدمية اليهودية؟

ان نظـرة على حصيلة جهـود المنظمـة في السبعينـات، تبين انها اوصلت الى نتـائج هامـة جدا على صعيـد بنـاء الكيـان الفلسطيني وممـارسـة الكفـاح المسلح واقـامـة شبكـة واسعـة من العـلاقـات على الصعيـدين العـربي والـدولي. وقـد اجلنـا الاستشهاد بما قاله الاستاذ يوسف تشـايتس، احـد ابـرز خبراء العـدو في الشؤ ون العربية، حول المنظمـة في مجلة «آفـاق اسـرائيلية» (Israel Horizons) لنختم به هذا الحديث:

«حين نتحدث عن منظمة التحرير الفلسطينية لا نحكي عن قوة عددية، فمن ناحية مدنية هناك شعب عدده ثلاثة ملايين نسمة او اكثر يضم مخيمات لاجئين وبورجوازيين بين اصحاب مهن حرة ونسبة كبيرة من ذوي الكفـاءات العـاليـة. وهناك، من ناحية عسكرية، عديد من المنظمات اكبرها واقواها فتح، تضم آلافا من الرجال المسلحين.

«تتمتـع المنظمـة بمكـانـة مرموقة في الدول العربية. فهي تحظى بالتأييـد الشعبي. وليس هنـاك ممثل للشعب الفلسطيني سواها. وليس ثمـة شك، على الصعيـد الـدبلومـاسي، في ان منظمة التحرير افضل حالا من اسـرائيـل. فعـدد الـدول التي اعـترفت بمنظمـة التحـريـر الفلسطينيـة يزيـد عن عدد الـدول التي تعـترف باسـرائيل. وللمنظمة ممثلون في الدول الغربية والشرقية.

«تعتبر منظمة التحرير نفسها اكثر المؤسسات ديمقراطية في العالم العـربي. وانصـافـا للحقيقة يمكن القول انه لا توجد هناك دولة عربية واحدة توجد فيها اجراءات ديمقراطية الى ذلك الحد.»[١٢]

ذلك هو حديث الحاضر والماضي عن مسيرة الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية في خضم الصراع العربي ـ الصهيوني على مدى السبعينات. ومن خلاله تعرفنا على مختلف جوانب صورة الحاضر

---

١٢ ـ مجلة «آفاق اسرائيلية» *Israel Horizons*، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٩ مقابلة مع البروفيـور تشايتس.

وحللناها، ورسمنا مجرى الاحداث كما تتالت فيما اصبح ماضيا، وطرحنا اسئلة محددة تتضمن الاجابة عليها رؤ انا المستقبلية لهذه المسيرة في الثمانينات. وذلك هو حديث المستقبل.

نعود الى السؤال المطروح:

ماذا نرى في آفاق الصراع العربي ـ الاسرائيلي خلال الثمانينات؟

وكيف ستكون مسيرة الشعب الفلسطيني وسط امته العربية، وهو يناضل من اجل تحرير وطنه في هذا العقد من السنين؟

اول ما نراه هو استمرار الصراع الذي سيحتدم احيانا، وسيحكم سير الاحداث في المنطقة لفترة اخرى. فواضح ان اسبابه ما زالت قائمة بعد ابرام اتفاقيات كامب ديفيد التي لم تعالج قضية فلسطين جوهر الصراع. وواضح ايضا ان المناخ الدولي كما يبدو في مطلع الثمانينات، سيساعد على النفخ في اواره، اذ ان من المتوقع ـ كما سجل مركز ابحاث الصراع في واشنطن ومؤسسة راند في كاليفورنيا ـ «ان الحروب المحلية سوف تزداد كثافة في الثمانينات، وان منطقة الشرق الاوسط والمحيط الهندي اصبحت، بعد اندلاع الثورة الايرانية، المنطقة الاشد خطورة بالنسبة الى الولايات المتحدة، على الصعيدين السياسي والعسكري.»١٣ ويلفت النظر ان الصراع حكم عالمنا بشكل حاد خلال هذا القرن، واتخذ ابعادا خطيرة لم تعرفها العصور الماضية. ومنذ الحرب العالمية الثانية ازدادت معاناة العالم الثالث من الصراع حيث تفجرت فيه نحو «مائة وخمس وعشرين حربا زاد عدد ضحاياها على ضحايا الحرب العالمية الثانية. وكان نصيب الشرق الادنى من الاسلحة المستوردة «المتطورة الفتاكة» ٣٠٪ من مجمل تجارة السلاح.»١٤

---

١٣ ـ جون كولي، الخطوط العريضة للسياسة الاميركية في الثمانينات، «كريستيان ساينس مونيتور» *(Christian Sciece Monitor)* ١٥/١/١٩٨٠ ترجمة مركز التخطيط.

١٤ ـ «النهار» ١/٦/١٩٨٠ عن نشرة ***Wim News*** المجلدة رقم ٤، خريف ١٩٧٩ محررتها فرانز هوسكن.

علينا، اذن، ان نوطن انفسنا على استمرار الصراع واحتدامه، ونهيىء انفسنا لمتطلباته، ونخوضه على شتى الصعد، فذلك هو قدرنا، وذلك هو السبيل الوحيد لبلوغ السلام العادل.

ان استمرار الصراع واحتدامه سيفرض استمرار الانشغال به على الصعيد الدولي، لما لمنطقة الوطن العربي من اهمية في الاستراتيجية العالمية، ولما للصراع من تأثير على الامن العالمي. وهذا الانشغال يعني استمرار المساعي الدولية للتوصل الى حل شامل، ومتابعة محاولات اقامة سلام في المنطقة. ومن هنا، فان من المتوقع ان تتداخل في الصراع العربي ـ الاسرائيلي جهود حرب وجهود سلام، استمرارا لما حدث في السبعينات. فعلينا من ثم، ونحن نخوض الصراع على شتى الصعد، ان نعتمد استراتيجية تتقن التحرك بين الحرب والسلام، وتجمع بين العمل العسكري والعمل السياسي انطلاقا من حقيقة ان الحرب هي سياسة بوسائل اخرى.

ان رؤيتنا لما سيكون عليه الحال في ظل هذا الصراع تقوم على ادراك ان حديث المستقبل يجمع بين التوقع والفعل. ذلك ان ما سيقع من احداث هو ثمرة تأثير ارادة الفعل على مجرى الاحداث. ومهمتنا في حديث المستقبل، وقد تعرفنا على هذا المجرى، ان نبحث في كيفية التأثير عليه. وواضح انه بقدر ما يكون عزم ارادة الفعل وتكون قوة الفعل، بقدر ما يكون التأثير. وواضح ايضا ان الفعل، عزما وقوة، يخضع ايضا للظروف المحيطة ولكيفية التعامل معها والاستجابة لتحدياتها. ومن هنا تبرز في حديث المستقبل مسألة الاحتمالات والبدائل والخيارات.

لقد كان الصراع العربي ـ الاسرائيلي منذ بدايته صراعا بين الامة العربية وشعب فلسطين كجزء منها من جهة، وبين الغرب الاوروبي الاميركي، والحركة الصهيونية جزء منه، من جهة اخرى. وطرأت مع استمرار الصراع على خريطة العلاقات التي تربط اسرائيل والحركة الصهيونية بالغرب، تعديلات بين حين وآخر. وشهدت

السبعينات نذر تعديل هام لم يأخذ مداه بعد على صعيد علاقات دول اوروبا الغربية باسرائيل. كما شهدت بالمقابل تعديلا بالغ الخطورة في خريطة القوى التي تكون الجانب العربي، بعد ان ابرمت قيادة مصر معاهدة سلام مع اسرائيل، واعلنت عن عزمها على عدم اللجوء الى الحرب في حل خلافات مصر واسرائيل وفي معالجة مشكلات الصراع بصورة عامة. وقد انشغلت قوى اخرى في عالمنا بالصراع بحجم متفاوت، فاكتسب اهمية دولية تجسدت في تعاظم انشغال الامم المتحدة به. ويمكننا ان نلاحظ ان تطور مجرى الصراع اوصل الى ان تصبح المواجهة المباشرة فيه قائمة بين شعب فلسطين من جهة واسرائيل التي تحتل ارض فلسطين وتغتصب حقوق الفلسطينيين من جهة اخرى. وتقف مع شعب فلسطين دول اخرى يهددها الخطر الاسرائيلي، تتحمل معه مسؤولية مواجهة هذا الخطر وتحرير الاراضي الفلسطينية والعربية التي تحتلها اسرائيل. ومن المتوقع ان يقوى التركيز، على الصعيد الدولي في الثمانينات، على المواجهة القائمة بين شعب فلسطين واسرائيل.

تتولى منظمة التحرير الفلسطينية - الممثل الوحيد لشعب فلسطين والتي تقود ثورته - هذه المواجهة وتحشد فيها قوتها. ولو اننا نظرنا في طبيعة هذه القوة لرأيناها تجمع بين جانب مادي وآخر معنوي، وتقترن فيها القوة العسكرية بالقوة السياسية. ومعلوم ان مفهوم القوة يقوم على التفوق العسكري بداية، ولكن القوة العسكرية وحدها ليست كافية لبناء سياسة فعالة. اذ لا بد لها من تنمية التحالفات، وتقوية العلاقات الدولية، وتعزيز الموارد الاقتصادية، واغناء القدرة على معالجة قضايا متنوعة في عالمنا. ١٥

ان لدى منظمة التحرير الفلسطينية قوة عسكرية قابلة للنمو والتطور. وتشمل هذه القوة العسكرية: قوات فدائية، وقوات شعبية،

---

١٥ - يراجع خطاب، سايروس فانس في الكونغرس يوم ١٩٨٠/٣/٢٩ وفيه شرح لمفهوم القوة «نيويورك تايمز» «New York Times» ١٩٨٠/٣/٣٠.

وقـوات نظـاميـة . وقـد نجحت المنظمة في تطوير اسلحة قواتها الى حد ليس بالقليل، والمجال امامها واسع لمزيد من التطوير. وهي قادرة على زيادة عدد قواتها بتجنيد اعداد جديدة من شعب فلسطين، وباستقبال متطوعين من الامة العربية ومن الاحرار في العالم. ومن المتوقع ان تبقى الثورة الفلسطينية مركز جذب للمناضلين بما تمثله من رمز للثورة في العالم.

كذلـك، فان لدى منظمـة التحرير الفلسطينية تحالفات قوية في عالمنـا. وقـد استطـاعت ان تقـوي علاقاتها الدولية. واكتسبت قيادتها قدرة على معالجة القضايا. وهي تتحرك من على الدائرة الفلسطينية في دائـرة عربيـة وفي دائـرة دوليـة اوسـع . ولـديهـا في تحركها اوراق يمكنها استخـدامهـا في الدوائر الثلاث. وعلى العموم، فان المنظمة قادرة، في المـواجهـة القـائمة بينها وبين اسرائيل، على الجمع بين الكفاح المسلح والنضال السياسي، والمزاوجة بين العمل العسكري والعمل السياسي.

ان الحـاجـة ملحـة، عند البحث في كيفية استخدام هذه القوة، الى الانشغال بالتفاصيل كي نتقن هذا الاستخدام، ولا نكون اسرى عموميات تشل قوانا او تبددها. ولا بد لنا، من ثم، ان نعالج جزئيات الصورة الشاملة ونصبر على هذه المعالجة، ونتقن ترتيب التفاصيل. ١٦

نبدأ بتوقع ما سيكون عليه حال الانفراج الدولي، لنتعرف على البعـد الـدولي في الصـراع العـربي ـ الاسرائيلي، ونحاول الاجابة عن الاسئلة التي ثارت من خلال حديث الحاضر والماضي.

لقد ثار سؤال هل ستنتهي ازمة الانفراج ام ستشتد؟ وثار سؤال كيف ستكـون العـلاقـات بين الـدولتـين خلال الثمانينات؟ وثار سؤال كيف سيكـون تعـامـل الدولتين مع الصراع العربي ـ الاسرائيلي في اي من الحالين؟

---

١٦ ـ شرحنا هذه الفكرة في مقالنا «افكار» مجلة «شؤون فلسطينية»، ايلول (سبتمبر) ١٩٨٠

لنا ان نتوقع استمرار ازمة الانفراج لفترة لا تقل عن العام، وقد تطول لتصل الى خمس سنين. ذلك ان ما تخرب خلال استفحال الازمة على مدى الشهور الماضية، يحتاج سنوات لاصلاحه. واذا كان الانفراج يعني هدوء التوتر بين الدول، فان العالم يدخل الثمانينات والتوتر شديد بين الدولتين الكبريين، وقد تعددت اسبابه وتنوعت وانتشرت بؤره على مواقع مختلفة من كرتنا الارضية١٧

لسنا هنا في معرض شرح اسباب التوتر وتحليلها. وما يهمنا في بحثنا هو ان الخلاف حول كيفية معالجة الصراع العربي - الاسرائيلي هو احد هذه الاسباب، وان منطقة الوطن العربي وفلسطين في قلبها هي احدى بؤر التوتر. ولقد عني كاتب هذه السطور بالتعرف على توقعات كبار المسؤولين عن السياسة الخارجية في الدولتين الكبريين وفي عدد من الدول الاخرى، بشأن مستقبل الانفراج من خلال احاديث مباشرة وغير مباشرة، فوجد ما يشبه الاجماع على ان الازمة ستستمر لفترة، وانها ستنعكس على معالجة الصراع العربي - الاسرائيلي ١٨

لنا ان نتوقع اذن ان تسود سياسة الاستقطاب في منطقتنا، وان تحاول الولايات المتحدة متابعة الانفراد في معالجة الصراع العربي - الاسرائيلي، ويحاول الاتحاد السوفياتي في الوقت نفسه متابعة معارضته لتلك المعالجة والعمل على افشالها. ولنا ان نتوقع ان تتأثر مواقف كل من الدولتين ازاء قضية فلسطين، بالمواجهة القائمة بينهما في اماكن مختلفة، وبسبب موضوعات اخرى.

لا بد لنا كي نحيط بابعاد هذا الوضع، ان نتعرف على سياسة كل من الدولتين تجاه الانفراج والصراع العربي - الاسرائيلي.

لقد اوضح سايروس فانس في خطابه امام لجنة الشؤون الخارجية، يوم ١٩٨٠/٣/٣٠، «ان الانفراج لا يمكن فصله عن

١٧ - يراجع مقال ***What Ever Happened To Detente*** في ***Time Magazine*** ١٩٨٠/٦/٢٣

١٨ - كان ذلك اثناء افتتاح الدورة الخامسة والثلاثين للجمعية العامة للامم المتحدة، ايلول (سبتمبر) ١٩٨٠

الردع، وان الردع يتطلب تضحيات». وذكر «ان الولايات المتحدة وهي تتطلع الى الثمانينات، تجد انها تواجه تحديا سوفياتيا خطيرا، فتعزيز القوات السوفياتية يجري على قدم وساق. وقد اظهر السوفيات استعدادهم لاستخدامها.»١٩ فاذا اخذنا في الاعتبار ان وزير الخارجية الاميركي السابق كان يمثل خطا معتدلا في الادارة الاميركية يقول ان هناك مصالح مشتركة بين اقوى اثنين في العالم، يمكننا ان نقدر الى اي مدى يذهب الخط الآخر المتطرف الذي يمثله بريجنسكي والذي يخالف هذا القول، ويعلن «انه يؤمن ان العلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي هي علاقة عداء في الجوهر».٢٠ وقد سار هذا الخط في طريق «اقامة تحالف عسكري بين الصين واليابان والغرب يكون هدفه مواجهة التوسع السوفياتي المتزايد في المحيط الهادي والشرق الاقصى.»٢١ ويمكننا ان نقدر ايضا الى اي مدى سيذهب الحزب الجمهوري ان فاز بالانتخابات، وهو الذي ينعي على الحزب الديمقراطي تساهله مع الاتحاد السوفياتي.

اما بالنسبة للصراع العربي ـ الاسرائيلي، فان الولايات المتحدة ملتزمة بتطبيق اتفاقيات كامب ديفيد التي ابرمتها مع مصر واسرائيل. وهي تتحدث عن منع النزاع في الشرق الاوسط والسلم الشامل في اطار ما نصت عليه الاتفاقيات ومع التشديد على صيانة امن اسرائيل وسلامتها. ولقد اوضح الرئيس كارتر في خطابه عن «حال الاتحاد» امام الكونغرس هذه السياسة بقوله: «اننا نعمل مع حلفائنا على منع النزاع في الشرق الاوسط. ان معاهدة السلام بين مصر واسرائيل انجاز بارز يشكل دعامة استراتيجية لاميركا ويعزز الاحتمالات من اجل سلام اقليمي وعالمي. ونجري الآن مزيدا من المفاوضات لتأمين حكم ذاتي

---

١٩ ـ خطاب سايروس فانس امام لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس، ١٩٨٠/٣/٣٠

٢٠ ـ سالي كولي «واشنطن بوست» Washington Post ١٩٧٩/١٢/٢١

٢١ ـ جون كولي «الخطوط العريضة للسياسة الاميركية في الثمانينات»، «كريستيان ساينس مونيتور».

كامـــل لشعب الضفــة الغـربيـة وقطـاع غزة. وكـذلـك لحل المشكلة الفلسطينيـة من جميـع نواحيها وصيانة سلام اسرائيل وامنها. ويجب الا يشـك احـد بالتـزامنا بأمن اسرائيل.»٢٢ كذلك اوضح فانس في خطابه الذي اشرنا اليه «ان التسوية الشاملة بين اسرائيل وجيرانها تبقى هدفا اميركيـا اوليـا، فهـو يعـزز امن اسرائيل الذي سنبقى ملتزمين به وامن جيران اسـرائيـل واستقـرار المنطقة.» ويأتي هذا التوجه ضمن ما اسماه مصلحـة الـولايـات المتحـدة في تحقيق السـلام في مناطق مضطربة من العـالم، وهي واحـدة من ثماني مصـالـح اميركية مركزة ذكر انها ستحكم السنوات العشر القادمة.٢٣ ولقد اكد ماسكي، وزير الخارجية الاميركي الجـديـد، هذا التوجه في خطابه امام الجمعية العامة للامم المتحدة يوم ٢٣/٩/١٩٨٠، وقـال: «اننـا اذ نسعى جاهدين لحل هذا النزاع فاننا ملتزمون بايجاد حل لمشكلة فلسطين من جميع نواحيها، وفي الوقت ذاته بالامن الـدائم لدولـة اسـرائيـل. ونحن لا تراودنـا اية اوهام فيما يتعلق بالصعـاب التي تكتنف هذا المسعى.» وطـالب جميـع اعضـاء الجمعية العـامـة ان يقدموا مؤازرتهم لهذه المفاوضات، لان كامب ديفيد برهنت حتى الآن ـ وبالنسبة للمستقبل ايضا ـ على انها اهم طريق يبعث على الامـل بالنسبـة للسلم في الشـرق الاوسـط.٢٤ ويلفت النظـر ان وزيـر الخـارجيـة الامـيركي كان يوجـه هذا الحـديث لدول اجمعت على ان اتفـاقيـات كامب ديفيـد فشلت في معالجة قضية فلسطين، وذلك حين تناولتها بالحديث في الدورة الطارئة التي انعقدت في صيف ١٩٨٠.

ان اقـدام الولايات المتحدة على ابرام اتفاقيات كامب ديفيد هو تعبـير عن المـرحلة الـراهنـة من السيـاسـة الاميركية تجاه منطقة الوطن العـربي. ولقـد شرح هذه السيـاسة شرحا مستفيضا هارولد سوندرز، مساعد وزير الخارجية الاميركي لشؤون الشرق الاقصى، في بيانه امام

٢٢ ـ خطاب كارتر «حال الاتحاد» يوم ٢٣/١/١٩٨٠ عن جريدة «اللواء» ٢٥/١/١٩٨٠

٢٣ ـ خطاب سايروس فانس يوم ٣٠/٣/١٩٨٠

٢٤ ـ خطاب ماسكي، سلسلة الوثائق الصادرة عن الامم المتحدة يوم ٢٣/٩/١٩٨٠

لجنة فرعيـة في مجلس النـواب الامـيركي في تموز (يـوليو) ١٩٧٩، وفي خطـابـه بسـانت لويس في مؤتمر حول الشرق الاوسط في تشرين الثاني (نـوفمـبر) ١٩٧٩. ويمكننـا ان نستخلص من شرحـه ان الـولايـات المتحـدة تستشعـر الاهمية البالغة للمنطقة التي يتجمع فيها من المصالح الامـيركيـة المهمـة والمختلفـة اكثـر مما يتجمـع في ايـة منطقـة من العالم النـامي. وان المتـابعـة النـاشطـة لتحقيق سلام عربي ـ اسـرائيـلي هي اسـاس لمتـابعـة المجمـوعة الكاملة من المصالح الاميركية في كل انحاء المنطقة. وان المنطقة هي من بين اسرع مناطق العالم تغييرا، فلا بد من استنبـاط اسـتراتيجيـة تستجيب لطبيعـة التغيـيرات. وتشمـل عناصر التغيـير التطـورات الاقتصـاديـة العميقـة التي تشهدها المنطقة، وبروز المشـاعـر الـوطنية بقوة وبأشكال مختلفة، واشتداد النزاعات الاقليمية، والسعي لامتـلاك الاسلحـة النـوويـة. وقـد ظهـر في المنطقـة ردا فعل معـاصـران على هذا التغيير، تمثلا في تأكيد الهوية الثقافية والدينية وفي الضغـوط التي تتعـرض لها انظمـة قائمـة. ومن الطبيعي ان يكون لهذا التغيـير اثـره على مكـان اسـرائيـل في المنطقـة، خصوصا وان اسرائيل تشهـد بدورهـا تغيـيرات دراماتيكية تتعلق بالحرب والسلام بعد مبادرة الرئيس السـادات. ومن هنا، فان الجهد الهادف الى السير في ثبات نحو حل النـزاع العـربي ـ الاسـرائيـلي يبقى العنصـر الـرئيسي في تصميم الـولايـات المتحـدة على المسـاهمة في تغيـير بنـاء مصالحها وضمان هذه المصالح في المنطقة. ولكي تخدم التسوية مصالح الولايات المتحدة لا بد ان تستجيب لمصـالـح شعـوب المنطقة. ٢٥وهناك مجالات خمسة تأتي في الـدرجـة الاولى من اهتـمام الـولايات المتحدة في الشرق الاوسط هي: تجنب المـواجهـة مع السـوفيـات في المنطقة التي لم تحدد فيها الخطوط بين الـدولتـين الكبريين، مع اهمية حرمان السوفيات من النفوذ فيها، وامن اسـرائيـل، والمـوارد النفطيـة في المنطقـة، والحفاظ على روابط ودية مع

---

٢٥ ـ بيان سوندرز عن قوى التغير في منطقة الشرق الاوسط امام لجنة الكونغرس، «النهار» ١٩٧٩/٣/٣١

الدول العربية المعتدلة، والانشغال بالمشكلات الانسانية النابعة من النزاع. «ولقد تبين لنا خلال السنوات الست الماضية (والحديث لسوندرز) ان الاستراتيجية التي ترتكز على ايجاد سلام عربي - اسرائيلي هي التي تخدم مصالحنا اكثر ما يكون. وهذا السلام يقتضي معالجة مسألة اساسية هي العلاقة بين اسرائيل وجاراتها الاخريات، وعلى الاخص اسرائيل والشعب الفلسطيني العربي. والشيء الذي نسعى اليه كشريك كامل في مفاوضات مستمرة هو اساس دائم للتوكيد على امن اسرائيل التام، وفي الوقت نفسه الاستجابة للحقوق المشروعة للفلسطينيين.»٢٦

لا بد لنا ان نشير الى افكار الحزب الجمهوري حول الصراع العربي - الاسرائيلي، ونحن في معرض التعرف على سياسة الولايات المتحدة تجاه الصراع، اخذين بعين الاعتبار ان الانتخابات الاميركية على الابواب. ويمكننا من خلال تصريحات المرشح الجمهوري، رونالد ريغان، ومن خلال خطابه في جمعية بني - بريت الصهيونية يوم ١٩٨٠/٩/٣ على الخصوص، الذي تناول فيه قضية الصراع بالتفصيل، ان نلاحظ ان الخطوط الاساسية لسياسة الحزب الجمهوري لا تكاد تختلف عن تلك التي شرحناها، مع نزوع نحو المزايدة لارضاء الصوت الصهيوني. واذا طرحنا جانبا المغالطات التي تضمنتها هذه التصريحات - وهي كثيرة سواء بالنسبة لحقائق الجغرافيا او لحقائق التاريخ - نجد ان هذه السياسة تنطلق من النظر الى اسرائيل باعتبارها «رمزا»، و«ضرورة استراتيجية، وشيئا ثمينا لمصالح الولايات المتحدة» و«ان اسرائيل يجب ان تبقى قوية وامنة». وان السلام مطلوب للمنطقة في هذا النطاق، وان من الخطأ اشراك الاتحاد السوفياتي في عملية السلام. وان الدبلوماسية الاميركية يجب ان تأخذ في الاعتبار الهموم الشرعية لجميع من في المنطقة. وان اساس التسوية هو قراري مجلس

---

٢٦ - خطاب سوندرز امام مؤتمر حول الشرق الاوسط في سانت لويس، «اللواء العربي والدولي» ١٩٧٩/١١/٨

الامن ٢٤٢ و٣٣٨، ولا بد من ازالـة الغمـوض القـائم في اتفـاقيـات كامب ديفيـد حول الـربـط بين المعـاهدة المصرية ـ الاسرائيلية والحكم الـذاتي في الضفـة والقطـاع، وان التفاوض يتم بين اسرائيل والاردن، وان اتفـاقيـات كامب ديفيـد يجب الا تقـود الى تغيـيرات اسـاسيـة في الوضع الامني او الى انسحاب القوات الاسرائيلية، ما لم يحقق الاردن والجـيران الاخـرون السـلام. وانـه لا يجوز التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينيـة، وانـما يكـون التعـامـل مع «ممثلين حقيقيـين» للعـرب الفلسطينيـين ملتـزمـين بالسـلام. وان الحـل الوحيد لمشكلة اللاجئين الفلسطينيـين هو دمجهم في الاردن الـذي صمم من قبـل الامم المتحدة ليكون الدولة الفلسطينية.»(٢٧)

ان ما نخـرج به من دراسـة السيـاسـة الامـيركيـة تجاه الصـراع العربي ـ الاسرائيلي. هو انها سياسة مشوشة مرتبكة عاجزة عن التكيف مع متغيرات طرأت في المنطقة ومع متطلبات السلام العادل. فهي تريد تسـويـة شاملة لانها تخشى ان يؤدي التوتر في المنطقة الى حرب اوسع، ولكنها تريد في الوقت نفسه الانفراد في فرض التسوية التي تراها. وهي تستشعر حجم مصالحها مع الدول العربية واثر موقفها المتحيز لاسرائيل على هذه المصـالـح. ولكنهـا لا تزال في الـوقت نفسـه، اسـيرة النظرة القـديمـة التي نظـر بها واضعو الاستراتيجية الاميركية لدور اسرائيل في المنطقـة، وقـد عجـزت عن التكيف مع حقيقـة الثورة الفلسطينية ومع التغـيرات التي طرأت في عدد من الـدول العـربيـة. ونـلاحظ ان هذه السيـاسـة الامـيركيـة تزعم انهـا غير قادرة على الـزام اسـرائيل بتنفيذ القـرارات الـدوليـة والامتنـاع عن القيـام باعمال تمثل عقبات عملية في طريق تحقيق التسـويـة. وهكـذا، لنـا ان نتـوقع ان تلقي هذه السياسة المشـوشـة المـرتبكـة بظلها الثقيل على مجرى الاحداث خلال السنوات القـادمـة، فتحـاول استمرار العمل منفردة، وتخوض صراعا مع الاتحاد

---

٢٧ ـ خطاب رونالد ريغان في جمعية بني ـ بريت بواشنطن يوم ١٩٨٠/٩/٣ (وثيقة رسمية).

السوفياتي في المنطقة، اوتعاكس جهود اوروبا الغربية في مجال تحقيق التسوية الشاملة، وتتخبط في تعاملها مع الدول العربية.

لقد تحمس الاتحاد السوفياتي لسياسة الانفراج في السبعينات. واعلن على لسان ليونيد بريجنيف انه سوف يستمر في عدم ادخار اي جهد للحفاظ على الانفراج ، وعلى كل شيء ايجابي تم تحقيقه في السبعينات للسير في اتجاه نزع السلاح، واحترام حق الشعوب في التنمية الحرة المستقلة، والحفاظ على السلام وتدعيمه. وهوينحي باللائمة على الولايات المتحدة ودوائر ذات نفوذ في بعض الدول لانها ـ كما قال غروميكو ـ «تود ان تبدد مكاسب سياسة الانفراج التي تحققت خاصة في السبعينات نتيجة لجهود طويلة ومضنية بذلتها دول عديدة». ويأخذ الاتحاد السوفياتي على الولايات المتحدة «انها اختارت السير في طريق ذي نزعة عسكرية يسمى الاستراتيجية النووية الجديدة، يوصل الى امكانية الاستخدام المحدود او الجزئي للاسلحة النووية، ويحاول ان يدخل في اذهان البشر فكرة مشروعية او امكانية قبول النزاع النووي». كما يأخذ عليها تأجيلها التوقيع على اتفاقية سولت ٢، واعتناقها عقيدة تسعى للسيطرة على المناطق الغنية في العالم بحجة ان لاميركا مصالح حيوية فيها، وتدخلها العسكري في بعض المناطق، وانفرادها في محاولة فرض تسوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي، وتشجيعها النزعة العسكرية في اليابان، وتواطؤها مع الصين. وينفي الاتحاد السوفياتي فكرة وجود خطر عسكري سوفياتي تعزو اليه الولايات المتحدة سبب تدهور الاوضاع الدولية وتضرب مثلا له ما حدث في افغانستان، ويعتبر ان تدخله هناك «جاء لمنع ظهور خطر مباشر يهدد امن الاتحاد السوفياتي على حدوده الجنوبية»، ويعلن «انه سوف يسحب قواته بالاتفاق مع حكومة افغانستان بمجرد زوال الاسباب التي ادت الى ادخالها وليس قبل ذلك». ويطرح الاتحاد السوفياتي مقترحات للعمل في المؤتمرات التي ستنعقد حول الانفراج العسكري ونزع السلاح في اوروبا، بشأن تخفيف التوتر في المحيط

الهندي، وبشأن نزع السلاح. . ٢٨

من الواضح اذن ان ازمة الانفراج ستستمر لبعض الوقت، ويرى بعض المراقبين ان الدولتين الكبريين ستعمدا الى الاتفاق على صيغة يتحقق فيها الانفراج مجزأ بالاتفاق على قضية بعينها، لان الاتفاق على كل القضايا مرة واحدة يحتاج وقتا طويلا، ان لم يكن متعذرا. وما يهمنا هنا هو ان احدى قضايا الخلاف في هذه الازمة هي قضية فلسطين وتسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

ان سياسة الاتحاد السوفياتي في هذا المجال تقول بايجاز: «ان صفقة كامب ديفيد المناهضة لمصالح العرب، قد اسفرت عن تزايد التوتر في الشرق الاوسط. وهي تضر بالمطالب العادلة للدول العربية، وبالحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين العربي الذي تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد له. وترمي هذه الصفقة الى الاستجابة لمطالب اسرائيل التوسعية، والى اقامة وجود عسكري اميركي في الشرق الاوسط»٢٩م وهي تستهدف في هذه المرحلة افشال اتفاقيات كامب ديفيد وصولا الى اتفاق دولي حول تسوية الصراع، يتم من خلال توافق الدولتين الكبريين. وهكذا، فان السياسة السوفياتية تتركز الان على معارضة ما تقوم به الولايات المتحدة. وهناك ما يشير الى ان الدولتين لم تتطرقا في اللقاءات التي تمت بينهما مؤخرا، الى هذا الموضوع تعبيرا عن ان الخلاف بالغ مداه. ومن الملاحظ ان الاتحاد السوفياتي لا يُفصل الحديث عن الحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين، وينطلق في حديثه عنها من قراري ٢٤٢ و٣٣٨.

يمكننا على ضوء هذا الفهم للخلاف الناشب بين الدولتين حول تسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي، ان نزداد فهما لمبررات التحركات التي قامت بها اطراف دولية اخرى للاسهام في تسوية الصراع. وفي مقدمة هذه التحركات التحرك الاوروبي الغربي، كما ان

---

٢٨ ـ خطاب غروميكو في الامم المتحدة يوم ١٩٨٠/٩/٢٣ (وثيقة رسمية).

٢٩ ـ المصدر نفسه

منها تحرك رومانيا، وتحرك دول عدم الانحياز.

لقد بدأ التحرك الاوروبي في اعقاب حرب ١٩٧٣، انطلاقا من ارتباط امن اوروبا بأمن الوطن العربي. ولم يكن امامه مجال اوسع للحركة ابان فترة الانفراج بين الدولتين، فبقيت اوروبا الغربية خارج اطار مؤتمر جنيف. ولكن المجال اتسع مع حدوث ازمة الانفراج فازداد التحرك، وحاولت دول المجموعة الاوروبية ان تمارس شيئا من حرية الحركة بعيدا عن الارتباط الكلي بالسياسة الاميركية، وتعبيرا عن دور اوروبي في تسوية الصراع بدأ يتحدد بوضوح على ضوء مصالح اوروبا في الوطن العربي.

وقد وصل هذا التحرك الى اصدار بيان البندقية الذي نص بوضوح على خطورة التوتر في المنطقة وضرورة بلوغ تسوية شاملة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي، وعلى ان الروابط والمصالح التي تجمع اوروبا والشرق الاوسط تفرض على دول المجموعة ان تلعب دورا خاصا وتقوم بعمل ملموس من اجل السلام. وقد حدد البيان اسس التسوية، مؤكدا على مبدأي حق كل دول المنطقة ـ بما فيها اسرائيل ـ في الوجود والامن، والعدل والمساواة لجميع الشعوب مما يفرض الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. واوضح ان المشكلة الفلسطينية ليست مشكلة لاجئين، وان الشعب الفلسطيني يجب ان يتاح له ممارسة حقه في تقرير المصير ممارسة كاملة، او انه يجب اشراك منظمة التحرير في التفاوض. وذكر البيان بضرورة ان تضع اسرائيل حدا لاحتلال الاراضي الذي تستمر فيه منذ نزاع ١٩٦٧.

لنا ان نتوقع ان تستمر محاولات التحرك هذه خلال الفترة القادمة، وستكون حصيلة تحرك دولة بعينها، كرومانيا مثلا، مفيدا في التعرف على وجهات نظر الاطراف في بعض القضايا التفصيلية. كما سيفيد تحرك دول عدم الانحياز في توفير مناخ صالح يساعد على فرض الانسحاب على اسرائيل ـ وخصوصا في نطاق الامم المتحدة حيث

يمكن ان يلح على فرض العقوبات على اسرائيل ويدعو لطردها من المنظمة الدولية. اما التحرك الاوروبي فلنا ان نتوقع ازدياد اهميته ابان ازمة الانفراج. ومن الواضح عدم وجود تطابق بين الموقفين الاوروبي والاميركي. ولنا ان نتوقع تزايد الخلاف القائم بين الموقفين. ومن الممكن ان تزداد فاعلية هذا التحرك الاوروبي لو نجح الاوروبيون في اقناع الاتحاد السوفياتي بفائدته وجرى بموافقة الدولتين الكبريين.

***

يمكننا على ضوء ما سبق ان نجيب عن الاسئلة التي برزت بشأن السياسات الدولية في المنطقة وعلاقات المنظمة الدولية. فحول مكان اسرائيل في الاستراتيجية تجاه منطقة الوطن العربي بعد ابرام اتفاق كامب ديفيد، نرجح الرأي الذي يرى ان هذا المكان قد تغير ولكن السياسة الاميركية لم تتواءم بعد مع هذا التغير، ولذلك ستعاني من التشويش والارتباك. وسيكون علينا، كعرب وكفلسطينيين، ان نؤثر بوسائل مختلفة على هذه السياسة في اتجاه انهاء دور اسرائيل كقاعدة عسكرية اميركية في المنطقة.

- على الرغم من ان الولايات المتحدة تعلن تشبثها بموقفها المعادي من منظمة التحرير وموقفها المنكر للحقوق الوطنية لشعب فلسطين، فان لنا ان نتوقع ان تفرض عليها العزلة التي تعانيها بسبب هذين الموقفين اعادة النظر فيهما، والقبول بالاجماع الدولي المؤيد لهذه الحقوق والمعترف بمنظمة التحرير مع استمرار محاولة ربط الكيان الفلسطيني بالاردن.

- ان المجال مفتوح امام تطوير الموقف السوفياتي من الحقوق الوطنية لشعب فلسطين، والتعاون على صعد عدة مع الاتحاد السوفياتي لفرض انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة. ولا بد من بحث عديد من الموضوعات التفصيلية التي تبرز في هذا النطاق، ومن بينها ان يمارس الاتحاد السوفياتي سياسة اوروبية تساعد على انجاح تحرك اوروبي ملائم، وان يوجه الاتحاد السوفياتي سياسته تجاه

مساعي الصهيونية لتهجير اليهود السوفيات بما يتفق مع المصلحة العربية ويقاوم العنصرية الصهيونية، وان يتبنى الاتحاد السوفياتي قرارات الامم المتحدة مجتمعة اساسا للحل ومنها قرار ١٨١ وقرار ١٩٤، وان يساعد على تطوير القوة العسكرية للمنظمة.

- على ضوء توقعنا لاستمرار التحرك الاوروبي، مطلوب التفاعل مع هذا التحرك لتوجيهه الوجهة التي تتفق مع حقوق شعب فلسطين. ولا بد من الانشغال بتفاصيل جزئيات هذا التحرك.

- لا بد لنا ونحن نقاوم سياسة الانفراد الاميركية في المنطقة، ان نسعى الى بلوغ حل عادل وشامل توافق عليه جميع الاطراف، ويكون منطلقا من استقلال المنطقة العربية، ومنسجما مع سيادتها وعدم انحيازها، وملبيا لمصالحها، كما لا بد لنا أن نعمل على مقاومة سياسة الاستقطاب في الوطن العربي، تعبيرا عن تمسكنا بذاتيتنا، ودفعا لاخطار هذه السياسة علينا

***

نأتي الى البعد الاسرائيلي في الصراع العربي - الاسرائيلي كما سيبدو في الثمانينات. فنلاحظ، بداية، ان موضوع الامن وموضوع التوسع سيبقيان هما الموضوعان المسيطران على العقلية الصهيونية. ولنا ان نتوقع، انطلاقا من ذلك، ان يبرز في اسرائيل اتجاه متطرف يفرض على بقية الاتجاهات ان تسايره وتلحق به، يتشبث بمقولات الاحتلال والضم والهيمنة. وقد رأينا امثلة على هذا الاتجاه في قضية الاستيطان وفي ضم القدس، وسيؤدي تطرف هذا الاتجاه الى مزيد من عزلة اسرائيل الدولية، والى بروز خلافات حول الاسلوب بينها وبين الولايات المتحدة الاميركية، والى احتدام الخلاف على الصعيد الاسرائيلي الداخلي وعلى صعيد يهود العالم، مع اتجاه اخر يرى بأنه لا مستقبل لاسرائيل الا بالخضوع لمتطلبات السلام.

ستسعى اسرائيل لمضاعفة قوتها العسكرية ٣٠ ويتوقع اسحاق رابين «ان ينتظر اسرائيل في الثمانينات نضال صعب على ضوء التطورات السياسية والاقتصادية في الولايات المتحدة لضمان القوة العسكرية المطلوبة. وبالتالي، سيكون لشبكة العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل تأثير حاسم في القدره على الاحتفاظ بالقوة العسكرية المطلوبة. ٣١» وسيبقى شاغل السياسة الاسرائيلية امر علاقتها بالولايات المتحدة الاميركية، والحفاظ على مكانها في الاستراتيجية الاميركية على ضوء التغيرات التي طرأت في المنطقة. وقد اوضح الجنرال يسرائيل طل «انه ليس ثمة شك ان العالم العربي اهم من اسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة الاميركية من الناحية الاستراتيجية، اي من ناحية العناصر الثابتة التي يجب اخذها بعين الاعتبار بصورة عامة، وذلك خلال التوقعات بعيدة المدى او خلال وضع الاستراتيجية. اما من يحاول تقديم اسرائيل على انها مركز استراتيجي هام للولايات المتحدة فهو ينسى او لعله يتناسى انه يتعرض الى اوضاع متبدلة والى اعتبارات خلاصتها ان بوسع الولايات المتحدة استخدام اسرائيل كوسيلة تكتيكية تماما. وعندما تقوم بذلك فان لهذا الامر اهمية استراتيجية بالنسبة الى اسرائيل. وعلينا ان نميز بين العناصر الزائلة والعناصر الاستراتيجية التي لا تتبدل. وهذا سيصل بنا الى ان من غير الممكن ان تكون اسرائيل دائما اهم من العالم العربي بالنسبة الى المصالح الاميركية ٣٢ ولنا ان نتوقع ان يقوى رأي في الاوساط الاسرائيلية يستشعر خطر الدور الذي تسنده الولايات المتحدة لاسرائيل كقاعدة عسكرية على مصير اليهود ومصالحهم، ويدعو من ثم الى دولة يهودية محايدة تضمنها الاتفاقات الدولية كسويسرا كما يقول غولدمان، وتتخلى عن الاراضي التي احتلتها مقابل السلام كما ينادي

---

٣٠ ـ يراجع ملف «امن اسرائيل في الثمانينات» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٨٠)

٣١ ـ اسحاق رابين «مشكلات امن اسرائيل في الثمانينات» في المصدر نفسه

٣٢ ـ يسرائيل طل، مجلة «الامن الاوروبي» كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٩، ترجمة مركز التخطيط.

بعض انصار حركة السلام الان. ولنا ان نتوقع امكانية ان يقوى اصحاب هذا الاتجاه مع حدوث تغيرات في اساليب معالجة الصراعه العربي - الاسرائيلي. وقد لاحظ رابين «ان جميع الاحزاب السياسية كانت متفقة على عدم العودة الى خطوط الرابع من حزيران «يونيو» ١٩٦٧ في اي حال من الاحوال ثم وافقت في معاهدة السلام مع مصر على اخلاء كل منطقة سيناء حتى الحدود الدولية السابقة بين مصر وفلسطين تحت الانتداب». كما لاحظ «ان الاعتراف بضرورة حل المشكلة الفلسطينية بطريقة تتيح للفلسطينيين الاشتراك بصورة فعالة في تقرير مصيرهم كعنصر مستقل عن الاردن اوعن اية جهة عربية اخرى، هو ايضا عنصر جديد في سياسات الاحزاب الاسرائيلية»٣٣

لنا ان نتوقع حدوث تغيرات اساسية في داخل التجمع الاسرائيلي خلال الثمانينات.

وقد سجل موردخاي روزنفيلد «ان الزمن يعمل لغير مصلحة اسرائيل ولاسباب عديدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: تردي الاوضاع الاقتصادية، وتفشي البطالة، وتزايد السكان، وتصاعد الشعور القومي عند العرب الاسرائيليين، واضطراب العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية» ولاحظ روزنفيلد «ان نسبة الضرائب في اسرائيل اعلى من اية نسبة في الدول الغربية، وان نسبة التضخم بلغت في العام الماضي ١٠٠٪، وان ١٠٪ من سكان اسرائيل اليهود هاجروا الى الولايات المتحدة خلال السنوات القليلة الماضية، وان هناك اسبابا تعوق اسرائيل عن المحافظة على تفوقها العسكري في الثمانينات منها الارتفاع الحاد في نفقات التسلح، ومنها ان اسرائيل ليست وحدها حجر الاساس في المصالح الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية الاميركية في الشرق الاوسط، فهناك السعودية ومصر.» ٣٤.

---

٣٣ - اسحاق رابين «مشكلات امن اسرائيل في الثمانينات» في ملف «امن اسرائيل في الثمانينات».

٣٤ - موردخاي روزنفيلد، مجلة «اسرائيل روند شاو» (المانيا الغربية)، ترجمة مركز التخطيط

ان المجـال واسـع امـام النضال الفلسطيني للتأثير على التجمع الاسـرائيـلي من داخله. ولا بد من رسم سيـاسـة واضحة تبين اساليب تحرك المنظمـة لمحـاصـرة غلاة الصهـاينـة الاسـرائيليـين، ولتغـذيـة الاتجاهات اليهودية المعادية للاستيطان والحرب والقمع، ولجذب اليهود العـرب ومن بينهم يهود فلسطـين العرب، وللتأثير على دعاة الصهيونية الجـدد الـذين يحاولـون طرح مفهـوم جديـد للصهيونية يرفض التوسع والممارسات العنصرية، وللحوار مع القوى التقدمية اليهودية تنفيذا لقرار المجلس الوطني الفلسطيني.

لنـا ان نتـوقـع ايضـا حدوث تغـيـرات اسـاسيـة في العلاقة بين اسـرائيـل والتجمعـات اليهـوديـة في العـالم، على ضوء المتغيرات التي طرأت على اوضـاع هذه التجمعـات، وعلى ضوء ما ظهـر بالتجـربـة العملية في المثل الاسرائيلي. وقد نبه غولدمان ان الفساد ينخر في الجسم الاسـرائيـلي، ولم ينـج منـه حتى الآن الا المؤسسة العسكرية والمؤسسة القضـائيـة، ومن ثم فان صورة الـدولـة اليهـوديـة بدأت تهتز في اذهان الكثـير ين. والمجـال واسـع امـام النضـال الفلسطيني للتحـرك بين التجمعات اليهودية في العالم بهدف محاصرة الصهيونية فيها.

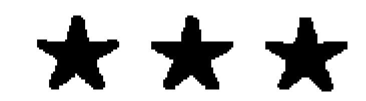
★★★

ستبقى مسـيرة الشعب الفلسطيني في الثـمانينـات متأثـرة بالبعد العربي في الصراع الى حد كبير. وتبر ز في الصورة العربية نقاط كثيرة لا بد من الاحاطة بها. ويضيق المجال هنا عن الحديث عنها. ومن هنا نكتفي باشارة سريعة الى ان الثمانينات ستشهد وطنا عربيا متغيرا يشتد فيه الجيشان على الصعيد الوطني بفعل تحولات اجتماعية تغير التركيب الاجتماعي فيه. ويثور فيه الصراع بين عرب وعرب بفعل عوامل مختلفة على الصعيد القومي. وتنشب فيه خلافات مع الدول المجاورة له التي تمثـل عمقـه. وستـبر ز في هذا الـوطن العـربي قضـايا محددة تستقطب اهتـمام جماهـيره. وستبقى قضيـة تحريـر الارض المحتلة من اهم هذه

القضايا. كما ستتعاظم قضية النضال من اجل احترام الانسان العربي في مجتمعه وقضية النضال من اجل سيادة الشورى والديمقراطية على صعيد الحكم في الوطن العربي. وسيتأكد مقياس العمل للوحدة العربية بايجاد الحقائق الوحدوية بين اجزاء الوطن العربي وبالنضال من اجل تلك القضايا.

على ضوء ذلك ستكون الحاجة ملحة لايجاد الموقف العربي الواحد من خلال العمل العربي الموحد، وللسعي من اجل اخضاع الصراع بين عرب وعرب الى متطلبات الصراع العربي - الاسرائيلي. وسيكون على منظمة التحرير ان تتقن التحرك وسط العمل العربي الموحد وعلى الصعيد الثنائي للمساهمة في صنع الموقف العربي الواحد. ولن تكون المهمة سهلة في غياب الزعامة العربية الموحدة.

ان نجاح الثورة الفلسطينية في بلوغ هدف التحرير سيرتبط بمدى نجاح المنظمة في تنظيم العلاقة الفلسطينية اللبنانية وتقنينها، وفي ايجاد صيغة عملية تحكم العلاقة الفلسطينية الاردنية، وفي رسم خريطة العلاقات في سورية الكبرى، وفي حشد طاقات العراق ودول الجزيرة العربية، وفي تغلب مصر على اخطار اتفاقيات كامب ديفيد وعودتها للقيام بدورها ضمن المجموعة العربية.



وبعد،

فمن الواضح ان منظمة التحرير الفلسطينية تغذ السير متقدمة نحو هدفها المرحلي الذي حددته. وعلى الرغم من وجود صعوبات كثيرة تعترضها، فان مجرى الحركة التاريخية في مطلع الثمانينات يتفق مع وجهتها. ويبقى ان تنجح المنظمة في معالجة هذه الصعوبات. وسيساعدها كثيرا ان تتسلح بالوضوح، مدركة مكانها كثورة تحرير، وواعية طبيعة عصرها، ومتحدثة بلغة العصر. وسيكون عليها ان

تنهض بمسؤوليات كثيرة على صعيد النضال العسكري والنضال السياسي، وان تتقن العمل ضمن مفهوم الثورة الشامل، وتعتمد على الفكر في عملها، وتعبر عن ذاتها وهويتها، وتدرك طبيعة المرحلة التي بلغتها الثورة، وتحسن التعامل مع التفاصيل. ولا بد لها كي تنجح في ذلك كله، ان تتمسك بالشورى والديمقراطية، وتستكمل بناء مؤسستها. ولنا ان نثق بأن هذا النضال سيتوج بالنصر والتحرير.

مستقبل الحوار العربي الاوروبي

ا ـ اضواء على المرحلة الراهنه في الحوار العربي الاوروبي

من جديد يستأنف الحوار العربي الاوروبي نشاطه، فتتسلط الاضواء عليه. وتثور تساؤلات حوله ويحتدم النقاش: اين وصل هذا الحوار في مساره؟ هل يمكن له ان يتغلب على الصعوبات التي تواجهه؟ ما هو مستقبله؟ وتساؤلات اخرى تتصل بهذه التساؤلات. وتطرح في معرض محاولات الاجابة عليها آراء متباينة. ووسط ذلك كله تشتد الحاجة الى الدراسة المتأنية العلمية التي تتوافر لها المعلومات الدقيقة.

سنحاول في هذا البحث ان نتعرف على المرحلة الراهنة التي دخلها الحوار لنحدد النقطة التي وصل اليها في مساره عارضين ما توافر لدينا من معلومات من موقع انشغالنا بالحوار. كما سنحاول رسم خط مسار الحوار بالربط بين مرحلته الراهنة والمرحلة التي سبقت وصولاً الى تشوف مستقبله وطرح الاحتمالات والبدائل والخيارات التي ترد ضمن رؤيتنا لهذا المستقبل. وهدفنا من ذلك ان نعمد كعرب الى بلورة موقفنا في الحوار مع الطرف الاوروبي.

★★★

يمكننا ان نعتبر ان الحوار العربي الاوروبي دخل مرحلة جديدة مع انعقاد اجتماع لوكسمبورج يومي ١٢ و١٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١ بين وفد عربي ووفد اوروبي . فقد جاء هذا الاجتماع «بعد فترة توقف في نشاط الحوار استمرت منذ ربيع عام ١٩٧٩ الى يوم انعقاده» . وجاء هذا الاجتماع تعبيرا عن «رغبة طرفي الحوار في استئناف نشاط الحوار العربي الاوروبي» . وقد «عقد لاول مرة منذ اقامة الحوار على المستوى السياسي . وكان الهدف الاساسي منه هو تحديد اتجاه الحوار وتحديد الاجراءات الواجب اتباعها في المستقبل لاستئناف الحوار في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والفنية والمالية والاجتماعية والثقافية»(١)

ان استئناف نشاط الحوار من جديد بعد ان توقف بفعل ظروف صعبة احاطت به وهددت مصيره ، تدعو الى الخاطر ما اوردناه في دراستنا الاولى عن الحوار ومساره في مرحلة الاعداد الفني كله «ان الحوار العربي الاوروبي هو عبرة تاريخ مشترك للحضارتين العربية والاوروبية وهو ضرورة مستقبل لهما في عالم الغد . وان بروز فكرة الحوار العربي الاوروبي على مسرح السياسة الدولية حدث له ما بعده . وقد دللت تجربة الحوار في مرحلته الاولى على انه تجربة واعدة»(٢) . وكذلك ما اوردناه في دراستنا الثانية عن الحوار ومساره في مرحلة اجتماعات لجنته العامة «ان الفرصة لتحقيق عمل كبير في نطاق الحوار العربي الاوروبي هي فرصة كبيرة . والمجال المفتوح امام هذا العمل هو مجال فسيح . وهذا ما نعنيه بكون الحوار ضرورة مستقبل . ولكن ذلك لا يعني ان مستقبله زاهر بالضرورة . فكم من فرص وجدت وكم من افكار وامور بدت كضرورة مستقبلية في حقب تاريخية مختلفة ، وكم من مجالات

---

١ ـ البيان المشترك الصادر عن اجتماع لوكسمبورج ١٣/١١/٨٠ ـ ملف اجتماعات الجانب العربي ٢٢/١٢/٨٠ الجامعة العربية .

٢ ـ احمد صدقي الدجاني، الحوار العربي الاوروبي : وجهة نظر عربية ووثائق، معهد البحوث والدراسات العربية ومكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٦ .

فتحت ولكننا رأينا البشر يعجزون عن تحقيق تلك الامور لاسباب مختلفة. وهكذا فان كون الحوار ضرورة مستقبل تعني ان الجهد المبذول فيه يسير مع حركة التاريخ ولا يعاكسها. ومطلوب ان يبذل طرفا الحوار هذا الجهد»(٣)

★★★

كان الحوار العربي الاوروبي قد برز كفكرة على مسرح السياسة الدولية في اعقاب حرب رمضان ١٩٧٣. ثم شقت الفكرة طريقها الى التنفيذ وسط صعوبات عدة. فتحت مباشرة الحوار على صعيد الخبراء اولا عام ١٩٧٥ ثم على صعيد اللجنة العامة منذ عام ١٩٧٦. واستكمل الحوار اطاره التنظيمي، وتبلور مفهومه الشامل كحوار حضاري له جوانبه السياسية والاقتصادية والثقافية، وتحددت مجالات النشاط فيه وآلية سير العمل(٤)

ولم يلبث ان دخل الحوار العربي الاوروبي بعد انعقاد الاجتماع الرابع للجنته العامة بدمشق في ديسمبر/كانون الاول عام ١٩٧٨ فترة عانى خلالها من اشتداد الصعوبات التي تواجه مساره. وبلغت هذه الصعوبات درجة اوصلت عمليا الى تجميد الحوار في اعقاب نقل مقر جامعة الدول العربية الى تونس بعد ابرام المعاهدة المصرية الاسرائيلية يوم ٢٦/٣/١٩٧٩، فكان ان توقف الحوار.

كان السبب الاصيل وراء توقف الحوار هو موقف الجماعة الاوروبية في اعقاب اتفاقيات كامب دافيد سواء فيما يخص امكانية استمرار الحوار الشامل بجانبيه السياسي والفني، او فيما يخص ما طرأ على الموقف العربي بعد تجميد عضوية النظام المصري في الجامعة العربية. وقد تفاعل هذا السبب مع سبب مباشر تمثل في اختلال «آلية

---

٣ ـ احمد صدقي الدجاني، منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الاوروبي، مركز الابحاث، بيروت، ١٩٧٩.

٤ ـ يراجع للتعرف على تفاصيل موضوع الحوار، الكتابان السالفا الذكر.

السير والاتصال» بين جانبي الحوار اثر نقل مقر الجامعة العربية من القاهرة وما نجم عن ذلك من افتقاد وثائق الحوار وفقدان تمويل نشاطاته وتوقف وحدة الحوار عن العمل. وقد حاول الجانب الاوروبي في مرحلة لاحقة ان يحمل الجانب العربي مسؤولية تجميد الحوار مشيرا الى طلب تقدم به عميد السلك الدبلوماسي العربي في بروكسل الى الهيئة الاوروبية يتضمن رغبة الجانب العربي ايقاف الحوار. وحقيقة الامر ان هذا الطلب كان مقصورا على الايقاف المؤقت الى حين بناء وحدة الحوار في الجامعة العربية بعد نقل مقرها، وكان يهدف الى معالجة مسألة دعوة لجان العمل المشتركة وفقا للمواعيد التي سبق تحديدها. وقد بادر الامين العام الجديد حال استلامه امور عمله بالاتصال بالجانب الاوروبي مبديا استعداد الجانب العربي لمتابعة الحوار.

بدت ملامح هذا الموقف الاوروبي منذ قيام الرئيس السادات بزيارة القدس في تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٧٧ بعد فترة قصيرة من انعقاد الاجتماع الثالث للجنة العامة للحوار ببروكسل. فقد برز وضع جديد اثر الزيارة صنع جوا جديدا احاط بالحوار. فمن جهة «تفجرت خلافات شديدة في الطرف العربي مع النظام المصري تميزت بالحدة واثرت تأثيرا سلبيا على تجسيد الارادة العربية المشتركة في موقف عربي واحد. ومن جهة اخرى اختلف رد فعل الطرف الاوروبي عن رد فعل غالبية دول الطرف العربي تجاه الزيارة. فقد ايدت الدول التسع الزيارة من حيث المبدأ، واعتبرتها جهدا يبذل لاقرار السلام. وتحفظت في الوقت نفسه ازاء احتمالات نجاحها مذكرة ان التسوية السياسية لازمة الشرق الاوسط لا تتم الا بمشاركة جميع الاطراف ووفقا لقرارات الامم المتحدة»(٥). وانشغلت دول الطرفين العربي والاوروبي عن الحوار في الوضع الجديد. وعانت الامانة العامة لجامعة الدول العربية اشد المعاناة فيه، وعمدت الى متابعة القيام بدورها في رعاية عمل لجان

---

٥ ـ تقرير لجنة التفكير حول الحوار، شباط ١٩٨٠

الحوار السبع فاستمرت اجتماعات هذه اللجان. وحال هذا الاستمرار في حده الادنى دون تجميد الحوار.

وكان مقررا ان ينعقد اجتماع اللجنة العامة الرابع في الخرطوم قبيل انتهاء النصف الاول من عام ١٩٧٨ ولكن ذلك لم يتحقق وامكن ان ينعقد الاجتماع في نهاية العام بدمشق، بعد حوالي شهر من انعقاد مؤتمر القمة العربي في بغداد الذي سبقه ابرام اتفاقية كامب دافيد بين الولايات المتحدة ومصر واسرائيل في ايلول/سبتمبر ١٩٧٨.

وكانت الدول الاوروبية قد اصدرت تصريحا في بروكسل بمناسبة توقيع اتفاقية كامب دافيد حيث فيه جهود اطرافه، وذكرت بموقفها المؤيد لتحقيق تسوية سلمية شاملة ودائمة، وبأسس هذه التسوية كما جاءت في تصريح لندن الصادر يوم ١٩٧٧/٦/٢٩، واعلنت ان «هذا الموقف لم يتغير». وعبرت عن املها بأن تكون نتيجة مؤتمر كامب دافيد «خطوة جديدة وحاسمة على طريق السلام العادل الشامل والدائم، وبأن يصبح بامكان جميع الاطراف المعنية ان تشارك في العملية التي ستتيح الوصول الى هذا الهدف»(٦). وحرص الجانبان العربي والاوروبي ان يتجنبا في اجتماع دمشق الاشارة الى اتفاقية كامب دافيد، واكدا مواقفهما السابقة. واستمر نشاط الحوار بفعل الدفع الذي ولده الاجتماع حتى كان ابرام المعاهدة المصرية الاسرائيلية فتوقف هذا النشاط.

اكد توقف الحوار في اعقاب ابرام المعاهدة المصرية الاسرائيلية حقيقة واكبت سير الحوار وهي مدى تأثره بمواقف جانبية ومواقف اطراف اخرى خارجة عنه، وعلى الخصوص الولايات المتحدة الاميركية.

كان واضحا هذه المرة ان الموقف الاوروبي من الحوار متأثر

---

٦ ـ تراجع الوثيقة في كتاب منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الاوروبي.

بالموقف الاميركي المتبني لاتفاقية كامب دافيد. وقد فرض موقف الولايات المتحدة على دول المجموعة ان تعطي هذه الاتفاقية «فرصتها» ولا تفعل ما من شأنه التأثير عليها سلبيا بطريق مباشر اوغير مباشر. وهكذا عمدت الجماعة الاوروبية، بعد اعلان موقفها من الاتفاقية المؤيد لها والمتحفظ نوعا عليها، الى تجنب البحث في الجانب السياسي من الحوار، كما عمدت في الوقت نفسه الى تجنب الحوار الفوري مع الجانب العربي بدون مصر حتى لا يبدو الجانب الاوروبي وكأنه يؤيد الاجراءات التي اتخذت بشأن تجميد عضوية مصر في الجامعة العربية. ولما كان البحث في الجانب الاقتصادي من الحوار دون الجانب السياسي غير مقبول من الجانب العربي فقد آثر الجانب الاوروبي ان يوقف الحوار لفترة.

يذكرنا هذا الموقف الاوروبي المتأثر بموقف الولايات المتحدة بما حدث في عام ١٩٧٧ حين بلورت الجماعة الاوروبية موقفها السياسي في مشروع بيان تم اعداده والاتفاق عليه في مطلع ذلك العام. وكان التوجه لاعلانه قبيل اجتماع اللجنة العامة بتونس في فبراير/شباط ١٩٧٧. ثم تأجل الاعلان استجابة لرغبة الادارة الاميركية الجديدة التي طلبت من حلفائها الاوروبيين اعطاءها فرصة لدراسة ملف الشرق الاوسط. وتم اعلان البيان يوم ٢٩ حزيران / يونيو من ذلك العام.

لقد طرح الموقف الاوروبي المتأثر بموقف الولايات المتحدة في اوساط الجانب العربي تساؤلا حول مدى استقلالية الجماعة الاوروبية عن حليفتها الكبرى. وذهب البعض الى معارضة التحول الاوروبي من اجل بلوغ السلام العادل، والى التشكيك بجدوى الحوار العربي الاوروبي. وسنتناول هذا الموضوع بالعرض والمناقشة في موضع قادم من هذه الدراسة.

يهمنا ان نتعرف على اهم ما جرى من احداث تتعلق بالحوار خلال فترة توقفه التي استمرت حوالي ثمانية عشر شهرا. وان نتابع

موقف كل من جانبيه العربي والاوروبي توطئة للحديث عن المرحلة الراهنة التي دخلها وعن مستقبله.

فأما الجانب العربي فقد استمر موقفه من الحوار كما كان. ولم تزد فترة انشغاله بنقل مقر الجامعة العربية الى تونس اكثر من شهرين. وقام الامين العام الجديد للجامعة العربية حال توليه امور منصبه باعطاء الحوار اهتمامه، وباشر دراسة سبل تحريكه. وتقدمت منظمة التحرير الفلسطينية بمذكرة الى مجلس الجامعة وفقا لعادتها شرحت فيها تطورات الحوار. وقد قرر المجلس في ١٧/١١/٧٩ بعد اطلاعه على تلك المذكرة وعلى مذكرة تقدمت بها الامانة العامة «تخويل الامانة العامة اتخاذ الاجراءات اللازمة وبالتنسيق مع الدول الاعضاء، لاستئناف الحوار العربي الاوروبي بناء على رغبة الطرفين». كما قرر «دعوة اللجنة العربية للحوار للنظر في الواقع الراهن للحوار بجانبيه السياسي والاقتصادي والتقدم بتوصيات محددة الى مجلس الجامعة. وتخصيص اجتماع لمجلس الجامعة على مستوى وزراء الخارجية لرسم سياسة عربية موحدة تجاه الحوار يتفق ومتطلبات المرحلة الراهنة، وتحديد اساليب التحرك العربي بشأن تلبية المطالب العربية»(٧). وحين انعقد مؤتمر القمة العربي العاشر في تونس بعد ذلك بايام اتفق على «التعاون مع دول المجموعة الاوروبية من اجل زيادة المصالح العربية الاوروبية المشتركة، ومن اجل تطوير مواقف المجموعة الاوروبية على اساس عدم الفصل في التعامل بين العلاقات الاقتصادية والمواقف السياسية لدول تلك المجموعة في القضايا العربية وحلقتها المركزية فلسطين(٨)

كان الجانب العربي في موقفه هذا يعبر عن قناعاته الاولية بشأن الحوار، ويعمل على استمراره، معتبرا ان تجميد عضوية مصر في

---

٧ ـ ملف اجتماعات الجانب العربي في الحوار ٢٢/١٢/٨٠

٨ ـ المصدر نفسه. والفقرة المذكورة هي فقرة د من البند التاسع من قرارات مؤتمر القمة العربي العاشر.

الجامعة العربية هو امر داخلي يخصه وحده ولا يغير في الخطوط التي تحكم العمل العربي المشترك.

اما الجانب الاوروبي فقد حدد انطلاقا من موقفه السياسي الاسس التي يمكن لدوله التسع استئناف الحوار بموجبها. وهي «اهمية الحوار البالغة ووحدة العالم العربي ووحدة المجموعة الاوروبية فيه. وتطور الحوار مع بلدان المجموعة العربية ككل. وشمول «انشطة الحوار لجميع الدول العربية. وعدم التدخل في اية قرارات لها طبيعة داخلية يتخذها اي بلد». وقد اعلن هذه الاسس السيد اوكنيدي وزير خارجية ايرلندا باسم دول المجموعة الاوروبية يوم ١٩٧٩/٩/١١. وتلا هذا الاعلان صدور احاديث لناطقين باسم المجموعة تتحدث عن التعامل مع جامعتين عربيتين. ولم تلبث هذه الاحاديث ان توقفت اثر اتصالات قامت بها الامانة العامة للجامعة العربية مع الجانب الاوروبي. وطرأ تغير على الموقف الاوروبي من ناحية اعتماد التعامل مع الجامعة العربية في مقرها بتونس، ومن ناحية التوجه الى اخراج الحوار من حالة الجمود بمباشرته على الصعيد الفني.

من الواضح ان هذا التغير لم يمس جوهر الاسس التي قام عليها الموقف الاوروبي وهو التعامل مع جميع الدول العربية. ولكنه مس الاسلوب مسايرا رغبة الغالبية العربية في التعامل مع الجامعة العربية التي تجمعهم، ومبقيا في الوقت نفسه علاقاته مع مصر. ولا شك في ان تحرك الجانب العربي والتوجه الذي عبر عنه في قمة تونس اقنع الجانب الاوروبي بضرورة هذا التغير في الاسلوب. وقد عمد الجانب الاوروبي في تلك الفترة كما اشارت بعض المعلومات الى تكليف نادي روما للدراسات المستقبلية اعداد دراسة عن التعاون العربي الاوروبي خلال العقدين القادمين(٩)

قام الامين العام للجامعة العربية خلال تلك الفترة بعقد اجتماع

---

٩ - تقرير لجنة التفكير.

تمهيدي في لندن يوم ٤/١٢/٧٩ مع الجانب الاوروبي، وآخر في تونس يوم ٧/٢/٨٠ ودعا عددا من الخبراء العرب في شؤون الحوار العربي الاوروبي للاجتماع في تونس يومي ٢٥، ٢٦/٢/٨٠

«بغية التفكير في موضوع الحوار والبحث في حاضره ومستقبله، ووضع تصور لطريقة استئنافه وتنشيطه». وذلك قبيل اجتماع اللجنة العربية للحوار، وبهدف التحضير له.

كانت دعوة الامين العام للجنة التفكير هذه تصرفا حكيما اثمر بناء موقف عربي متماسك من الحوار. وكانت فكرة اللجنة قد برزت لاول مرة قبل ذلك بثلاثة اعوام حين دعا الامين العام السابق الى تكوينها في ربيع ١٩٧٧ بالقاهرة. وقد خرجت لجنة التفكير من اجتماعها بتونس بتقرير مركز واف حددت فيه المرحلة التي يمر بها الحوار وواقع الحوار واسباب تجمده، وطرحت مجموعة اسئلة حول اسس مواصلة الحوار من وجهة نظر الجانب العربي والاوراق التي يود هذا الجانب طرحها على مائدة الحوار، وكيف يكون التوجه لمواصلة الحوار. وشرحت اللجنة في تقريرها اسباب تعثر الحوار قبل تجمده، وتوصلت الى مجموعة نتائج محددة فيما يخص مستقبل الحوار.

لقد رأى التقرير ان هذه الاسباب تتصل بالاسباب التي ادت الى بروز فكرة الحوار على مسرح السياسة الدولية. «فالمجموعة الاوروبية اتجهت للحوار في اعقاب حرب ١٩٧٣ ابان ازمة الطاقة لاسباب تتعلق باحتياجاتها النفطية وبأمنها وبتطلعها للاستفادة من الاستثمارات العربية. والمجموعة العربية اتجهت للحوار لاسباب تتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي وقضية فلسطين وبالامن العربي عموما وبتنمية الوطن العربي وتحقيق تقدمه التقني. ولقد تم بفعل ظروف سياسة دولية استبعاد موضوع النفط من الحوار، ونجم عن ذلك وضع بدا فيه ان اهمية الحوار تضاءلت. واثر هذا الاستبعاد على موضوعات اخرى منها موضوع الاستثمارات، وموضوع نقل التكنولوجيا، فضلا عن الجانب السياسي بكليته. ويبرز منذ بداية الحوار تأثر السياسة

الاوروبيــة تجاهــه بمــواقف اطراف اخرى منـه، وعلى الخصـوص الولايات المتحدة الاميركية والصهيونية العالمية واسرائيل. كما برز ايضا تأثـر جانبي الحـوار في موقفهما من الحوار بالعلاقات الداخلية القائمة في كل من المجموعتين العربية والاوروبية».

وهكذا رأى التقرير «ان اهم اسباب تعثر الحوار خلال مساره هو ان الاوراق التي يملكهـا كل من جانبيـه ويتطلع اليهـا الجانب الآخر لم تطـرح بشكـل مباشر وواضح على مائدة الحوار. وهكذا لم يحدث تقدم في الجـانب السيـاسي وفقـا لما كان يتطلع اليـه الجـانب العـربي. كما لم يحدث تقـدم في موضـوع الاستثـمارات وموضوع التجارة وموضوع نقل التكنـولـوجيـا وفقـا لمصـالـح الجانب العربي. وبالمقابل لم يجد الجانب الاوروبي في الحوار المجال لتحقيق التعاون النفطي والتعاون في ميدان الاستثمار لتغطية ما يتحدث عنه من عجز في ميدان التبادل التجاري بين دول المجمـوعـة والدول العربية». واشار التقرير ايضا الى ان مما ساهم في تعثر الحوار موقف الجانبين من تمويله، وعدم استكمال اجهزته في اول الامر.

اما النتائج التي توصل اليها التقرير على ضوء قرار القمة العربية العـاشـرة ففي مقـدمتهـا «ان المصلحة العربية على الصعيدين القومي والقطـري تـوجب التـوجـه للحـوار مع المجمـوعـة الاوروبية بصورته الشـاملة وضمن صيغتـه الـراهنـة كحـوار بين مجمـوعتـين. لان طبيعة القضـايـا المتعلقـة بأمن المنطقتـين وبمصالحهما المشتركة تقتضي صيغة هذا التعـاون الشـامل الذي يتكامل مع العلاقات الثنائية بين دول كل من المجمـوعتـين. وتجدر الاشارة الى اهمية المناخ الذي يوفره التقدم في الحـوار من اجـل نمـو هذه العلاقات الثنائية». ودعا التقرير الى تطبيق الاســتراتيجيــة العــربيــة القـائمـة على عدم الفصـل بين السيـاسـة والاقتصـاد، واعتـماد الحـوار بصـورتـه الشـاملة وبـابعـاده السيـاسيـة والاقتصـاديـة والثقـافيـة. كما دعا الى رسم سياسة عربية مشتركة تجاه حاجات الدول الاوروبية من النفط تؤمن على الاخص مصالح الدول

العـربيـة المتتجـة. وركـز على اهمية توفـير المـال الـلازم للمشروعات المشتركة في الحوار والمال اللازم للدراسات الجدوى وانشطة الحوار. ودعا الى استكشاف مدى استعداد الجانب الاوروبي لاقامة علاقات خاصة في ميـادين التعـاون. والانطـلاق في متابعة الحوار مما تم التوصل اليه في الاجتـماع الـرابـع للجنة العامة لاستلهام الخطوة القادمة. ونصح باتخاذ اجراءات معينة في عمل الحوار، وبتحقيق تنسيق بين النشاط العربي في الحـوار العـربي الاوروبي مع النشـاط العربي في مجال التعاون العربي الافريقي، وبتحقيق تكامل بين الحوار على الصعيد الرسمي الحكومي وعلى الصعيدين البرلماني والشعبي.

تضمنت وقفـة الجـانب العـربي لتقويم الحوار اجتماعا لرؤ وساء لجان عمـل الحـوار السبعة ومقرريها تلا اجتماع لجنة التفكير. وقد صدر عن هذا الاجتـماع تقـرير هام اوصى بربط عمل اللجان بالاستراتيجية العـربيـة وان تكون اللجان عند استئناف الحوار على صلة وثيقة بوحدة الحـوار. وان «تكـون الوحدة نفسها على اتصال دائم مع اجهزة التقرير العربية كي يكون لدى كل لجنة توجيهات تمكنها من تنفيذ العمل على الوجه المطلوب الذي يؤمن المصلحة العربية العليا». كما اوصى التقرير «بأن ينشأ في الامـانـة العـامـة بنـك للمعلومـات والتوثيق يكون جاهزا لامـداد اللجـان بكـل الدراسات. وكذلك بأن ينشأ جهاز قادر للترجمة وبيـان التعـابـير الفنية الموحدة المقابلة». واصدر توصيات اخرى بشأن العضوية ونوعية المجموعات المتخصصة والتمويل والاهتمام بالقطاعات التجـاريـة والمـاليـة بغيـة الحصول على تسهيلات «لان ذلك هو جوهر الجانب الاقتصادي من الحوار». (١٠)

انتهت وقفـة التقـويم تلك بقـرار اللجنة العربية للحوار تشكيل لجنـة يختار اعضاءها الامين العام «تكلف بالاتصال بالجانب الاوروبي استجـابـة للدعـوة التي وجهتها رئاسة المجموعة الاوروبية للامين العام

---

١٠ - تقرير رؤساء اللجان، شباط ١٩٨٠

بتـــاريـخ ٢٧ / ٢ / ٨٠، وابـلاغ الجـانب الاوروبي استعـداد الجـانب العـربي استئنـاف الحوار بجوانبه المختلفة الشاملة على مستوى اللجنة العـامـة، واستكشـاف الموقف الاوروبي بخصـوص المطـالب العربية السابقة التي نص عليها اجتماع اللجنة العامة بدمشق وهي :

١ ـ الاعتراف بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني .

٢ ـ اتخـاذ الجـانب الاوروبي اجـراءات فعـالـة في مواجهـة استمـرار الاحتـلال الاسـرائيـلي للاراضي العـربيـة المحتلة تجسـد ما اعلنـه من مبـادىء وتجـابه سياسة الاستيطان الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في فلسطين المحتلة .

٣ ـ عقد اجتماع مشترك لوزراء الخارجية العرب والاوروبيين(١١)

انطلق الجانب العربي بعد هذه الوقفة الجادة التي اثمرت صياغة موقف قوي واضـح من الحـوار بكـل جوانبه، الى التباحث مع الجانب الاوروبي. وقـد تميـز اجتـماع رومـا يومي ٦و٧/٣/ ٨٠ بين وفد الامانة العـامـة للجـامعـة العربية وبين الجانب الاوروبي بعمق مباحثاته وجو الصـراحـة الـذي ساده، وبما بدا فيـه من قوة المـوقف العربي وتماسك المنطق الذي يحكمه. ويمكن لمن يقرأ التقرير الذي سجل ما دار في هذا الاجتـماع ان يلاحـظ اثـره في صيـاغـة بيـان البنـدقيـة الـذي اصدرته المجموعة الاوروبية بعد حوالي ثلاثة شهور يوم ١٣/٦/ ٨٠.

اوضـح الجـانب الاوروبي هدفـه في بدايـة الاجتـماع ففكر «انه يبغي استئناف الحوار وتطويره، بعد ان تحقق الاتفاق على تكميل المسار ومتـابعـة الاتصالات بطريقة عملية وبدون شروط مسبقة». وطالب ان يبحث الجانبان معا في ارساء قاعدة سليمة للمتابعة وان «نكون عمليين ونتناول الجانب الاقتصادي بالبحث».

بدوره اوضح الجانب العربي هدفه كما حدده قرار اللجنة العربية للحـوار الـذي اوردنـاه وفيه «ابلاغ الجانب الاوروبي استعداد الجانب

---

١١ ـ توصيات اللجنة العربية للحوار، شباط ١٩٨٠

العـربي لاستئنـاف الحـوار الشـامـل بجـوانبـه المختلفة في اطار اللجنة العـامـة، وتـوضيـح وجهـة النظـر العـربيـة في كيفيـة انجـاح الحـوار، واستكشـاف المـوقف الاوروبي تجاه القضـايـا التي انشغل بها الحوار».

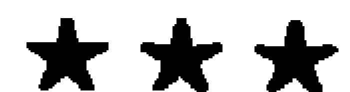
وشـرح الجانب العربي رغبته في ارساء قاعدة سليمة للمتابعة. واوضح ان ذلك يكون بالحوار الشامل للجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية الذي توافقت عليه الارادتان العربية والاوروبية منذ اجتماع القاهرة عام ١٩٧٥. وسأل الجانب الاوروبي عن موقفه من الحوار الشامل تحديدا، لان جوهـر القضيـة كامن في هذه النقطـة، واوضـح انـه ما لم نقر بمبدأ الشمولية فاننا سوف لا نتقدم بالحوار حتى على الصعيد الاقتصادي.

تضمنت المبـاحثات بعد ذلك تقويما صريحا لعمل لجان الحوار في جانبه الفني واسباب تعثر الحوار قبل توقفه، وملاحظات الجانب العربي على موقف الجـانب الاوروبي. واوصل ذلك الى اسئلة محددة طرحها الجـانب العـربي حول ما يريـده الجـانب الاوروبي من الحـوار على الصعيـدين السياسي والاقتصادي وحول تصوره لكيفية متابعة الحوار، ومـا اذا كانت لديـه ايـة ملاحظـات على اجـراءات الحـوار وآلية سير وطـريقة العمل. وقد اجاب الجانب الاوروبي اجابات اولية على هذه الاسئلة واقر بأنه «فيما يخص الحوار على الصعيد السياسي فان الجانب العربي طرح اسئلة هامة سيقوم الجانب الاوروبي بدراستها». واوضح انه اخذ علما بوجهات نظر الجانب العربي فيما يخص شمولية الحوار وانه سيرفعهـا الى رئـاستـه مع اقـراره بالمبـدأ «ولا رجوع الى الوراء في هذا المجـال». وقـال «ان اسئلة الجـانب العـربي جادة وتحتـاج الى اجـابـة جادة. ولا نريـد ان نكـون ديبلوماسيين في الرد عليها. وقد احيلت الى اصحـاب القـرار». وذكر الجانب العربي بالقضايا التي ما زالت تنتظر، فوعـد الجـانب الاوروبي بالرد واشار الى ان هذا الاجتماع تجاوز الاطار الـذي تصـوره له. وعـبر عن تقديره لما اتسم به الموقف العربي من النية الصادقة والصراحة والوضوح (١٢)

---

١٢ ـ تقرير عن اجتماع روما.

تلا اجتماع روما انعقاد مجلس الجامعة في دورته الثالثة والسبعين يوم ٢٦/٣/٨٠ وقد قرر المجلس شكر الامانة العامة على جهودها التي بذلتها في مجال الحوار العربي الاوروبي وتكليف الامين العام بمواصلة مساعيه الرامية الى استئناف الحوار على اساس القواعد التي اقرها مؤتمر القمة العربي العاشر.



كانت الكرة ما تزال في ملعب الجانب الاوروبي خلال ربيع عام ١٩٨٠ . فالموقف العربي واضح منذ اجتماع دمشق والجانب العربي ينتظر اجابات الجانب الاوروبي على اسئلته ليمضي قدما في الحوار.

وقد جاء تحرك الجانب الاوروبي في حزيران /يونيو١٩٨٠ اثر انعقاد القمة الاوروبية في البندقية، حين صدر عنها بيان بشأن الشرق الاوسط وتصريح عن الحوار العربي الاوروبي .

فأما البيان الذي جاء في احد عشر بندا فقد تضمن مجموع عناصر الموقف الاوروبي من «ازمة الشرق الاوسط». ويبدأ بالاشارة الى «التبادل العميق لوجهات النظر حول الوضع السائد في الشرق الاوسط» الذي تم بين رؤساء الدول ووزراء الخارجية «بكل ما اشتمل عليه من عناصر»، وبالحديث عن اتفاقهم «على ان التوترات المتزايدة في هذه المنطقة تشكل خطرا جديا صار معه من الضروري والاكيد واكثر من اي وقت مضى ايجاد حل شامل للنزاع الاسرائيلي العربي». ثم تحدث البيان عن دور خاص تقوم به دول المجموعة الاوروبية انطلاقا من الروابط التقليدية والمصالح المشتركة التي تجمع بينها وبين الشرق الاوسط والتي تملي عليها في الظرف الراهن ان تعمل لصالح السلام بطريقة ناجعة. وحدد البيان الاساس الذي يقوم عليه الموقف الاوروبي وهو قرارا مجلس الامن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ ومجموع تصريحاتها السابقة. ثم اعلن ان الوقت قد حان للمساعدة على اقرار وتطبيق المبدأين المعترف بهما دوليا. «وهما حق جميع دول المنطقة في

الـوجـود والامن بما في ذلك اسرائيل. والعدل الشامل لكل الشعوب مما يقتضي الاعـتراف بالحقـوق المشروعة للشعب الفلسطيني. وقام البيان بشـرح المبـدأ الاول واعلن استعـداد الـدول التسـع للمشاركة في نظام ضمانـات دوليـة ضمن اطار الحل الشامل. كما شرح المبدأ الثاني معتبرا ضرورة حل مشكلة فلسطـين حلا عادلا مع الاقـرار بانهـا ليست مجرد مشكلة لاجئين، وتمكين شعب فلسطين «من ممارسة حقه كاملا في تقرير المصير بطريقة ملائمة تضبط في اطار الحل السلمي الشامل».

واوضـح البيـان ان هذه المبـادىء تلزم كل الاطراف المعنية ومنها الشعب الفلسطيني ومنظمـة التحرير الفلسطينية التي ينبغي اشراكها في التفـاوض. واعـترف البيان بالاهمية الخاصة لقضية القدس ورفض اية بادرة تتخـذ من جانب واحـد وتستهدف تغيير وضعية القدس. واوضح ان اي اتفاق يخص وضعية المدينة ينبغي ان يضمن للجميع حق حرية الدخول الى الاماكن المقدسة. وذكر البيان بضرورة وضع اسرائيل حدا لاحتـلال الاراضي الـذي تمارسـه منذ عام ١٩٦٧. واوضح ان الدول التسـع مقتنعـة كل الاقتنـاع بأن المستـوطنات الاسرائيلية تشكل عائقا خطيرا لمسيرة السلام، وان هذه الدول تعتبرها مع التغييرات السكانية والعقـاريـة في الاراضي العـربيـة المحتلة غير شرعيـة في نظـر القـانون الـدولي. وطـالب البيـان بالعـدول عن العنف وعن التهـديد باستعمال القـوة لتـوفير مناخ من الثقة في المنطقة. وختم بالحديث عن قرار الدول التسـع اجـراء الاتصـالات الضرورية من جميع الاطراف المعنية بهدف التوصل الى صياغة مبادرة تصدر عنها.

قرنت الـدول التسـع اصدار هذا البيان باصدار تصريح ادلى به رئيس المجلس الاوروبي للصحـافـة عن الحوار العربي الاوروبي وعبر فيـه «عن الاهميـة التي توليهـا الـدول التسع للحوار في جميع المجالات، وضرورة توسيع افاقه السياسية. واعلن اتفاق هذه الدول «على انه من المنـاسب الآن عقـد اجتماع على المستوى السياسي بين الجانبين بهدف

المساهمة في تطوير التعاون والتفاهم المتبادل بين اوروبا والعالم العربي (١٣)

كان صدور هذا التصريح بعد اعلان بيان البندقية امرا له دلالته. فالاعلان جاء متضمنا اجابات الجانب الاوروبي على الاسئلة العربية. وقد اصبح في مقدور هذا الجانب بعد ان صاغ رده ان يعلن عن استعداده لمواصلة الحوار.

وجاء اعلان بيان البندقية بعد انتهاء المدة التي حددتها اتفاقيات كامب دافيد للفراغ من المفاوضات التي تبنتها حول الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة. وكان مقررا ان تنتهي في مايو/ ايار ١٩٨٠. وقد انتهت دون التوصل الى اتفاق بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة بشأن الحكم الذاتي. وهكذا نجد ان دول المجموعة الاوروبية الزمت نفسها بأن يأتي تحركها بعد ان تعطي التحرك الاميركي فرصته، مع اقتناعها بأن هذا التحرك لن يصل الى تحقيق التسوية الشاملة، وبأن دورها في هذا المجال ما يزال قائما.

وجاء اعلان بيان البندقية بعد فترة قصيرة من زيارة قام بها الرئيس الفرنسي ديستان الى بعض دول المشرق العربي عبرت من خلالها السياسة الفرنسية عن رغبتها في القيام بدور من اجل تحقيق التسوية الشاملة وعن حرصها على توطيد العلاقات الفرنسية العربية بصورة خاصة والعلاقات الاوروبية العربية بصفة عامة. وقد اعلن الرئيس ديستان اثناء زيارته تأييد فرنسا لحق شعب فلسطين في تقرير مصيره.

نلاحظ اخيرا حول توقيت اعلان بيان البندقية انه جاء في وقت كان الموقف العربي فيه قويا الى حد لا بأس به بعد ان صاغه من جديد مؤتمر القمة العاشر. كما ان الموقف الفلسطيني تميز داخل الموقف العربي بالتماسك.

---

١٣ ـ نص بيان البندقية ملف اجتماعات الجانب العربي.

لاقى اعلان بيان البندقية صدى واسعا في اوساط الجانب العربي وفي اوساط اطراف كامب دافيد وعلى الصعيد العالمي. واختلفت الآراء حوله. فأما الطرف الاسرائيلي فقد كان رد فعله ازاءه شديدا وطافحا بالعداء استمرارا للموقف الاسرائيلي من اي تطور يطرأ على الموقف الاوروبي في صالح الاعتراف بحقوق شعب فلسطين. ولم تخف الولايات المتحدة استياءها من اعلان البيان. وحرص وزير خارجيتها ادموند ماسكي ان يتجنب بيان حلف الاطلسي الذي صدر في اعقابه في تركيا تبني ما ورد فيه. اما على الصعيد العربي فقد تفاوتت ردود الفعل ازاء البيان بين النقد الشديد وبين الترحيب بما تضمنه من تقدم في الموقف الاوروبي وان كان محدودا. وانعكس هذا الوضع الى حد ليس بالقليل على تقويم الامانة العامة للجامعة العربية للبيان الذي تضمنه تقريرها «عن آخر ما سجل من تطورات في مجال الحوار العربي الاوروبي» الذي قدمته الى الاجتماع المشترك.

انطلق التقرير من قرار القمة الخاص بالحوار وقراري مجلس الجامعة التاليين له ليوضح ان هدف الموقف العربي كان في غاية الوضوح والثبات مع المرونة والاعتدال وهو «حمل الجانب الاوروبي على الخروج من مرحلة مجرد اعلان المبادىء في خصوص القضية الفلسطينية الى مرحلة اكثر ايجابية وعملية يمكن ان تتجسد في سياسة ملموسة تطلق الارادة الاوروبية الجماعية المستقلة لتؤدي دورا فعالا في احلال السلام العادل الدائم في الشرق الاوسط». وقد رأى التقرير انه «كان من المنتظر ان يصدر عن مؤتمر قمة البندقية موقف جديد. الا ان البيان الختامي بخصوص الشرق الاوسط لم يلب كل الآمال المعقودة نتيجة الضغوط الاميركية المكثفة وبقية اطراف كامب دافيد». واشار التقرير بعد هذا الحكم العام الى جوانب في البيان «يمكن اعتبارها ايجابية واخرى سلبية». واعتبر ان من الايجابيات عدم ذكر البيان لاتفاقيات كامب دافيد بالاسم وتسجيله تصاعد التوتر في المنطقة رغم

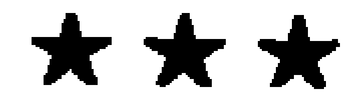
وجـود هذه الاتفـاقيـات واقـراره ان المشكلة الفلسطينيـة ليست مشكلة لاجئـين. واعـترافـه «بحق تقـريـر المصـير للشعب الفلسطيني المدرك لوجـوده كشعب»، ونصـه على «اشـراك منظمـة التحرير في التفاوض» رغم ان ذلـك لا يمثـل اعترافا صريحا بالمنظمة، وابرازه الاهمية الخاصة لمسألـة القـدس ورفض اي تغيـير في وضـع القـدس من جانب واحد، ومطـالبتـه بوضـع حد للاحتـلال الاسرائيلي للاراضي المحتلة منذ عام ١٩٦٧، واعتبـاره ان المستـوطنـات الاسـرائيلية عقبة خطيرة في طريق السـلام وانهـا غير شرعيـة في نظـر القـانون الدولي، واخيرا نصه على امكانية قيام البلدان التسعة بمبادرة في الشرق الاوسط.

امـا الجـوانب السلبية في البيان فمنها تشبثه بقراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨، وربطـه ممارسـة حق تقـريـر المصـير باطار الحل السلمي الشـامـل، وحـديثه عن «اشراك» المنظمة وليس «اشتراكها»، واغفاله الحديث عن الانسحاب حين عرض للقدس.

وانتهى التقـريـر الى القول بأن هذا البيان «لا يمثل تحولا جذريا في الموقف الاوروبي، ولا حتى مبادرة لحل القضية، او اقتراح مشروع لتسوية سلمية.. بل هوبيان يمكن اعتباره نقطة انطلاق لمسلك جديد نحو الحل العادل، خارج طريق كامب دافيد».

ان الحكم الـذي انتهى اليـه التقرير هوحكم مقبول على الرغم من وجـــود ملاحظــات على بعض ما ورد فيـــه لا يتسـع المجـال هنـا لايـرادهـا. وقد مثل هذا الحكم محصلة الآراء العربية والقاسم المشترك الاعظم لها. والحق ان بيان البندقية هوحلقة في سلسلة حلقات بدأت منذ بيان ٦ نوفمبر ببروكسل والتقدم الاساسي الذي طرأ في هذه الحلقة هو النص الصريـح على «حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني المدرك لوجوده كشعب». وقد جمع فيه كل ما جاء في البيانات السابقة. ومعلوم ان بعض الدول الاوروبية كانت قد اعترفت بهذا الحق على انفراد مثل فرنســا وحتى المـانيـة، كما كان كلا من المستشـار كرايسكي والمستشـار برانت قد اعلنـا اعـترافهـما به في اعقـاب لقائهما برئيس منظمة التحرير

الفلسطينيـة الاخ ياسـر عرفـات في فيينـا . ولكن المجمـوعـة الاوروبية مجتمعة لم تكن قد اتفقت على الاعتراف به قبل البندقية . وكانت تدور حولـه في بيـانـاتهـا السـابقـة . وقد جاء توقيت الاعلان في اعقاب ابرام اتفـاقيـات كامب دافيـد وفشـل محادثـات الحكم الـذاتي ليكسبه قيمة خاصـة ، وفيـما عدا ذلك بقي الموقف الاوروبي كما جسده بيان البندقية اسـير الضغـوط التي تقـع عليـه من داخـل المجمـوعـة الاوروبية ومن خارجها وقاصرا عن تمكين اوروبا الغربية من القيام بدورها المنتظر.



شهد صيف ١٩٨٠ تحركا اوروبيا نشطا يمهد لاستئناف الحوار، ويحـاول انضـاج مبـادرة اوروبيـة تنفيـذا لما جاء في بيان البندقية . وقد برزت في هذا التحـرك زيـارات السيـد جاستـون ثورن وزيـر خارجيـة لوكسمبـورج ورئيس المجمـوعـة الاوروبيـة الى المنطقـة العربية حيث التقى بعـدد من المسؤ ولـين العـرب من بينهم الاخ ياسر عرفات رئيس منظمـة التحـريـر الفلسطينية . وكانت المباحثات التي جرت خلال هذه اللقـاءات مفيـدة . واعتـبر لقـاء المبعوث الاوروبي برئيس المنظمـة في بيروت من انجـح هذه اللقـاءات ومثـل نوعـا من الاعـتراف الـواقعي بالمنظمة . وتكرر لقاء السيد ثورن بمسؤ ولي منظمة التحرير في الجمعية العامة بنيويورك اثناء انعقاد الدورة العادية . وتميز خطابه الذي ألقاه في الجمعيـة بتركيـزه على القضيـة الفلسطينيـة . كذلـك قام وفد اوروبي بزيـارة الامـانـة العامة للجامعة العربية يوم ٣٠/٧/٨٠ وطرح مجموعة مقترحات تتصل باستئناف الحوار العربي الاوروبي وتنشيطه . وقد بلور البحث مجموعة افكار طرحتها الامانة العامة بدورها على مجلس الجامعة العـربيـة في دورتـه الـرابعـة والسبعين الذي اتخذ قرارا يوم ١٥/٩/٨٠ «بتكليف الامين العام مواصلة الجهود لتنشيط الحوار العربي الاوروبي واستئنافه . . والموافقة على عقد الاجتماع التمهيدي المقترح مع التأكيد

على الاهمية الخاصة التي يوليها الجانب العربي لاجتماع اللجنة العامة على مستوى وزراء الخارجية»(١٤)

كان من اهم الافكار التي تبلورت خلال هذه الاتصالات «عقد اجتماع تمهيدي عربي اوروبي على مستوى سياسي يرأسه من الجانبين مسؤول بدرجة وزير دولة للشؤون الخارجية، وانشاء مجموعة عمل مشتركة». وقد تم الاتفاق بين الامانة العامة والرئاسة الاوروبية في اكتوبر ٨٠ على ان ينعقد هذا الاجتماع في لوكسمبورج مقر الرئاسة الاوروبية يومي ١٢و١٣ نوفمبر، وان يعلن فيه عن موافقة طرفي الحوار على عقد اجتماع عربي اوروبي على مستوى وزراء الخارجية، وقد عبر الممثل الاوروبي عن الاعتقاد «بأن هذا الاجتماع سيكون علامة لاستئناف الحوار، وان المجموعة الاوروبية ستحيطه بما يلزم من الاعلام لتحسيس الرأي العام بهذا الحدث». كما عبر الممثل العربي عن الاعتقاد «بأن هذا الاجتماع سوف يتيح الفرصة لاستخلاص ايجابيات الماضي وسلبياته، والخروج بتصور شامل للحوار يمكن اللجان المختلفة ان تستأنف اعمالها».

انعقد اجتماع لوكسمبورج في موعده في مقر المركز الاوروبي في كيرشبيرغ وسط نشاط غير عادي. كان اجتماعا مصغرا على مستوى رئاستي الجانب العربي والجانب الاوروبي في الحوار. وكان اجتماعا هدفه محدد هو اعلان استئناف الحوار والاتفاق على الخطوات التالية فيه. ومع ذلك فقد لفت اليه الانظار وجذب اهتماما شديدا وسبقه تحضير مكثف وحفل بأمور هامة، فتميز واكتسب اهمية خاصة جعلت منه بداية لمرحلة جديدة في الحوار.

يمكننا ان نشير بايجاز الى اربعة اسباب تضافرت لتكسب اجتماع لوكسمبورج اهمية خاصة فقد كان اول اجتماع رسمي يعقد في اطار الحوار منذ ان توقف في ربيع ١٩٧٩ . وكان اول اجتماع رسمي

---

١٤ ـ تقرير وفد الامانة الى الاجتماع

يعقد في اطار الحوار على المستوى السياسي حيث ترأس الجانبين وزير مسؤول في كل منهما ومثل الهيئة الاوروبية المسؤول الاول عن التعاون الاقتصادي كما مثل الجامعة العربية امين عام مساعد. وقد تحدد هذا المستوى السياسي للاجتماع في اعقاب اعلان دول المجموعة الاوروبية استجابتهم الصريحة للمطلب العربي بشأن الحوار. وكان اول اجتماع رسمي عربي اوروبي تتولى رئاسة الجانب العربي فيه منظمة التحرير الفلسطينية ومعلوم ان قضية اعتراف دول المجموعة الاوروبية بمنظمة التحرير هي من اهم القضايا المطروحة في الحوار. وآخر هذه الاسباب انعقاد هذا الاجتماع بعد ايام من نجاح رونالد ريغان في انتخابات الرئاسة الاميركية واتخاذه في اعقاب فوزه موقفا بالغ العداء لمنظمة التحرير الفلسطينية.

استمر العمل في هذا الاجتماع على مدى يومين. وتواصل في جلسات العمل الثلاث وفي اللقاءات الرسمية بينها. وختم بمؤتمر صحفي مشترك. وقد تميزت البيانات التي طرحت في الجلسة الاولى حول الجانبين السياسي والاقتصادي بالوضوح والموضوعية وكشفت عن الروح الايجابية التي تسود طرفي الحوار. وصدر عن الاجتماع بيان مشترك سجل اتفاق الطرفين على «انه من المناسب الآن عقد اجتماع عربي اوروبي على مستوى وزراء الخارجية» يعد له بعناية خاصة ويمكن عقده قبل عطلة صيف ١٩٨١، وحدد الخطوات اللازم اتخاذها لاستئناف الحوار والقيام بهذا الاعداد. كما تضمن البيان حديثا واضحا عن مواقف الطرفين ازاء تطور الاوضاع في الشرق الاوسط والايضاحات التي قدمها كل طرف. وتضمن ايضا اتفاق الطرفين على «تقصي امكانيات توسيع رقعة التعاون فيما بينهما في المجالات الاقتصادية التي تحقق مصلحتهما».

جاء نجاح المؤتمر الصحفي الذي عقد في اعقاب الاجتماع تتويجا للنجاحات التي تحققت فيه. وقد وفق الجانب العربي في شرح موقفه وافكاره، وفي ابراز نضال شعب فلسطين والدور البناء الذي تقوم به

منظمـة التحـريـر الفلسطينيـة. وانعكس ذلـك كله في وسائل الاعلام الغربية التي غطت اخبار الاجتماع تغطية جيدة(١٥)

وهكـذا دخـل الحـوار العـربي الاوروبي باجتـماع لوكسمبـورج مرحلة جديدة. وقد اكسبه نجاح ذلك الاجتماع قوة دفع. وحين ننظر في ملامح هذه المرحلة الجديدة نجد ان الحوار فيها قد نضج فلم يعد تجربة وليـدة في مهب الـريح، وانما اصبح تجربة راسخة لها تقاليدها. ونجد ان قناعة طرفي الحوار بضرورته لهما قد تأكدت، وتحددت بوضوح ابعاده وتكاملت. ثم نجد اخيرا ان الحوار انتقل من مرحلة البحث في الاسس والمبادىء العامة الى التفاصيل.

★★★

لقد تزامن مع انعقاد اجتماع لوكسمبورج قيام الجانب الاوروبي بانجـاز تقـريـر يعطي مضمـونـا ملمـوسا لمبادىء بيان البندقية. وكانت اللجنـة السيـاسيـة الاوروبيـة قد عهـدت الى مجمـوعة العمل الخاصة بالشـرق الاوسـط بهذه المهمـة. واعتبرت مجموعة العمل تقريرها حين قدمته «ليس الا وثيقة عمل للاستعمال الداخلي الغاية منها تنوير المجلس الاوروبي حول المشاكل التي تعترض تطبيق المبادىء التي يتضمنها بيان البنـدقيـة، وذلـك من اجل متابعة عمل الدول التسع، واحتمال القيام بمبادرة من جانبهم»(١٦)

ان ما يلفت النظـر في هذا التقـريـر هوغوصه في التفاصيل، فقد تضمن في صفحاته التي تتجاوز العشرين تفاصيل دقيقة تتعلق بالنقاط الاساسية الاربع التي اثارها وهي جلاء القوات الاسرائيلية المحتلة عن الاراضي العـربيـة المحتلة، وتقـريـر المصـير لشعب فلسطين، والامن والضـمانـات، والقـدس. وهـذا البحث في التفاصيل تعبير صادق عن المرحلة التي دخلهاالحوار.

---

١٥ ـ يراجع التقرير الذي نشرته عن الاجتماع مجلة شؤون فلسطينية يناير ١٩٨١ والمقالات التي ظهرت في بعض الدوريات الاسبوعية العربية المستقبل والحوادث والنهار ملف اللجنة العربية في الحوار.

١٦ ـ من مقدمة التقرير الاوروبي

جرى عرض هذا التقرير على اجتماع القمة الاوربية الذي انعقد بلوكسمبورج يوم ٢ ديسمبر ١٩٨٠ وقد سجل البيان الصادر عن الاجتماع «بأن المجلس الاوروبي كان متفقا على معالجة التقرير للموضوعات، وعلى ما اكده حول ضرورة ان تشكل هذه الموضوعات كلا واحدا، وان تجري معالجتها بعناية وبتنسيق فيما بينها».

وكان قد سبق انعقاد القمة الاوروبية انعقاد مؤتمر القمة العربي الحادي عشر بعمان اواخر شهر نوفمبر ٨٠ في غياب عدة دول عربية ومنظمة التحرير وقد قرر هذا المؤتمر «مواصلة الحوار العربي الاوروبي، والسعي من خلاله الى تحقيق الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني وبالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفق قرارات الامم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين وتمثيل الشعب الفلسطيني، وخاصة القرارين رقم ٣٢٣٦ و٣٢٣٧ الصادرين عن الجمعية العامة بتاريخ ٧٤/١١/٢٢ ورقم ٢/٧ بتاريخ ٢٩تموز ٨٠ ورقم ٣٣٧٥ بتاريخ ٧٥/١١/١٠».

★★★

واضح ان اهم عمل يجب انجازه في المرحلة الراهنة للحوار هو الاعداد المتقن لاجتماع وزراء الخارجية المرتقب هذا العام. وقد باشر كل من طرفي الحوار تحضير نفسه لتحديد مواقفه، وباشر الطرفان معا بحث مختلف الموضوعات المتعلقة بهذا الاجتماع.

جاء اجتماع اللجنة العربية للحوار الذي انعقد بتونس يومي ٢٢و و٨٠/١٢/٢٣ ليقوم بهذا التحضير على صعيد الجانب العربي ـ وقد وافق على النتائج التي توصل اليها الجانب العربي في اجتماع لكسمبورج وحدد مواعيد الاجتماعات التي تم الاتفاق عليها مع الجانب الاوروبي. واستكمل تعيين رؤساء اللجان ومقرريها واوصى مجلس الجامعة باعتماد ميزانية الحوار وبمجموعة توصيات تخدم حسن سير آلية الحوار.

وجاء اجتماع اللجنة المشتركة للتحضير لاجتماع وزراء الخارجية المشترك يوم
٨١/٢/٢٣ في لاهاي ليباشر الجانبان بحثهما المشترك. وقد شهد بحثا متعمقا في الموضوعات التي سيتضمنها جدول اعمال اجتماع وزراء الخارجية وحرص الجانب العربي على ان يوضح التزام الدول العربية مجتمعة بمتابعة الحوار بغض النظر عما يثور داخل الصف العربي من خلافات هي امر عربي داخلي لا يوقف تحرك الجانب العربي للتباحث مع المجموعات الدولية.

كما حرص على ان يؤكد معنى شمولية الحوار وتكامل ابعاده السياسية والاقتصادية والثقافية في معرض الرد على المقولة الخاطئة التي تتردد في اوروبا حول اهتمام الاوروبيين بالاقتصاد واهتمام العرب بالسياسة في الحوار. فالحق ان العرب ليسوا اقل اهتماما بالاقتصاد من الاوروبيين كما ان الاوروبيين بدأوا الحوار من منطلق سياسي مدركين متطلبات امنهم الاستراتيجي. وقد تجلى ذلك بوضوح في جميع وثائق الحوار. وشرح الجانب الاوروبي بيان البندقية معتبرا اياه اقصى ما يمكن ان يصل اليه الموقف الاوروبي، فذكر الجانب العربي الجانب الاوروبي بمطالبه على الصعيد السياسي منه واوضح ان باب الحوار مفتوح لتطوير بيان البندقية.

واجتمع خلال هذه الفترة رؤساء اللجان ومقرروها وفقا لما تقرر في اجتماع لوكسمبورج بهدف البحث في الموضوعات التي ناقشتها لجانهم وتحضير ما نضج منها للعرض على اجتماع وزراء الخارجية. وحين انعقد مجلس الجامعة العربية يوم ٨١/٣/٢٥ قرر تشكيل لجنة تضم تسعة من وزراء الخارجية العرب «تتولى على ضوء ما تعده الامانة العامة من الدراسات اللازمة وضع صيغة موحدة للمواقف العربية من القضايا الاساسية المطروحة على جدول اعمال الاجتماع المشترك لوزراء الخارجية العرب والاوروبيين». كذلك عقدت اللجنة المشتركة اجتماعها

الثـاني في تونس يوم ١/٤ وتـابعت بحثهـا في تفـاصيل الموضوعات التي ستنـاقش. كما درست امكـانية تحديد موعد الاجتماع في اكتوبر١٩٨١. ومن المتوقع ان يأخذ التحضير مزيدا من الجهد.

★★★

وضـح لنـا من خلال هذا العـرض اين وصـل الحـوار العـربي الاوروبي في مسـاره. وتكـونت لدينـا فكـرة عن نوعية الصعوبات التي تواجهه، وعن امكانات التغلب عليها. ويقي علينا ان نتشوف مستقبله في مقال آخر.

يمكنـنـا ان نوجـز رؤ يتنـا للمـرحلة الـراهنـة في الحـوار العـربي الاوروبي بأن العوامل التي تفاعلت لانضاج فكرة الحوار قبل سنوات ما تزال قائمة وهي عوامـل تاريخيـة وجغـرافيـة واستراتيجية وسياسية واقتصادية تحكمها طبيعة العصر وروحه(١٧). وقد تأكد لطرفي الحوار من خلال تجربتهما المشتركة فيه توافق ارادتيهما على مواصلته، وعزمهما من ثم على تذليـل الصعـوبـات التي تواجهـه. وسيكـون عليهما ان يحسنا التعامل مع معطيات المرحلة وصولا الى الاهداف التي اتفقا عليها.

ذلـك ان مستقبـل الحـوار ان كان يتأثـر بمـواقف اطراف اخرى خارجـة عنـه منـه، فانـه يتـوقف على كيفيـة تعامل طرفيه مع معطيات مصلحتهـما المشـتركـة ومـع تفـاعـل العـوامـل التي انضجت الحوار في المنطقتين العربية والاوربية. اي انه يتوقف بداية على مواقفهما منه.

ب - دور الجامعة العربية
في الحوار العربي - الاوروبي

مقدمة

بحثنا هذا محكوم بحقيقتين استشعر اهمية التذكير بهما، كي تكونا ماثلتين في اذهاننا.

الحقيقة الاولى: ان البحث متصل بأمة عربية لها اهداف مشتركة بلورها نضالها العربي عبر مراحل متتالية، وهي تعيش في ظل كيانات سياسية لها ارادات متعددة، تتوافق احيانا وتتضارب احيانا اخرى، والحاجة ماسة ما دام التعدد قائما الى صوغ ارادة واحدة من هذه الارادات بغية بلوغ تلك الاهداف.

الحقيقة الاخرى: ان هذه الامة العربية بكياناتها المتعددة تحاول ان تبلغ اهدافها في ظل عالم معاصر يحيط بها له صورته وتقسيماته وتكتلاته وتوازناته ومشكلاته وتحدياته، ولا بد لها من ان تدرك ذلك كله بعمق وتحسن التعامل معه وتشق وسطه طريقا لها.

تطرح الحقيقة الاولى قضية العلاقات العربية العربية، ودور الجامعة العربية فيها، قضية ترتيب البيت العربي، وتبرز لدى طرحها تساؤلات.

- كيف يمكن لهذه الدول عبر الجامعة صوغ الارادة الواحدة وترتيب البيت العربي؟

ما هي العلاقة بين هذه العملية وبين مباشرة النشاط الخارجي للعرب مجتمعين؟

هل ينبغي استكمال صوغ الارادة الواحدة استكمالا تاما؟ ام يكتفى بحد ادنى لان الحاجة الى مباشرة النشاط الخارجي ملحة؟ وهل يساعد هذا النشاط على استكمال العملية واتقان العمل؟ وهل الاحتكاك بالغير يساعد على معرفة الانا والتعامل معها.

هل يمكن للعمل العربي المشترك ان يصل الى التوافق بين البلدان العربية على ثوابت تحترم ولا تؤثر الخلافات التي تنشب فيها بينها عليها، وتكون بمثابة مقدسات لا تمس؟ وهل يمكن ان تكون فترة التعامل مع هذه المقدسات بمثابة اشهر حرم؟

- هل يمكن للعمل العربي المشترك في ظل الجامعة العربية ان يصل الى بلورة استراتيجية الكلية واهدافها التفصيلية ووضع تصورات لبلوغ هذه الاهداف، واستكمال حصر الامكانات العربية؟

هل يمكن ان تصبح الجامعة الخازن الامين للمعلومات والحاسوب والعقل؟ وهل ستوفر البلدان العربية الملاكات اللازمة للجامعة كي تقوم بهذه المهام؟

وتطرح الحقيقة الاخرى قضية العلاقات العربية الدولية ودور الجامعة فيها، وتبرز لدى طرحها تساؤلات.

- كيف تعمل البلدان العربية مشتركة لتحتل مكانها ككتلة بين الكتل، ولتشارك في رسم صورة عالمنا وفي صنع توازناته؟ وهل تحسم في اختيار العمل على بناء عالم متعدد الاقطاب بدلا من عالم يحكمه الاستقطاب الثنائي؟

كيف توظف البلدان العربية علاقاتها الثنائية على الصعيد الدولي لخدمة اهدافها المشتركة؟ وكيف تخضع هذه العلاقات لمتطلبات العمل العربي المشترك؟

- كيف يتحرك العمل العربي المشترك لاقامة علاقات مع مختلف القوى العالمية في وقت واحد، تنطلق من الوفاء بمتطلبات المصلحة

العـربيـة، وتحقق فكـرة التكـامـل في عالمنـا، يتزامن فيها القيام بالحوار العـربي ـ الاوروبي مع التقـدم بالتعـاون العـربي الافريقي مع تحقيق تعـاون عربي هنـدي، واجـراء حوار عربي ياباني، والتقدم بالعلاقات العـربيـة مع الـدول الاشتراكية وضبط العلاقات العربية مع الولايات المتحدة الاميركية؟

وانتقـل الان الى بحثنـا «دور الجامعة العربية في الحوار العربي ـ الاوروبي»، حيث يقـع هذا الـدور ضمن نشاط الجامعة الدولي، وقد مضى على انشغـال الجـامعـة بهذا الحـوار اكثـر من ثماني سنوات تجمع خلالها رصيد من التجربة في ممارسة هذا الدور.

في مجال التعـرف الى هذه التجـربة ودراسة دور الجامعة في الحوار سنعرض في هذه الورقة بايجاز مسار الحوار العربي ـ الاوروبي ثم نجيب عن اسئلة تتصـل بهذا الـدور: كيف صاغت الجـامعـة العربية الموقف العـربي في الحـوار؟ ما هو دور الامـانـة العامة للجامعة في ادارة الحوار؟ ماذا استطـاعت الجـامعـة العربية ان تحقق من خلال الحوار؟ ثم نتناول مستقبل الحوار العربي ـ الاوروبي.

اولا: مسار الحوار العربي - الاوروبي

ظهرت فكرة الحوار العربي الاوروبي عقب حرب تشرين الاول / اكتوبر، حين اصدرت دول المجموعة الاوروبية التسع انذاك تصريحها المعروف ببيان ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣ حول موقفها من الصراع الدائر في المنطقة العربية، ثم اصدرت الدولالعربية مجتمعة على مستوى القمة في الجزائر بيانا موجها الى اوروبا الغربية يوم ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣ استجابت فيه للتحسن الذي اظهره البيان الاوروبي في موقف الدول الاوروبية التسع من قضية فلسطين، وشقت الفكرة طريقها الى التنفيذ وسط صعوبات عدة. فبدأ الحوار على صعيد الخبراء اولا عام ١٩٧٥ في ثلاثة اجتماعات عقدت بالقاهرة في شهر حزيران/ يونيو، وبروما في شهر تموز/ يوليو، وبأبوظبي في شهر تشرين الثاني / نوفمبر، ثم بدأ الحوار على صعيد لجنة عامة على مستوى السفراء منذ عام ١٩٧٦ واستكمل الحوار اطاره التنفيذي وتبلور له مفهوم شامل كحوار حضاري تتكامل جوانبه السياسة والاقتصادية والثقافية، وتحددت مجالات النشاط فيه والية سير العمل.

انعقد اجتماع اللجنة العامة الاول بلوكسمبورغ في ايار / مايو ١٩٧٦ وتلاه الاجتماع الثاني بتونس في شباط / فبراير ١٩٧٧ ثم الاجتماع الثالث ببروكسل في تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٧ واخيرا الاجتماع الرابع بدمشق في كانون الاول/ ديسمبر ١٩٧٨ ويمكننا ان نلاحظ اثر الصعوبات التي اعترضت مسار الحوار في تأجيل اجتماعاته عن المواعيد المقررة لها. فقد حددت اتصالات الجانبين عام ١٩٧٤ موعدا لاجتماع اللجنة العامة في شهر كانون الاول/ ديسمبر قبل نهاية

ذلك العام . وجاءت اثارة الجانب الاوروبي لموضوع التمثيل الفلسطيني في الاجتماع لتحول دون عقد الاجتماع في موعده، وطرحت فكرة البدء باجتماعات للخبراء كمخرج للازمة وبهدف التحضير المتقن، وتبلورت صيغة اللقاء على مستوى مجموعتين تمثل كل منهما وحدة، وانعقد الاجتماع الاول للجنة العامة بعد ثمانية عشر شهرا من الموعد الاول الذي تحدد له، وتقرر في هذا الاجتماع في نطاق تنظيم اجراءات الحوار ان تعقد اللجنة العامة اجتماعاتها مرتين كل عام من حيث المبدأ وقد التزم الجانبان بهذا القرار في الاجتماعات الثلاثة الاولى، ولم يستطيعا الوفاء بهذا الالتزام بعد ذلك حيث تأخر الاجتماع الرابع عن موعده اكثر من نصف عام، ولم ينعقد الاجتماع الخامس حتى كتابة هذه السطور، واقترن ذلك بزيارة الرئيس السادات الى الكنيست الاسرائيلي في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٧ وما تلاها من تطورات .

توقف الحوار في اعقاب ابرام المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية في اذار/ ١٩٧٩ فترة . واعلن استئنافه رسميا في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٠ بلوكسمبورغ في اجتماع ضم الرئاستين وقرر الجانبان في هذا الاجتماع عقد اجتماع مشترك على مستوى وزراء الخارجية يقترن به اجتماع اللجنة العامة الخامس في صيف عام ١٩٨١ . ومضى ذلك العام دون ان يشهد انعقادهما.

من خلال تتبع مسار الحوار يتضح ان الحوار العربي ـ الاوروبي يمر بأزمة تفعل فعلها فيه، وان غيوما تتجمع في سماء العلاقات العربية ـ الاوروبية تؤثر سلبيا على مناخ هذه العلاقات، وقد برزت شكوك قوية في امكانية خروج الحوار من ازمته، ووصل الامر بالبعض الى الدعوة الى وقفه . كما يتضح في الوقت نفسه من خلال الدراسة الموضوعية ان العوامل التي تفاعلت في تكوين فكرة الحوار وطرحها ما زالت قائمة . ولا تزال امانتا المجموعتين العربية والاوروبية على اتصال فيما بينهما للبحث في كيفية اخراج الحوار من ازمته . ولا يزال موضوع

الحوار مطروحا امام كل من الجامعة العربية والمجموعة الاوروبية، ينتظر اعادة النظر في كيفية مواجهة العقبات التي تعترضه وارادة كل من جانبيه السياسيين للتقدم به(١).

١ ـ كيف صاغت الجامعة العربية الموقف العربي في الحوار؟

ولدت فكرة الحوار العربي ـ الاوروبي في مهد العمل العربي المشترك. وبرز منذ مباشرته حوارا بين منظمتين «اقليميتين» هما الجامعة العربية والمجموعة الاوروبية تضم كل منهما عددا من الدول في عضويتها فضلا عن منظمة التحرير الفلسطينية كعضو يمثل فلسطين في الجامعة العربية.

انشغلت الجامعة العربية منذ ولادة الفكرة بصياغة الموقف العربي في هذا الحوار عبر مؤسسات العمل العربي المشترك. وتلمست طريقها في هذه التجربة الجديدة وسط صعوبات حتى اوشكت ان تحددة تحديدا دقيقا. وتمت صياغة الموقف العربي من فكرة الحوار لاول مرة في مؤتمر القمة العربي السادس الذي انعقد بالجزائر يوم ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣. وظهر هذا الموقف في بيان وجهه المؤتمر الى اوروبا الغربية وفي قرارات اصدرها تخص دول المجموعة الاوروبية. وقد اتصف الموقف العربي بالايجابية وتجاوب مع التوجه الاوروبي لاقامة صلات مع دول جنوب وشرق البحر المتوسط بان تحدث عن الصلات القائمة بين اوروبا الغربية والشعوب العربية على الصعيد الحضاري وعن مصالحها الحيوية المتداخلة. وعبر بدوره عن توجه عربي للحوار مع المجموعة الاوروبية والتعاون معها في اطار تسوده الثقة

---

١ ـ سنفصل الحديث عن الازمة التي يعاني منها الحوار في الجزء الاخير من هذه الدراسة وقد عرضنا مسار الحوار بشيء من التفصيل في: احمد صدقي الدجاني، الحوار العربي ـ الاوروبي: وجهة نظر عربية ووثائق (القاهره: جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٦: القاهره: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٦)، احمد صدقي الدجاني، منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الاوروبي: دراسة في الجانب السياسي من الحوار ووثائق (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، ١٩٧٩)، واحمد صدقي الدجاني، «اضواء على المرحلة الراهنة في الحوار العربي الاوروبي» شؤون عربية، السنة ١، العدد ٤ (حزيران /يونيو ١٩٨١).

والمصالح المتبادلة وتعبر عنه هذه الدول بموقف واضح منصف ازاء قضية العرب العادلة(٢)

تتالت الاتصالات بين المجموعة الاوروبية والجامعة العربية بعد اعلان المبادرة الاوروبية والاستجابة العربية لها، حتى انعقدت اجتماعات الخبراء ثم اجتماع اللجنة العامة الاول. وقد تمت بعض هذه الاتصالات على مستوى امانتي المجموعتين. وبعضها الاخر على مستوى الرئاستين والامانتين معا، وقام كل جانب خلال ذلك بعقد اجتماعات خاصة به لصياغة موقفه.

لو نظرنا في خطوات صياغة الموقف العربي الذي كان يطرح في الاجتماعات المشتركة للحوار، لرأينا انه كان ينطلق بداية من قرار يصدر في الجامعة العربية على مستوى القمة. ثم تقوم الامانة العامة للجامعة في الاعداد لتنفيذ هذا القرار الذي يقتصر عادة على الخطوط العريضة. وتقدم الامانة العامة ما اعدته الى مجلس الجامعة ليصدر قرارات تفصيلية بشأن التنفيذ ترسم بمجموعها الموقف العربي من القضايا المطروحة في الحوار. لقد استشعرت الامانة العامة للجامعة بعد ان باشرت السير في تجربة الحوار الجديدة عليها حاجتها الى ان تدعو خبراء على مستوى عال تمهيدا للاجتماع المشترك للخبراء، وعملت على استصدار قرار من مجلس الجامعة بذلك.

يمكننا ان نتبع هذه الخطوات في الفترة التي سبقت عقد الاجتماع الاول للخبراء في الحوار العربي - الاوروبي.

- اصدر مؤتمر القمة العربي السابع المنعقد بالرباط في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٤ قرارا نص على ان يبدأ الحوار العربي - الاوروبي في اطار المبادىء التي تضمنها بيان القمة العربي السادس الموجه الى اوروبا الغربية، كما تضمن ضرورة وجود خطة عربية موحدة للحوار، واتخاذ التدابير اللازمة للتوصل الى تعاون ملموس في الميادين

---

٢ - انظر نص البيان في: الدجاني، الحوار العربي الاوروبي: وجهة نظر عربية ووثائق ص ٧٥

السياسية والثقافية والاقتصادية لصالح الطرفين.

- تقـدمت الامـانة العامة للجامعة بمذكرة الى مجلس الجامعة في دور انعقـاده العـادي الثـالث والستـين بشأن تطـورات الحوار العربي - الاوروبي ، والاتصـالات التي اجـريت مع الجـانب الاوروبي تنفيذا لقـرار مجلس الجـامعة بتاريخ ١٩٧٤/٩/٤ وقرار مؤتمر القمة العربي السابع بالرباط.

- اصـدر مجلس الجـامعـة في ١٩٧٥/٤/٢٦ قرارا بالموافقة على تفويض الامين العام في اجراء الاتصالات مع الجانب الاوروبي لعقد اجتـماع مشـترك للخـبراء العـرب والاوروبيـين في النصف الاول من حزيـران / يونيـو ١٩٧٥ بمقر جامعة الدول العربية. وان تبادر الدول العـربيـة ومنظمـة التحـرير الفلسطينية بتعيين خبراء على مستوى عال لتمثيـل الجـانب العربي في الاجتماع العربي - الاوروبي المشترك، وان يدعو الامين العام الى اجتماع يحضره الخبراء العرب، ويشارك فيه عدد من خبراء المنظمات والاجهـزة العربية المعنية ويسبق الاجتماع العربي - الاوروبي ، وذلك لصياغة موقف عربي واحد.

- تم عقد اجتماع للمندوبين الدائمين وخبراء الجانب العربي في الحوار العربي - الاوروبي يوم ١٩٧٥/٥/٢٠ ناقش ما ينبغي ان يكون عليـه المـوقف العـربي المـوحد بخصوص الحوار وبشأن توقيع اتفاق بين اسرائيل وبين المجموعة الاقتصادية الاوروبية، واتخذ التوصيات اللازمة(٣)

انعقدت الاجتماعات المشتركة للخبراء ، وتحددت لجان عمل الحـوار الفنيـة السبـع وهي الزراعة والتنمية الريفية، والتصنيع، والبنية الاسـاسيـة. والتعـاون المـالي، والتجـارة، والتعـاون العلمي والتقني، والثقـافـة والعمل والشـؤون الاجتماعية، وانعقد الاجتماع الاول للجنة العامة فاستكمل الحوار ابعاده السياسية والاقتصادية والثقافية. ووضح

---

٣ - المصدر نفسه، وقرار مجلس جامعة الدول العربية في دور انعقاده العادي الثالث والستين بشأن الحوار العربي - الاوروبي، ١٩٧٥/٤/٢٦، ص٢٠١

للجامعة العربية مدى اهمية صياغة الموقف العربي الواحد في شتى هذه المجالات. واستشعرت الحاجة الى تنظيم عمل الجانب العربي في الحوار.

بدأ الجانب العربي في تلبية هذه الحاجة خلال اجتماعه في ابوظبي تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٥. وقد اصدر عدة توصيات مهمة منها:

- التأكيد على ان تقوم كل دولة عربية بتشكيل وحدة لديها لمعالجة امور الحوار على ان تضم متخصصين في كافة مجالات الحوار. وان تقوم كل دولة عربية بتعيين مندوبيها في اللجنة العامة ومجموعات العمل مع مراعاة عنصر الاستمرارية.

- ان تقوم حكومات الدول العربية وصناديق التنمية الوطنية بتقديم الدعم للجهاز المؤقت للحوار العربي - الاوروبي الذي تم انشاؤه في الامانة العامة لجامعة الدول العربية.

- ان تقوم الامانة العامة بالاتصال بالدول العربية والتشاور مع المنظمات العربية المتخصصة من اجل اختيار الخبراء المتخصصين لتمثيل الجانب العربي في مجموعات العمل المتخصصة.

- ان تقوم حكومات الدول العربية بارسال قوائم للخبراء المتخصصين في جميع المجالات الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية.

- ان تقوم حكومات الدول العربية بارسال كافة البيانات والمعلومات او الدراسات التي سبق ان طلبتها او تطلبها منها الامانة العامة.

- ان تقوم حكومات الدول العربية بارسال اي بحوث او اوراق عمل او مقترحات اخرى تراها الدول كفيلة بمساندة الاعداد للدراسات المقبلة للحوار.

- ان تتم الاتصالات بين الامانة العامة وبين حكومات الدول العربية في المسائل المتعلقة بالحوار عن طريق الاتصال المباشر بما في ذلك

الاتصال البرقي بالوحدات الخاصة التي تنشئها حكومات الدول لمعالجة شؤون الحوار وذلك توخيا للسرعة.

قصدنا من اثبات هذه التوصيات بنصها ان نكشف عن الحال التي كان عليها العمل في بدء الحوار. وقد اسهبت مناقشات الجانب العربي في ذلك الاجتماع في شرحها ونقدها وتوصلت الى تلك التوصيات التي كان من بينها استخدام «التلكس» في الاتصال الى جانب البريد العادي الذي كان يصل في كثير من الاحيان متأخرا. والحق ان مباشرة الحوار على صعيد الخبراء مثلت للجانب العربي تحديا كان لا بد من ان يستجيب له الاستجابة الصحيحة بتوفير عنصر الانسان الكفء وعنصر المعلومات وعنصر التنظيم.

خطت الجامعة العربية خطوة اخرى على صعيد تلبية الحاجة الى تنظيم عمل الجانب العربي في الحوار اثر اجتماع اللجنة العامة الاول بلوكسمبورغ ايار / مايو ١٩٧٥. وذلك حين اتخذ مجلس الجامعة قرارا في دور انعقاده السادس والستين بتاريخ ١٩٧٦/٩/٩ بكيفية تنظيم الجانب العربي في الحوار وانشاء اللجنة العربية للحوار. وتشكلت هذه اللجنة من ممثلي الدول الاعضاء في الحوار العربي - الاوروبي وهم رؤساء واعضاء وحدات الحوار في دولهم، ومن رؤساء ومقرري لجان العمل الفنية السبع. وتقرر لها ان تجتمع مرتين في العام لتحضر، التوصيات الخاصة بالحوار التي تقدم الى مجلس الجامعة، ولتبحث في تفاصيل امور الحوار وتصوغ الموقف العربي الموحد في اجتماع اللجنة العامة للحوار وفي اجتماعات لجانه الفنية.

وهكذا اوجدت تجربة الحوار اطارا جديدا للعمل يتكامل مع اطارات الجامعة لاخرى ويعزز العمل العربي المشترك.

ان من النتائج التي توضحها دراسة نشاط الجامعة في الحوار العربي - الاوروبي ان هذا النشاط شأنه شأن اي نشاط دولي تقوم به الجامعة العربية يؤدي الى تعزيز العمل العربي المشترك. الامر الذي

يشـير الى وجـود علاقـة جدلية بين هذه النشاطات وبين توحيد الجهود العـربيـة. فاذا كان التقـدم على طريق الحـوار يقتضي هذا التـوحيـد للجهود، كذلك نجد ان ممارسة الحوار والسير فيه تفرض على كل من طرفيه الاستجابة لمتطلبات التوحيد وبلوغ معنى «الكل». وقد بدا هذا الامـر في اجتـماعـات الحـوار حين كانت المنـاقشـات بين الجانبين تشعر العـرب بالحـاجـة الملحـة الى «حـوار» عربي يحقق الحـد الادنى اللازم للتنسيق والـوحـدة. ومـع ان العـرب يلتقون في منظمة عربية يتوافر لهم فيهـا ما هو اكثـر من الحوار الا ان استخدام اللفظ شاع بمناسبة مباشرة الحـوار مع اوروبـا الغـربيـة في وقت كانت القطيعة فيه تحدث بين دول عربية على صعيد ثنائي.

كشف السـير في الحـوار من خلال عمـل اللجنة العامة واللجان الفنيـة عن الحـاجـة الى احكام ربط عمل اجهزة العمل العربي الموحد ومـؤسسـاتـه بعضهـا ببعض، سواء على صعيـد المنظـمات العـربيـة المتخصصـة او على صعيـد ادارات الجـامعـة او على صعيـد المؤتمرات الـوزاريـة التي تنبثق عن القمـة. وقـد شهـدت الجامعة العربية نشاطا ملموسا لتحقيق ذلك. ويمكن القول ان ادخال نشاط الحوار في العمل العربي المشترك على هذه الصعد قد بدأ وان لم يأخذ بعد شكلا نهائيا مستقرا.

نسـوق مثـلا على ذلك العمل في لجنة الثقافة والعمل والشؤ ون الاجتـماعيـة ـ وهي احدى لجان الحوار ـ يقتضي ان يربط بعمل المنظمة العـربيـة للتربيـة والثقـافـة والعلوم فيما يخص الجانب الثقافي، وبعمل منظمـة العمـل العـربيـة فيـما يخص جانب العمـل والعـمال، وبـادارة الشـؤون الاجتـماعيـة فيـما يخص هذا الجـانب. والامـر نفسـه في لجنة التعـاون المـالي التي يقتضي العمـل فيهـا ربطـا بالمجلس الاقتصـادي والاجتـماعي ومجلس الـوحـدة الاقتصـاديـة. وهكذا يكون ضروريا في عمـل الحـوار ان تشارك المنظمات المتخصصة، وان يقوم الموقف العربي

على قرارات المؤتمرات الوزارية في كل مجال من المجالات. وهذا امر تقع مسؤولية تحقيقه على كاهل الامانة العامة لجامعة الدول العربية.

٢ ـ ما هو دور الامانة العامة للجامعة في ادارة الحوار؟

تحملت الامانة العامة لجامعة الدول العربية مسؤولية ادارة «عملية» الحوار العربي ـ الاوروبي، واستجابت لمتطلباتها بمحاولة تطوير اساليب عملها. وتولى الامين العام بنفسه الاشراف على هذا الامر في بدء الحوار. وخصص احد الامناء المساعدين لتولي المسؤولية المباشرة. ولم يلبث ان استشعر الحاجة بعد اجتماع الخبراء الاول الى وجود اقتصادي متخصص يقدم رأيه في عمل اللجان المتخصصة وفيما يكون عليه الموقف العربي اثناء التفاوض. وهكذا عين مستشارا لشؤون الحوار قرنه بانشاء جهاز مؤقت خاص بالحوار يتولى المستشار ادارته. وكان على هذا الجهاز ان يحضر لاجتماعات الحوار سواء على الصعيد العربي او على الصعيد المشترك، وان يشارك فيها.

استشعرت الامانة العامة ايضا الحاجة الى استشارة عدد من الخبراء ممن يمارسون العمل في مجال الحوار العربي ـ الاوروبي والمجالات الدولية للنظر في مسار الحوار واسلوب العمل وتقويم هذا المسار، وذلك في اعقاب الاجتماع الثاني للجنة العامة الذي انعقد بتونس. فأصدر مجلس الجامعة قرارا في ١٩٧٧/٣/٢٩ بتخويل الامين العام دعوة الخبراء. وهكذا انعقدت «لجنة التفكير» في امور الحوار ـ كما اطلق عليها ـ ووضعت تقريرا وافيا وضع امام اللجنة العربية للحوار وكان اساسا لبحثها وتحديد الموقف العربي. وقد دخلت «لجنة التفكير» في المؤسسات المنشغلة بالحوار، وتمت دعوتها مرة اخرى اوائل عام ١٩٨٠ بعد انتقال مقر الجامعة العربية الى تونس وابان توقف الحوار. وقد تقدمت بتقرير واف اعتمد اساسا لمناقشات اللجنة العربية للحوار.

عهد الامين العام الى احد الامناء المساعدين بمسؤولية الاشراف على شؤون الحوار كما ذكرنا، واصبحت هذه المسؤولية من اختصاص الامين العام المساعد للشؤون الدولية بعد انتقال الجامعة

الى تونس. لقد تبلورت صيغة العمل في الحوار العربي ـ الاوروبي على صورة وفد عربي واحد يحاور وفدا اوروبيا واحدا. وكان الجانب الاوروبي قد اتفق على اقتراح هذه الصورة في اجتماع دبلن عام ١٩٧٥ بعد ان برزت في صفوفه قضية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في الجانب العربي. وقبل العرب بالاقتراح فتمت اجتماعات الخبراء وفق هذه الصورة، ولم يلبث ان اتفق الجانبان على ان يكون اجتماع اللجنة العامة على غرار اجتماع الخبراء بعد ان اعلنت منظمة التحرير الفلسطينية عدم ممانعتها لان هذه الصيغة تحقق ظهور العرب كجانب واحد متماسك في الحوار.

القت صيغة العمل هذه عبئا خاصا على الامانة العامة للجامعة، ومكنتها من القيام بدور كبير في الحوار. وجاء تنظيم الحوار وتحديد اجراءاته ليرسم هذا الدور الكبير. فاللجنة العامة للحوار تتكون من «مندوبين عن الجانبين منهم مسؤولون على مستوى السفراء من الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية والمجموعات الاوروبية، ومن امانة جامعة الدول العربية ولجنة المجموعة الاوروبية والرئاسة المشتركة ومقرري لجان العمل». وهي تجتمع مرتين كل عام من حيث المبدأ ويتم تحديد تاريخ الاجتماع ومدته بالاتفاق مع الرئاسة العربية وامانة الجامعة العربية والرئاسة الاوروبية. وتمثل الامانة في جميع لجان العمل. ويقوم هؤلاء الممثلون بدور خاص في تحضير اجتماعات اللجان ومتابعة اعمالها ومعاونة الرئاسة العربية لكل لجنة. كما يقومون بمتابعة اعمال المجموعات المتخصصة التي تنبثق عن هذه اللجان. وتشارك الامانة العامة في لجنة التنسيق التي تضم ممثلين عن الرئاستين واللجنة الاوروبية. ويتم تيسير الوثائق المناسبة للجان العمل والمجموعات المتخصصة ونقل جميع المعلومات عن طريق الامانة العامة من الجانب العربي واللجنة الاوروبية من الجانب الاوروبي(٤)

---

٤ ـ وثيقة «تنظيم الحوار العربي الاوروبي واجراءاته» في: المصدر نفسه

لقــد بذلت الامــانــة العـامـة للجـامعـة جهـدا كبـيرا في حمل هذاالعبء. وقـامت من اجـل ذلك بتطوير جهازها ـ كما رأينا ـ ليشمل متخصصـين في شؤ ون الحـوار. كما قامت بتحقيق الـترابـط بينها وبين المنظـمات العـربيـة المتخصصـة. وعهـدت الى هذه المنظمات بمهام في اعـمال لجان الحـوار. وواصـل هذا الـترابط الى تحقيق تقدم في احكام عمليـة «آليـة سير» العمـل بين اجهـزة الجامعة ومنظماتها، وهي عملية صعبة لاسباب كثيرة.

لا بد من الاشـارة هنـا الى ان تجربـة الحوار العربي ـ الاوروبي كشفت عن امكـانيـة صيغـة العمـل العـربي المشـترك في اطار الجامعة العـربيـة في استيعـاب متطلبـات اوجـه النشـاط الدولي للجامعة، كما كشفت عن تفـوق هذه الصيغـة على صيغـة العمل الاوروبي المشترك من حيث شمـولهـا وتـوافـر هيـاكـل المؤسسات اللازمة لها. وذلك لان العمـل الاوروبي المشـترك قام في بدايـة الامـر في الميـدان الاقتصادي وحـده واستمـر كذلـك لفـترة طويلة ثم تجاوزه الى الميـدان السياسي. فاقتصـرت مؤسسـاتـه على متطلبات العمل في هذين الميدانين ولم تقم بعـد مؤسسـات مشـتركـة اوروبية في اطار المجموعة الاوروبية للعمل المشـترك في الميـادين الاخـرى. وقـد لاحـظ المشـاركون في اعمال لجان الحـوار هذا الامـر. وكـان الجانب العـربي يتوصل ـ نظريا ـ الى صياغة موقفـه الـواحد في موضوع ما من خلال الرجوع الى قرارات مؤسسات العمـل العـربي المشـترك في ذلـك المـوضـوع. بينـما كان على الجانب الاوروبي ان يدعـو ممثلين من الحكـومـات الاوروبيـة لصيـاغة الموقف العـربي في الموضوعات التي لم تبحثها المجموعة الاوروبية مشتركة. ولم يكن ميسورا وصول الممثلين الى ذلك وهم تنفيذيون لا يجدون انفسهم مخولين لاتخاذ القرار.

٣ ـ ماذا استطاعت الجامعة ان تحقق خلال الحوار؟

حددت الجـامعـة العـربيـة حين قبلت فكـرة الحـوار العـربي ـ الاوروبي رؤ يتهـا لما يمكن لدول المجمـوعـة الاوروبيـة ان تقـوم به

للمساهمة في انهاء الصراع العربي ـ الاسرائيلي. وقد تضمن بيان القمة العـربيـة القرارات الصادرة عن هذه الرؤ ية بايجاز، ثم شرحها الجانب العربي بالتفصيل خلال الحوار.

تقول هذه الرؤ ية العربية ان لدول الجماعة الاوروبية دورا تقوم به في انهـاء الصـراع العربي ـ الاسرائيلي. وقيامها بهذا الدور ضروري للحفـاظ على امنهـا ومصـالحهـا المشـتركـة مع العـرب ولنهـوضهـا بمسـؤ ولياتهـا على الصعيـد الـدولي، وتصحيحـا لاخطـاء السيـاسة الاستعـماريـة الاوروبية التي كانت سببا في معاناة العرب عموما وشعب فلسطـين على الخصـوص. وتصف الـرؤ يـة العـربية هذا الدور فتراه ضمن حدود طاقات الدول التسع وامكاناتها.

ويقتضي هذا من الـدول الاوروبيـة انتهاج سياسة واضحة ازاء الصـراع العـربي ـ الاسـرائيـلي على عدة صعـد. صعيـد العلاقات الاوروبيـة مع الـدول العـربيـة وشعب فلسطـين، وصعيـد العلاقات الاوروبيـة مع اسـرائيـل، وصعيـد العـلاقـات الاوروبية مع الولايات المتحدة، واخيرا صعيد العلاقات الاوروبية الدولية. وقد حدد الجانب العربي مطالبه على كل صعيد من هذه الصعد(٥)

يمكننـا القـول ان تطورا محدودا ايجابيا حدث في الموقف المشترك لدول المجمـوعـة الاوروبيـة من قضيـة فلسطـين الصـراع العـربي ـ الاسرائيلي منذ بدء الحوار. فقد بدأ الاوروبيون وموقفهم هو ما تضمنه بيـان بروكسـل ٦ تشـرين الثـاني / نوفمـبر ١٩٧٣، الـذي تحدث عن «مـراعـاة الحقـوق المشـروعـة للفلسطينيين». ثم اصبح الموقف في بيان لندن الذي صدر في حزيران /يونيو ١٩٧٧ ان حل النزاع لن يتأتى الا اذا ترجم الحق الشـرعي للشعب الفلسطيني في ا التعبـير عن هويته الى واقـع، وان يتضمن هذاالحـل ضرورة اقامة وطن للشعب الفلسطيني.

---

٥ ـ شرحنـا هذه المطـالب في: الـدجـاني: منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الاوروبي: دراسة في الجانب السياسي من الحوار ووثائق والحوار العربي الاوروبي والصراع العربي الاسرائيلي،ص٦٨

وان يشترك ممثلون لاطراف النزاع بما فيها الشعب الفلسطيني في المفاوضات بطريقة ملائمة تحدد بالتشاور بين كافة الاطراف المعنية. وتبلور الموقف الاوروبي في بيان البندقية الصادر في حزيران/يونيو ١٩٨٠ بالنص بوضوح على «ضرورة حل مشكلة فلسطين حلا عادلا وتمكين شعب فلسطين من ممارسة حقه كاملا في تقرير المصير بطريقة ملائمة تضبط في اطار الحل السلمي الشامل». واشار الى ضرورة اشراك الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية في التفاوض وتحدث عن القدس رافضا اي بادرة تتخذ من جانب واحد تستهدف تغيير وضعية المدينة المقدسة. وهكذا جاء الموقف الاوروبي الذي اعلنه بيان البندقية دون ما يطلبه الجانب العربي. ولكنه مع ذلك حقق تقدما ايجابيا.

لا نستطيع ان نتحدث عن انجازات ملموسة كبيرة حققها الحوار في جانبه الفني، لان المرحلة التي مرت اقتصرت على استكشاف آفاق التعاون وتنظيم كيفيته واجراء بعض دراسات الجدوى. ولكن ما انجز يشير الى امكان تحقيق مثل هذه الانجازات ان توافرت الارادة السياسية. ونشير هنا كمثل على ذلك الى بيان المبادىء الذي صدر بشأن العمال العرب المهاجرين في اوروبا عن لجنة الثقافة والعمل والشؤون الاجتماعية ثم عن اللجنة العامة. كما نشير الى ان الجانب العربي طالب بابرام اتفاقيات اقتصادية تحقق مزايا خاصة له. وما زال الحوار يحاول تحقيق ذلك.

يمكننا ان نتحدث ايضا عن تقدم حققته تجربة الحوار على صعيد تطوير وسائل العمل العربي المشترك وقد عرضنا له فيما سبق. كما نتحدث عن فوائد التفاعل الذي تم بين العاملين في الحوار من العرب والاوروبيين في تحقيق قدر اكبر من الفهم على صعيد التعامل والتعاون.

مستقبل الحوار العربي ـ الاوروبي

الى اين يسير الحوار العربي ـ الاوروبي؟ تساؤل يلح علينا اليوم متطلبا اجابة واضحة شافية. وهو في حقيقته جماع تساؤلات واراء تطرح حول واقع هذا الحوار ومستقبله. وسأحاول في هذه الدراسة الاجابة عن هذا السؤال مستشعرا حاجتنا في الوطن العربي الى وقفة نقفها امام الحوار العربي ـ الاوروبي والعلاقات العربية بدول الجماعة الاوروبية في هذه الآونة بالذات بعد مضي سبع سنوات على مباشرة الحوار على صعيد الخبراء.

كانت الآمال المعلقة على الحوار يومذاك كبيرة. وقد حققت اجتماعات الخبراء التي عقدت في القاهرة وروما وابو ظبي عام ١٩٧٥ نجاحا ملموسا في بلورة الافكار الخاصة بتصور طرفي الحوار له ولمجالاته، وابعاده وآفاقه وكيفية السير فيه، فاستكمل التحضير لانعقاد الاجتماع الاول للجنة العامة للحوار على مستوى السفراء الذي انعقد في لوكسمبورغ في شهر ايار/مايو ١٩٧٦. لقد وضعت تلك الآمال الكبيرة على محك التجربة العملية خلال الاعوام الستة الماضية، فكانت ان اوصلتنا هذه التجربة الى ضرورة قيامنا كعرب بوقفة مراجعة وتقويم واستشراف آفاق المستقبل فيما يخص الحوار العربي ـ الاوروبي. ولا بد ان تتناول هذه الوقفة في الوقت نفسه موقفنا كعرب في هذا الحوار والموقف الاوروبي فيه.

وهذا يعني ان نجيب عن سؤالين:

- الى اي مدى استطاع العمل العربي المشترك التعامل مع هذا الحوار؟

- وما هي حقيقة الموقف الاوروبي فيه؟

حين عدت الى وثائق اجتماعات الحوار الاولى وجدت حديثا واضحا يعبر عن تلك الآمال العريضة ولمست الآفاق الرحبة التي استشرفتها تجربة الحوار، ووجدت ايضا بذور هذين السؤالين مطروحة. رأيت انني ختمت دراستي في كتابي الحوار العربي - الاوروبي باثبات ما نصه «لا بد من القول ان قطاعا واسعا من الوطن العربي وفي العالم الثالث ما يزال يشك في نوايا اوروربا الغربية. وما تزال الذكريات المريرة لتاريخها الاستعماري ماثلة امامه. وهذا الامر يؤثر على مناخ الحوار. وما لم تدلل السياسة الاوروبية عن حسن نواياها، وتتجاوب مع قضايا العالم الثالث العادلة وبخاصة قضية فلسطين فان مناخ الحوار سيسوء وسماؤه ستتلبد بالغيوم.

ان الحوار العربي - الاوروبي هو عبرة تاريخ مشترك، وضرورة مستقبل، وسيتوقف مستقبله على مبادرتنا نحن العرب وقدرتنا على الفعل، وعلى الاستجابة الاوروبية لحقائق عالم جديد تحكمه قيم جديدة ولغة جديدة وعلاقات جديدة»(٦)

لقد برزت هذه الشكوك بقوة مع تعثر تجربة الحوار، وبفعل عدد من المواقف الاوروبية، وتضمنتها التساؤلات والآراء المطروحة حول الحوار، والتي تشير بمجموعها الى ان الحوار العربي - الاوروبي يمر هذه الايام بأزمة، وان غيوما تتجمع في سماء العلاقات العربية الاوروبية فتؤثر سلبيا على مناخ هذه العلاقات. ويلفت النظر في هذاالمجال ان بعض الآراء المطروحة قاطعة في حكمها على فشل الحوار، وهو امر يحدث لاول مرة. ونسوق مثلا عليه ما قرأناه اخيرا في

---

٦ - الدجاني، الحوار العربي الاوروبي: وجهة نظر عربية ووثائق ص ١٦٧

مجلة عربية واخرى اوروبية لكاتبين عربي واوروبي . فلقد دعا الدكتور سامي منصور الحكومات العربية(٧)وجامعة الدول العربية الى «وقف الجهود المبذولة حاليا لاستئناف الحوار العربي - الاوروبي ، واعلان الانسحاب منه نهائيا ، ورفض كل المناقشات الدائرة حوله» وشرح في مقاله مبررات دعوته . كذلك نشر ولفغانغ فروند(Wolf - gang Freund) في الشهر نفسه بمجلةDie Dritte Welt الالمانية مقالا بعنوان «الغموض والحقائق في الحوار العربي - الاوروبي» قال فيه «ان شعار الحوار العربي - الاوروبي كما هو لدينا اليوم خيال في ابعاده الجغرافية والسياسية والثقافية» . وحاول ان يدلل في مقاله على قوله هذا .

١ - ان الحوار العربي - الاوروبي اليوم في ازمة اشتدت مع مطلع هذا العام . ويمكننا ان نرى مظاهرها على صعيد مسار الحوار، وعلى صعيد مناخه .

أ - فبالنسبة للمسار نجد ان عام ١٩٨١ انقضى دون ان يشهد انعقاد الاجتماع المشترك لوزراء خارجية دول المجموعتين العربية والاوروبية الذي تقرر عقده في اطار الحوار . وكان هذا القرار قد اتخذ في اجتماع لوكسمبورغ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٠ الذي ضم الرئاستين العربية والاوروبية واعلن فيه استئناف الحوار . وكان الاتفاق ان يتم الانعقاد في صيف ١٩٨١ . وتشكلت لجنة مشتركة للتحضير ، اجتمعت في لاهاي في شباط / فبراير ١٩٨١ ثم في تونس نيسان /ابريل ١٩٨١ ثم في لندن تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨١ . وقد اصدر السيد جاستون ثورن مسؤول الهيئة الاوروبية مؤخرا تقريره عن نشاط الهيئة وذكر فيه ان موعد هذا الاجتماع لن يتحدد الا بعد استكمال التحضير له ، اشارة واضحة الى ان الجو لم يتهيأ بعد له . والحق ان عدم

٧ - سامي منصور، «دعوة للعرب لوقف الحوار مع اوروبا» المستقبل العربي ، السنة ٤ ، العدد ٣٤ (كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨١)

تجاوب الجانب الاوروبي مع المطالب العربية في اجتماعات اللجنة المشتركة وما شهدته العلاقات العربية ـ الاوروبية من احداث حال دون تحديد موعد لهذا الاجتماع .

ونسجل ايضا بالنسبة لمسار الحوار ان اللجنة العامة للحوار لم تجتمع منذ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٧٨ حين عقدت اجتماعها الرابع بدمشق . وقد تم في اجتماع لوكسمبورغ الذي اعلن استئناف الحوار ربط اجتماعها باجتماع وزراء الخارجية . وهكذا مضى عام ١٩٨١ دون ان تنعقد الجهة التي تدير امور الحوار. وقد اقتصر النشاط فيما يخص مسار الحوار خلال عام ١٩٨١ على حد ادنى من اجتماعات بعض لجان العمل التي تقرر اجتماعها عند استئناف الحوار لتساهم في التحضير لاعمال اجتماع وزراء الخارجية المشترك . وقد انجزت هذه اللجان العمل المحدود المطلوب كما باتت تترقب بدورها القرار السياسي من اجتماع وزراء الخارجية المرتقب والقرار التنفيذي من اجتماع اللجنة العامة .

ب ـ وبالنسبة لمناخ الحوار نجد ان مطلع عام ١٩٨١ شهد تحرك الرئاسة الهولندية للجانب الاوروبي واستمرار تحرك الرئاسة الفلسطينية للجانب العربي . وقد قام السيد فاندر كلاو بجولته في المنطقة العربية متابعا ما بدأه السيد جاستون ثورن في النصف الثاني من عام ١٩٨٠ ابان توليه باسم لوكسمبورغ الرئاسة الاوروبية . ثم جاء دور بريطانيا في الرئاسة في شهر تموز/ يوليو ١٩٨١ وانتهى هذا الدور دون ان يعلم عن نشاط قام به كارنجتون وزير الخارجية البريطانية في مضمار الحوار. وتتالت ابان تلك الفترة تصريحاته عن استعداده للقاء ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، ان كان ذلك مفيدا ، واضعا شرطا مسبقا للقاء قيد به حركة الحوار واساء الى مناخه . ولم يشهد مطلع هذا العام اي نشاط من الرئاسة البلجيكية .

ـ حدث في الفترة نفسها ان اعلنت بعض الدول الاوروبية

الاستعداد للمشاركة في القوات المتعددة الجنسيات التي سترابط في سيناء تنفيذا لاتفاقات كامب دافيد، الامر الذي ولد رد فعل سلبي في الجانب العربي. وسبق ذلك اتخاذ الحكومة الفرنسية الجديدة موقفا اكثر تأييدا لكامب دافيد، كما تلته زيارة الرئيس ميتران لاسرائيل، مما كان له انعكاساته السلبية على مناخ العلاقات العربية - الاوروبية.

٢ - حين نحاول تحديد بداية هذه الازمة التي يشهدها الحوار العربي - الاوروبي اليوم نجد ان ملامحها ظهرت منذ الايام الاولى لاعلان استئناف الحوار في لوكسمبورغ بعد ان توقف او تجمد لمدة ثمانية عشر شهرا بسبب ازمة حادة اصابته اثر ابرام اتفاقيات كامب دافيد. الامر الذي يبرر اعتبار الازمة الراهنة امتدادا لتلك الازمة.

لماذا حدث اذن استئناف الحوار؟ وما الذي طرأ حتى منع عمليا هذا الاستئناف؟ لقد حدث استئناف الحوار في ظل ظروف سياسية اتاحت لجانبيه ان يعبرا عن توافق ارادتهما في استمراره. فمن ناحية كان الجانب الاوروبي قد تململ من فترة الانتظار التي الزم نفسه بها امام الولايات المتحدة الامريكية لتظهر نتائج مباحثات الحكم الذاتي التي نصت عليها اتفاقات كامب دافيد في ايار/مايو ١٩٨٠، واصدرت المجموعة الاوروبية بيان البندقية في حزيران/يونيو ١٩٨٠، الذي تضمن تطويرا محدودا للموقف الاوروبي من المطالب العربية، وعبرت عن ارادتها باستئناف الحوار. ومن ناحية اخرى كان الجانب العربي قد صاغ موقفا متماسكا في مؤتمر القمة العربي التاسع بتونس تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩ وتوجه بموقف واضح نحو التعاون مع اوروبا الغربية.

لم تلبث ان طرأت مجموعة تغيرات بعد ان تبلور هذا التوجه عند جانبي الحوار، ففعل كل تغير فعله في التأثير عليه.

- جرت انتخابات الرئاسة الامريكية في خريف ١٩٨٠ وجاءت بمرشح الحزب الجمهوري رونالد ريغان فتولت ادارة امريكية جديدة زمام الامور. واصبح على المجموعة الاوروبية ان ترتب امورها معها

وتنسق سياستها تجاه منطقة الوطن العربي.

- انعقد مؤتمر القمة العربي العاشر بعمان في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠ بغياب ستة اعضاء. وعلى الرغم من انه اقر استراتيجية العمل العربي المشترك الا ان الموقف العربي بدا غير متماسك. وتأثر هذا الموقف باستمرار الحرب التي نشبت بين العراق وايران قبل شهرين من انعقاد المؤتمر.

- جرت انتخابات الرئاسة الفرنسية في ربيع عام ١٩٨١ وجاءت بمرشح الحزب الاشتراكي فرنسوا ميتران الذي تبنى سياسة تجاه قضية فلسطين تختلف عن سياسة سلفه. وحملت الانتخابات التشريعية الفرنسية التي تلت الحزب الاشتراكي الى الحكم. واصبح على المجموعة الاوروبية ان ترتب امورها على ضوء التغير في الحكومة الفرنسية.

- جرت الانتخابات الاسرائيلية في تموز /يوليو ١٩٨١ بعد ان ضربت اسرائيل المفاعل الذري العراقي في حزيران /يونيو ١٩٨١ واسفرت على غير ما توقعت المجموعة الاوروبية وما تمنت، عن فوز تجمع ليكود بقيادة مناحيم بيغين باكثرية ضئيلة جدا. وتشكلت حكومة اسرائيلية من ائتلاف ليكود والاحزاب الدينية، تبنت سياسة صهيونية توسعية، وجاهرت بتحديها لاعلان البندقية وللسياسات الاوروبية تجاه المنطقة. واصبح على المجموعة الاوروبية ان تتواءم مع هذا الواقع.

- صمدت منظمة التحرير الفلسطينية امام العدوان الذي شنته اسرائيل على بيروت وجنوب لبنان اواخر شهور تموز /يوليو١٩٨١. واضطرت اسرائيل لقبول وقف اطلاق النار بعد حرب خاسرة خاضتها على مدى اسبوعين. واضطرت اسرائيل لقبول وقف اطلاق النار بعد حرب خاسرة خاضتها على مدى اسبوعين. وطرح الامير فهد المشروع السعودي اثر ذلك في آب/اغسطس. واغتيل الرئيس السادات في تشرين الاول /اكتوبر ١٩٨١ وشغلت السياسة الامريكية بذلك كله وقبل ذلك بما سمته ازمة الصواريخ السورية في لبنان. وكان على

المجموعة الاوروبية ان تتلمس مواقع لتحركها وسط ذلك كله.
- لم يكد مؤتمر القمة العربي الذي انعقد بفاس في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨١ يلتئم حتى انفض، وقد تأجل دون ان يتخذ قرارا بشأن المشروع السعودي، وكانت المجموعة الاوروبية تترقب القرار العربي لتتحرك على ضوئه، واختلفت الاراء في تقويم ما جرى في مؤتمر فاس. ويبدا ان المجموعة الاوروبية اعتبرت ان ما جرى هو دليل على عدم تماسك الموقف العربي وحكم ذلك تصرفاتها ازاء الجانب العربي.

فعلت هذه الاحداث فعلها في تأزيم الحوار، وابطلت «عمليا» مفعول قرار استئنافه.

والنتيجة التي يمكن ان نستخلصها من هذا العرض هي ان اي قرار سياسي هو وليد عوامل معينة في ظروف معينة، فاذا ما طرأت ظروف جديدة وحدث تغير في العوامل بطل مفعول القرار، وبرزت الحاجة الى قرار جديد يعبر عن العوامل والظروف الجديدة. ان العمل السياسي ذو طبيعة متحركة «ديناميكية» ومن هنا فانه يتأثر مباشرة بايجاد الحقائق الجديدة. وتبدو هذه النتيجة صحيحة كل الصحة حين ننظر في الازمة التي اصابت الحوار اثر زيارة الرئيس السادات الى الكنيست فقد جاء هذا الحدث ليؤثر على مسار الحوار الذي اتضحت اليته خلال عامي ١٩٧٦ و١٩٧٧ وطرح متغيرات جديدة ادت الى تجميد الحوار.

٣ - والتساؤل المطروح الان بعد ان «تأزم» الحوار مرة اخرى، فتفاقمت ازماته هو هل تعني هذه الازمة نهاية الحوار العربي - الاوروبي؟ وهل ستقوى الاصوات التي تنادي بوقفة وباعلان الانسحاب منه فتغطي على الاصوات التي تقول باستمراره؟

ان الاجابة تقتضي ان نستذكر كيف برزت فكرة الحوار ولماذا؟ وما هي العوامل التي ادت الى طرحها على مسرح السياسة الدولية؟ ثم نبحث في الواقع اليوم لنرى ما اذا كانت مبررات استمرار الحوار موجودة، وما اذا كانت العوامل التي تدعو اليه قائمة سواء على الصعيد السياسي او على الصعيد الاقتصادي او على الصعيد الثقافي. ثم

يكـــون علينـــا ان ندرس العقبـات التي تواجهـه سواء من داخله اومن حوله، لنصل الى اتخاذ الموقف ونحدد وجهتنا في السير وكيف نسير.

لقد برزت فكرة الحوار العربي ـ الاوروبي على مسرح السياسة الدولية في اعقاب حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ بعد ان اكتمل الحمـــل بها ونضجت بفعـــل عوامـل محددة تجمـع بين عامـل جغـرافي استـراتيجي واخـر تاريخي وثالث حضاري يقوم على المصالح المشتركة القائمة بين حضارتين على صعد. الاقتصاد والسياسة والثقافة. (٨)

ومـا كان يمكن للحمـل بفكرة الحوار ان يكتمل الا بعد ان توافر شرط الندية بين طرفيه اثر حرب تشرين الاول/ اكتوبر وما اقترن بها من تخفيض انتاج النفط العربي.

كيف تبـدو هذه العـوامـل اليـوم بعد مضي ثماني سنوات ونصف على نشوب حرب رمضان؟

نبـدأ بالنظـر في العـامـل الاسـتراتيجي الامني، فنجـد ان هذا العـامـل لا يزال قائـما وتـزداد اهميتـه مع ازدياد التوتر الدولي بفعل ازمة الانفـراج بين الـولايـات المتحـدة والاتحـاد السوفياتي ونلاحظ ان جميع البيـانـات المشـتركـة التي صدرت عن الحوار اشارت اليه وسجلت «ان الامن في اوروبـا مرتبـط بالامن في منطقـة البحر الابيض المتوسط وفي المنطقـة العـربيـة» وقـد شرح الجانب العربي في طروحاته رؤ يته لمكان التعـاون العـربي ـ الاوروبي من صورة عالمنا المعاصر، ولتطلع العرب الى قيام عالم متعدد القوى لا يحكمه الاستقطاب وانما يحكمه الحوار والتعاون.

نجـد ايضـا ان العـلاقـة بين اوروبـا والوطن العربي، كما يقول الدكتور حامد ربيع ليست مجرد علاقة تموين بالبترول، ولا مجرد بحث عن اسواق، كما انها ايضا ليست علاقة دول متقدمة، بالعالم الثالث.

انهـا اسـاسـا علاقـة تكامل في مفهوم الامن القومي. انها علاقة

---

٨ ـ فصلنا شرحها في : الدجاني الحوار العربي الاوروبي وجهة نظر عربية ووثائق.

ترابـط في القـدرة على الـدفـاع عن المصير الذاتي». ويذهب الدكتور ربيـع الى حد تقـريـر «ان اوروبـا لن تستطيع ان تقوم لها قائمة في ظل الاوضاع الحالية في الاعوام القادمة ان لم تؤسس حركة سياسية تنبع من مفهـوم الـترابط في العلاقات الاوروبية ـ العربية ». هذا المفهوم غير واضح حتى اليوم في ذهن بعض القيادات الاوروبية وهو لا وجود له في الادراك العـربي(٩). وقـد لا نتفق مع الزميل في استخدام صيغة النفي في جملتـه الاخـيرة ولكننـا نتفق معه في ان هذا المفهوم لم يرسخ بعد عند طرفي الحوار.

لقد انطلق الجنرال ديغول في تشوفه لتعاون اوروبي ـ عربي من فكـرة «اقـامـة قوة عالميـة جديدة تعيد معادلة موازين القوى في العالم». واعتـبر بعض البـاحثـين الاوروبيين الحوار العربي ـ الاوروبي «كخيار اسـتراتيجي بديـل لصيغـة الخضـوع للحلف الاطلسي مرتبـط بقـوة بالتطـور المستقبـلي في علاقـات اوروبـا بالـولايـات المتحدة، وسيتعلق نجاحه الى حد كبير بامكانية بروز اوروبا ككيان اقتصادي ـ سياسي ومستقل».

ان مجمـل الـدراسـات التي تنـاولت هذا العـامـل الاستراتيجي الامني وعـرضهـا د. ربيـع تركز على ان الحوار العربي ـ الاوروبي قادر على ان يحقق مجمـوعـة نتـائـج من بينهـا تصفية البحر المتوسط من جميع الخلافات والمشاكل التي ترتبت على الصراع الامريكي السوفياتي فيه، وخلق كتلة اقتصـاديـة تمتـد من اقصى الشـمال حتى وسط افريقيا وربما جميع افريقيا، وفرض نوع من الاسترخاء على الصراع الدولي في هذه المنطقـة، وتحقيق مجمـوعـة توازنـات قادرة على ايجاد نوع من الاستقرار حولها. ويـذكـر الـدكتـور ربيع من بين هذه التوازنات توازن بين شرق اوروبا، واخر بين شمال البحر المتوسط وجنوبه وثالث بين الوطن العربي

---

٩ ـ حامـد ربيـع «الحـوار العـربي الاوروبي وتطور التوازنات الاقليمية حول البحر المتوسط» شؤون عربية السنة ١ العدد ٤ (حزيران/ يونيو ١٩٨١)

الاوروبي والدولتين العظميين، ورابع بين المنطقة العربية ودول العالم الثالث وبصفة خاصة الدول الاسيوية، وخامس بين المانيا وفرنسا وايطاليا(١٠)

لا بد من ان نشير هنا الى ان الحديث عن تعاون عربي - اوروبي على الصعيد الامني الاستراتيجي لا يعني في المفهوم العربي للحوار علاقة خاصة تربط الوطن العربي باوروبا على حساب علاقاته الاخرى، وانما يعني التعاون من اجل دفع مخاطر تهدد المنطقتين، وبخاصة في البحر الابيض المتوسط(١١). وقد حرص الجانب العربي على ان يجعل قضية فلسطين والصراع العربي - الاسرائيلي هما الاساس الذي ينطلق منه التعاون العربي - الاوروبي على هذا الصعيد. وهكذا تضمنت البيانات الختامية للحوار بعد الحديث عن ترابط الامن في المنطقتين اعراب الجانبين عن «قلقهما البالغ تجاه الوضع الخطير في منطقة الشرق الاوسط وما يشكله من تهديد للسلام والامن الدوليين».

ان هذا العامل لا يزال قائما وتزداد اهميته مع ازدياد حجم التبادل التجاري بين الوطن العربي واوروبا الغربية، ومع الحاح الشعور بالحاجة الى نظام اقتصادي جديد يعمل على معالجة ازمة الاقتصاد في عالمنا.

---

(١٠) المصدر نفسه

١١ - شرحنا هذا المفهوم واوضحنا تلك العلاقات الاخرى في الدجاني، الحورا العربي الاوروبي: وجهة نظر عربية ووثائق، ص ٨٠ و ٨١ ومما قلناه وينبغي ان يكون واضحا من خلال المعرفة ان العرب يقبلون على الحوار والتعاون مع الاوروبيين من موقعهم كجزء من العالم الثالث، ومن معرفتهم بموقع اوروبا الغربية من العالم الغربي، اي انهم ينطلقون في هذا الحوار من ايمانهم بعدم الانحياز والحياد ومن انتمائهم للعالم الثالث، ومن ادراكهم لضرورة اللقاء بين العالم الثالث والقوى الاشتراكية لمواجهة تسلط الاحتكارات الاستعمارية وهم في هذا المجال يستشعرون ارتباط وطنهم العربي المصيري بدول اسيا وافريقيا واهمية الصداقة العربية مع دول المعسكر الاشتراكي، كما انهم يعون الدور الذي يمكن لاوروبا ان تقوم به لتحقيق التوازن الذي يرسي قواعد سلام قائم على العدل، وهكذا يبقى في هم العرب وهم يقبلون على الحوار مع اوروبا بلوغ اهدافهم في المجال الدولي. . . حرية لكل الدول المستعمرة وسلاما قائما على العدل وتعاونا دوليا لرخاء الانسانية.

لقد وضع نادي روما المشهور بدراساته المستقبلية دراسة عام ١٩٨٠ بعنوان «اوروبا والعالم العربي» انطلق فيها من القول «في عالم متعدد الاقطاب ومترابط المصالح، يزداد يوما عن يوم حيرة وترددا وقلقا، تتساءل اوروبا الغربية والشرق العربي عن مستقبلهما» . . .

«ولما كانت متكاملة مشاكل هذين العالمين اللذين قرب التاريخ تارة احدهما من الاخر، وفصل تارة ما بينهما البحر المتوسط، فلكل منهما وفي نطاق ما، ودون التخلي عن الروابط الخاصة، الاسهام في معضلات الآخر في نفس الوقت الذي يساعد فيه نفسه». وقد تناولت هذه الدراسة التي تقع في مائة وعشرين صفحة ملخصا لابرز خصائص الاقتصاد العالمي في السنوات العشر المقبلة، ودراسة لخصائص كل من اوروبا الغربية والوطن العربي، ودراسة العلاقات العربية ـ الاوروبية بمختلف وجوهها واشكالها عارضة الخطوط العريضة للرؤية المستقبلية على صعد السكان والزراعة والتغذية والطاقة والصناعة والمواد الاولية .

وانتهت هذه الدراسة الى ان مقومات المنطقتين الاقتصادية «تؤدي حتما الى البحث في تكامل هاتين المجموعتين من البلدان. فالعالم العربي واوروبا عالمان يكمل واحدهما الآخر. فتجارة الدول العربية موزعة بين الاسرة الاقتصادية الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية واليابان،

والاسرة الاقتصادية الاوروبية هي في الوقت نفسه اكبر مستورد من الدول العربية واكبر مورد لها». وهذا التكامل له احجام عدة: حجم سياسي يتمثل في ان استقلال الوطن العربي مهدد بقوة اذا لم تحافظ اوروبا الغربية هي نفسها على استقلالها. كما ان اوروبا الغربية ترى استقلالها عرضة للخطر اذا خرج الوطن العربي بمجمله من نطاق حرية التبادل التجاري او اذا تحول الى منطقة اضطراب وغليان مع ٣٠٠ مليون جائع وثائر. وهناك حجم انساني يتمثل في العرب الذين يعملون في دول اوروبية، وآخر ثقافي، ورابع تقني وعلمي، وخامس مناخي، وسادس اقتصادي. وقد ختمت الدراسة بالقول «في هذا

العالم المتعدد المناطق، المترابط المصالح والمتشابك المنافع ان التقارب بين اوروبا والعالم العربي، وانشاء اقليم واحد اقتصادي واسع وثابت وخصب من شأنه ان يكون مصدر خير وغنى وسلام لسائر مناطق العالم، النامية منها، والتي هي في طور النمو»(١٢).

لا يتسع المجال هنا لتفصيل الحديث عن جزئيات العامل الاقتصادي ولا يراد الارقام التي تدلل عليه. ونكتفي بالقول ان دراسات اللجان الفنية السبع العاملة في الحوار العربي - الاوروبي تعزز النتيجة التي توصلت اليها دراسة نادي روما، وتؤكد سلامة منطلق الجانب العربي في التعاون الاقتصادي الذي يقوم على فكرة التكامل.

نشير ايضا الى ان ما صدق على العامل الامني الاستراتيجي وعلى العامل الاقتصادي يصدق على العامل الثقافي. وهذا يعني ان العوامل التي دعت الى الحوار لا تزال قائمة. ونلاحظ هنا ان الداعين الى وقف الحوار او الذين لا يتحمسون لاستمراره لا ينفون هذه الحقيقة ولا ينكرونها ولكنهم يركزون حديثهم وحججهم على المسلك الاوروبي تجاه الحوار وعلى علاقات اوروبا باطراف اخرى. ولقد اورد د. سامي منصور في مقالته التي سبق ان اشرنا اليها خمس نقاط تتعلق بالاستراتيجية الاوروبية في الحوار انصبت جميعها على المسلك والتصرف.

٤ - اذا كانت العوامل التي دعت الى الحوار لا تزال قائمة، واذا كان الحوار في الوقت نفسه يعاني من ازمة حادة فهذا يعني ان هناك عقبات تحول دون شقه طريقه، وان هناك خللا في مواقف احد طرفيه او كليهما يفعل فعله ويؤزمه. والحق ان هناك عقبات تواجه الحوار من حوله، خلل يفعل فعله من داخله.

لقد تأثر الحوار منذ ان بدأ بمواقف اطراف اخرى منه. وهذه الاطراف هي الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ثم

---

١٢ - «اوروبا والعالم العربي» المستقبل ٣١/٥/١٩٨٠/ (الملحق)

اسرائيل والصهيونية العالمية.

اما الولايات المتحدة الامريكية فقد عبرت منذ بروز فكرة الحوار العربي ـ الاوروبي عن معارضتها القوية لهذه الفكرة. وقاد كيسنجر يومذاك تلك المعارضة. وكان نصب عينيه اعادة احياء حلف الاطلسي. وقد دعا من اجل ذلك الى انشاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية وقدم مشروع ميثاق اطلسي جديد في كانون اول/ديسمبر ١٩٧٣. ونذكر اننا شرحنا في كتابنا منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي ـ الاوروبي هذا الموقف الامريكي ونقلنا عن مسؤول اوروبي ما ردده كيسنجر على مسامع وزراء خارجية الدول التسع «انتم مخطئون حين تقبلون الجلوس مع عشرين دولة عربية ومخطئون حين تقبلون الجلوس مع منظمة التحرير الفلسطينية». وحين جاءه الرد الاوروبي «ان هذه مسألة تخصنا، وسنتدبر امرنا فيها» اكد طلبه منهم الا يتضمن الحوار حديثا في موضوع الطاقة اوبحثا في المسائل السياسية. وقد ظهرت آثار الضغط الامريكي خلال اجتماعات مجلس وزراء المجموعة الاوروبية وبخاصة في المواقف البريطانية التي التزمت دوما بالدفاع عن وجهة النظر الامريكية القائلة بضرورة الالتزام بمبدأ «المشاورات المسبقة» بين اطراف الكتلة الغربية بكل ما يتصل بموضوعات «ذات اهمية كبرى». ونجد امثلة عدة على ذلك خلال السنوات السبع الماضية.

ان هذا الموقف الامريكي، كما شرح بشارة خضر، منطلق من الاستراتيجية الامريكية في المتوسط ولها عدة مظاهر عسكرية استراتيجية ومالية اقتصادية. وهو ايضا منسجم مع السياسة الامريكية التي تهدف الى «تأجيج نار الهلع في اوروبا واليابان لاشعارهما بشكل افضل بثقل قبضة العم سام» ـ على حد تعبير نقولا سركيس ـ «وافشال

جهود التقارب بين هذه البلدان وبلدان الاويك»(١٣).

من الـواضـح ان السلوك الاوروبي تجاه الحوار تأثر الى حد كبير بهذا المـوقف الامـريكي من الحـوار، واستجـاب الى ضغوطه في احيان كثـيرة الى حد ليس بالقليـل. وهذا ما حدا بالبعض في الوطن العربي ان يقطـع بأن اوروبـا الغـربية الواقعة تحت المظلة النووية الامريكية لا تملك ارادة سيـاسية مستقلة عن الولايات المتحدة الامريكية. وهي من ثم لا تقدر على حوار تكون فيه معبرة عن ذاتها وعن مصالحها هي. ولا بد من الاشـــارة هنـا الى ان المسلك الاوروبي في الحـوار وتجـاه قضيـة فلسطين بصورة خاصة لم يساعد على دحض هذا الاستنتاج او تفنيده.

لم يعلن الاتحـــاد السـوفيـاتي موقفـا معـاديـا للحـوار العـربي - الاوروبي، وبقي متحفظـا ازاءه. ويقـــرر محمـــد عبـدالمعطي بدر في دراستـه «الاتحـاد السـوفيـاتي والحـوار العـربي - الاوروبي» ان للاتحاد السـوفيـاتي مخاوف من الحـوار على المستوى الجغرافي العالمي (الجغرافي السيـاسي) وعلى مستوى العلاقات السوفياتية العربية: فهويرى على المستـوى الاول «ان نجـاح الحـوار على الصعيد الاستراتيجي قد يعني القضـاء على نفـوذ الـدولتـين العظميـين في المتوسط. وقد يحرم الاتحاد السوفياتي على الصعيد الاقتصادي من جزء مهم من السوق العربي. وعلى الصعيد السياسي فان حل المشكلة الفلسطينية عن طريق تشاور عربي - اوروبي قد ينـزع الى الابـد كل اسبـاب التمركز التي سمحت للاتحـــاد السـوفيـاتي بالتغلغـل في الشـرق العـربي». وهـويرى على المستـوى الثـاني الخـاص بالعلاقات السوفياتية - العربية ان كل البلدان الاعضـاء في الجـامعـة العـربيـة قبلت مبـدأ الحوار العربي - الاوروبي وتشـارك دوريـا في اللقـاءات العـربيـة - الاوروبية، وقد لا يجد حججا يبرهن بها ان «حوارا بين طرفين غير متساويين من حيث التنمية يوصل

---

١٣ - بشـارة خضـر، «الاتحـاد السـوفيـاتي والولايات المتحدة امام الحوار العربي الاوروبي» شؤون عربية السنة ١، العدد ٤ (حزيران/ يونيو ١٩٨١)

في التحليل الاخير الى استعمار اوروبي ملطف. وبصعوبة يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يوصي العرب بالفطنة والحذر في حين انه هو نفسه يزيد من تعاونه مع الغرب». ومعلوم ان للاتحاد السوفياتي استراتيجية متوسطية تندمج في مفهوم جغرافي سياسي عالمي ولها عدة اهداف(١٤).

ان المتتبع لموقف الاتحاد السوفياتي من الحوار عمليا يلاحظ انه ينطلق من عدم الثقة باوروبا الغربية، ومن ادراكه لتأثير الولايات المتحدة على سياساتها. ويلاحظ ان هذا الموقف يتحفظ ازاء الحوار دون ان يعلن رفضه له، ويتجاوب مع الدعوات المعادية له وقد يشجعها. وهو لا ينكر في الوقت نفسه حق العرب في العمل من اجل الحصول على اعتراف اوروبا الغربية بحقوق شعب فلسطين، «ولكن عليهم الا يسيروا وراء سراب» - كما عبر اندريه غروميكو في مباحثاته مع وفد فلسطيني. وقد لاحظ الرفيق غروميكو ان الموقف الاوروبي من هذه الحقوق حقق تقدما كلاميا ولكنه ما زال كلاما يقال. وحين نأتي الى الفعل يتلاشى ولا نجد شيئا ملموسا ومطلوب ان يتابع الفلسطينيون نضالهم ضمن الوعي بهذه الحقيقة.

لقد اهتمت الدراسات التي صدرت عن الحوار بتحليل سياسة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي تجاهه. ولكنها - كما نلمس - لم تول العناية الكافية لدراسة الموقف المعادي الذي اتخذته اسرائيل والصهيونية العالمية منه، على الرغم من انه كان ذا اثر واضح فعال على مسار الحوار. ينطلق هذا الموقف من طبيعة الكيان الصهيوني الذي يرى نفسه امتدادا للغرب قام بمساعدة الغرب، وبقاؤه مرهون بموقف الغرب منه. وقد قامت السياسة الاسرائيلية والصهيونية عامة على فكرة ان تكون اسرائيل شريك الغرب، المطلق اليد في منطقة الوطن العربي، والحليف الصديق له في محيط يناصبه العداء. ومن هنا عملت

---

١٤ - شرحها خضر في المصدر نفسه، وقد اشار الى مقالي: محمد عبدالمعطي بدر، «الاتحاد السوفيتي والحوار العربي الاوروبي،» وجاك بورنيه، «الحوار العربي الاوروبي» اللذين نشرا في: ايكونوميكا «باريس». ١٩٧٩

هذه السياسة جهدها لمنع اي تحسن في العلاقات العربية ـ الاوروبية بعد ان قاومت بشدة مع الغرب خروج اوروبا الاستعمارية من المنطقة على يد ثورة التحرير.

قاومت السياسة الاسرائيلية والصهيونية عامة الحوار العربي ـ الاوروبي منذ طرحه كفكرة. وعملت ما بوسعها وباساليب مختلفة لعرقلة السير فيه. وقد اختلفت اساليبها عن اساليب الولايات المتحدة في مقاومته، اذ اعتمدت على التغلغل الصهيوني في جسم اوروبا الغربية لتحقق هدفها. وهو تغلغل نافذ في الاجهزة الحكومية وفي التنظيمات السياسية وفي الاعلام على مقربة من صناعة القرار السياسي وفي عملية صناعته . وله تأثيره لانه يحمل صفة المواطنة في هذه الدول الاوروبية.

لقد لمس الجانب العربي اثار هذا العداء الصهيوني للحوار في كل مرحلة من مراحله. ومن امثلتها ابرام الهيئة الاوروبية اتفاقية مع اسرائيل قبيل مباشرة الحوار عام ١٩٧٥، وتحرك جماعات الصداقة الاسرائيلية في البرلمان الاوروبي ضد الحوار عند كل جولة من جولاته، وتصريحات المسؤولين الاسرائيليين المعادية للحوار في العواصم الاوروبية ونشاطات الجماعات الصهيونية في مختلف الدول الاوروبية ضد الاشخاص المؤيدين للحوار وضد اي موقف يعزز فكرة التعاون العربي ـ الاوروبي. وقد انكشف موقف الجماعة الصهيونية في فرنسا الذي ضغط على حكومة الرئيس ديستان كي تتخلى عن فكرة دعوة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية. كما انكشف بشكل اوضح بعد تولي الرئيس ميتران الاثر الصهيوني في صياغة بعض مواقفه من قضية فلسطين.

٥ ـ الحديث عن التغلغل الصهيوني في اوروبا الغربية ودوره في عرقلة الحوار العربي ـ الاوروبي يصل بنا الى الحديث عن الخلل الذي يفعل فعله من داخل الحوار والناجم عن امور تتعلق بطرفي الحوار نفسيهما.

حين باشر الطرف الاوروبي الحوار كان يضم تسع دول اوروبية تختلف في احجامها، ولا تتطابق في سياساتها الخارجية، ولا في مصالحها الاقتصادية. وقد التزمت هذه الدول بالعمل من خلال المجموعة الاوروبية التي بدأت نشاطها على الصعيد الاقتصادي المحصن ثم تجاوزته الى الصعيد السياسي.

كذلك التزمت الدول العربية بالعمل من خلال جامعة الدول العربية التي كانت تضم عند بدء الحوار عشرين عضوا من بينها منظمة التحرير الفلسطينية. وتختلف الدول العربية في احجامها، ولا تتطابق سياساتها الخارجية ولا مصالحها الاقتصادية.

لقد بدأ الطرف الاوروبي الحوار بالاتفاق على موقف من قضية فلسطين والصراع العربي ـ الاسرائيلي تلتزم به دوله التسع. وكان هذا الموقف هو محصلة مواقف متفاوته تقفها تلك الدول. كانت فرنسا تنتهج سياسة متحمسة للحوار بذر فكرتها الجنرال ديغول وكانت تعطي اهمية خاصة لمصالحها في المنطقة العربية وتحاول ابراز استقلالها عن السياسة الامريكية. وقد حاولت ان تتقدم بموقفها من قضية فلسطين سابقة جاراتها الاوروبيات. وكانت بريطانيا تنتهج سياسة لا تتحمس للحوار وتعطي اهمية خاصة لعلاقاتها الامريكية الثنائية مع الدول العربية وبخاصة مع دول الخليج. وكانت المانيا الغربية تنتهج سياسة متحمسة للحوار وتعطي اهمية خاصة لمصالحها في المنطقة العربية، ولكنها تتحسس في الوقت نفسه من اتخاذ موقف متقدم من قضية فلسطين خوفا من الابتزاز الصهيوني لها الذي يتسلط عليها بعقدة الذنب. وكانت ايطاليا متحمسة للحوار وتتطلع للقيام بدور فيه كدولة متوسطية، وتعمل على تأمين مصالحها في المنطقة العربية. وقد حاولت ان تتقدم بموقفها من قضية فلسطين. فضلا عن هذه الدول الاربع انتهجت هولندا سياسة متحفظة ازاء تطوير الموقف الاوروبي من قضية فلسطين بينما تحمست بلجيكا لشيء من التطوير. واتخذت ايرلندا والدانمرك ولوكسمبورغ مواقف وسطية تقترب من محصلة الموقف الاوروبي.

لم تكن صياغة الموقف الاوروبي اللازم لتقدم الحوار عملية ميسورة وسط هذا التعدد، وفي غياب قيادات مبادرة، الامر الذي طبع الموقف الاوروبي بالتردد، وجعل المواقف المختلفة لبعض الدول الاوروبية تجر اليها الدول الاكثر تقدما في مواقفها. وزاد هذا الوضع سوءا بعد زيارة الرئيس السادات الى الكنيست الاسرائيلي. وقد جرت محاولة واحدة لتجاوزه في اجتماع البندقية، حزيران/يونيو ١٩٨٠ ولكنها لم تحقق النجاح المطلوب. وعاد الامر الى التفاقم منذ صيف ١٩٨١ بفعل الاحداث التي اشرنا اليها في مطلع حديثنا.

لقد ساعد على هذا الحال ان العلاقات العربية الثنائية مع هذه الدول الاوروبية لم تتأثر بقصور مواقفها. واستمر الخط البياني للمبادلات التجارية معها يتزايد مستفيدا من مناخ الصداقة الذي وفره الحوار. وهكذا آثرت هذه الدول تعزيز علاقاتها الثنائية مع البلدان العربية التي تهمها. وبدأت تركز على بلدان الخليج والبلدان النفطية بصورة عامة. وبرزت في اوساطها فكرة التعاون الاوروبي ـ الخليجي.

كان الحماس على الصعيد العربي في بداياته كبيرا. ومع ذلك اختلفت درجة اهتمام كل بلد عربي به على حدة. وكانت البلدان النفطية حريصة على ابعاد النفط عن الحوار بينما رغبت بلدان اخرى ان يتم توظيف حاجة اوروبا للنفط العربي في خدمة الحوار. وقد جاءت زيارة الرئيس السادات الى اسرائيل لتفعل فعلها في تجميد عضوية مصر في الجامعة العربية، ومن ثم في نقل مقر الجامعة الى تونس. ونتج عن ذلك ما نتج من مشاكل ادارية ومن تفكك اصاب الموقف العربي. وفتر حماس بعض البلدان العربية نحو الحوار خلال هذه الفترة، وبخاصة بعد بروز المواقف الاوروبية المترددة.

كانت آلية سير الحوار تتعثر احيانا بفعل حداثة التجربة وعدم وجود الخبرات اللازمة عند طرفي الحوار. ولكننا لا نعتبر ذلك من بين العقبات لان معالجة هذا الامر كانت ممكنة دوما حين تتوافر الارادة

السياسية . وقد اكتسب الجانبان خبرة جيدة في تسيير الحوار وحققا تقدما في انتظام آليته .

نسوق مثلا على اهمية توافر الارادة السياسية ومدى تأثير الاحداث عليها ما جرى على الصعيد العربي بشأن اللجنة الوزارية المكلفة بالحوار. فقد تشكلت هذه اللجنة بقرار من مجلس الجامعة في شهر آذار /مارس ١٩٨١ لتنظر في التحضير لاجتماع وزراء الخارجية العرب والاوروبيين. وضمت في عضويتها تسعة اعضاء، وتقرر اجتماعها بالكويت في مطلع شهر حزيران/ يونيو وفي الاعتبار ان اجتماع وزراء الخارجية سيتم في تموز/يوليو. ولم تجتمع اللجنة في التاريخ المحدد وتأجل اجتماعها شهرا، وقد حدث ضرب المفاعل الذري ببغداد. ثم تأجل فترة الصيف بطولها لعدة اسباب حتى اجتمعت في نيويورك ابان افتتاح دورة الجمعية العامة في مطلع تشرين الاول /اكتوبر ١٩٨١ . وكان لذلك التأجيل اثره السلبي على سير عمل اللجنة المشتركة التي تحضر لاجتماع وزراء الخارجية. فلما انعقد الاجتماع وحقق نجاحا ملموسا في صياغة موقف عربي فاعل وانطلق الجانب العربي الى اجتماع اللجنة المشتركة اواخر ذلك الشهر بلندن برز الموقف الاوروبي المتردد واصاب عمل اللجنة بضربة شلته لفترة .

خاتمــة

في ضوء ما سبق لا نتـوقـع ان يعلن طرفـا الحوار وقفة، لانهما منذ باشـراه وطنـا النفس على انـه عملية طويلة. ولا ندعو لهذا الوقف لان العوامل التي طرحت فكرة الحوار ما زالت قائمة، ولان الحوار ضرورة في عصـرنـا. ولكننـا ندعـو الى تحسن التعامل مع الحقائق المتصلة به ومع الاوراق التي نملكها فيه.

من الـواضـح ان مستقبـل الحـوار ما زال متـوقفـا، كما كان منـذ البـدايـة، على الموقف الاوروبي من قضية فلسطين والصراع العربي - الاسرائيلي، ومعلوم ان التطور الذي حدث في هذا الموقف هو الذي فتح الباب امام الحوار عام ١٩٧٣. ولا يزال العرب ينتظرون تلبية مطالبهم من الجـانب الاوروبي. واول هذه المطـالب هي اليـوم: استكـمال الاعـتراف بالحقـوق الـوطنية الثابتة لشعب فلسطين: حقه في العودة، وحقه في تقرير المصير، وحقه في اقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني. وقـد وصلت المجمـوعـة الاوروبيـة الى الاعـتراف بحق تقـرير المصير لشعب فلسطـين في بيـان البنـدقيـة، ولهـا موقف ضمني يعـترف بحق العـودة. ومطلوب الآن ان يعلن هذا المـوقف بوضـوح حق اقامة الدولة المستقلة. وثـاني هذه المطـالب هو: الاعتراف بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيـد لشعب فلسطـين، واجراء حوار مباشر معها. وقد وقفت المجمـوعـة الاوروبيـة حتى الآن عنـد التعـامـل مع المنظمـة كمشارك وكممثل لبعض الفلسطينيين دون ان تحدد من هم الممثلون الاخرون، ومـا زالت تتردد في الاعـتراف الكـامـل. وثـالث هذه المطـالب ممارسة سيـاسة عملية تدعم الحق العربي وتدين السياسة الاسرائيلية، وتجسد المبـادىء التي اعلنهـا الاوروبيـون كأسـاس لحل النـزاع، وتتجلى في

التصويت في المنظمات الدولية . ولا تزال المجموعة الاوروبية واقفة عند ترديد بعض المبادىء مترددة في رفع صوتها في دعم الحق العربي وادانة السياسة الاسرائيلية تتحدث عن موقف «متوازن» توازن فيه بين ما يرضي صاحب الحق المعتدى عليه والمعتدي ، وتمتنع عن التصويت في احسن الاحوال في المحافل الدولية عند طرح ما يؤكد الحق العربي او ما يدين المعتدي الاسرائيلي ، متأثرة الى حد كبير بموقف الولايات المتحدة الامريكية .

يلاحظ ايضا ان السياسة الاسرائيلية عمدت خلال حكم ليكود الى استخدام سياسة هجومية مع الدول الاوروبية فدأبت على توجيه الاهانات لها واتهامها بأنها تخضع للنفط العربي كلما اعلنت موقفا فيه شيء من تلبية المطالب العربية . وقد لفت النظر ان ردود فعل هذه الدول بحكوماتها كان غاية في الضعف ، ونشير هنا الى تصريحات بيغن المعادية لديستان وشميت وكارنجتون ، وحتى تصريحاته بشأن كورسيكا قبل زيارة ميتران ، بل ان اسرائيل عمدت من خلال بيغن الى فتح ملف التاريخ الاستعماري لبعض هذه الدول في منطقتنا العربية ، ولم يصدر اي رد فعل اوروبي . وقد وضح من خلال ذلك كله مدى تأثير الجماعات الصهيونية الاوروبية على تشكيل ردود فعل هذه الدول .

لقد آن الاوان ان يعتمد الحوار على استخدام الاوراق العربية واخضاع العلاقات الثنائية بين دول عربية واوروبية لصالح دفع الحوار .

آفاق دور مصر العربي
في الثمانينات

حين نبحث في موضوع «مصر والوطن العربي في الثمانينات» ونستشرف (آفاق دور مصر العربي) خلال هذه الفترة، نستشعر الحاجة ان نبدأ بالتذكير في منهجنا الذي نعتمده في الدراسة المستقبلية، وبتحديد مفهومنا لمصطلح (الدور).

ان هذا المنهج - بايجاز شديد - يقوم علىٰ معرفة صورة الواقع موضوع البحث وتحليلها، والربط بين هذه الصورة وبين مجرى الحركة التي اوصلت الى هذا الواقع. ويكون الانطلاق من ذلك الى تشوف المستقبل وطرح ملامحه والتوقعات التي يحتمل حدوثها فيه كاستمرار للحركة التي تحكم الواقع، والبدائل والخيارات القائمة. ولا يغيب عن البال في هذا الطرح دور ارادة الفعل عند الانسان والمجتمع الانساني في الاختيار وصنع المستقبل وترجيح بديل على اخر. كما لا يغيب عن البال ايضا دور الحلم عند الانسان والمثل الاعلى عند المجتمع الانساني في صنع ارادة الفعل هذه، ومن ثم توفير القدرة على الفعل.

والبحث في موضوع «دور مصر العربي» يتطلب التمييز بين دائرتين احداهما هي مصر والاخرى هي الوطن العربي(١). ويتصل

١ - يشيع استخدام مصطلح «الوطن العربي» بين العرب للدلالة على الدائرة العربية وذلك بعد انتشار الفكر القومي بينما يشيع مصطلح «العالم العربي» بين غير العرب وفي اوساط بعض العرب غير المتمسكين بالمصطلحات التي لها مدلولات فكرية قومية.

هذا التمييز بخريطة الواقع السياسي الراهن في المنطقة العربية الذي يضم مجموعة دول تنتسب للعروبة وتحمل عضوية «جامعة الدول العربية». وواضح ان الدائرة الاولى - التي هي مصر - بالمنظور الجغرافي جزء من الدائرة الاخرى الاكبر، وهي حسب تعبير المدرسة الشامية في الفكر القومي العربي دائرة «قطرية» بينما الاخرى هي دائرة «قومية». وتقوم الى جانب هذه «الدائرة المصرية القطرية» في نطاق «الدائرة العربية القومية» مجموعة دوائر قطرية اخرى مغربية ومشرقية يمثل كل منها كيانا سياسيا له اسمه الخاص به. وتقوم العلاقات بين الدائرة المصرية وهذه الدائرة العربية الاخرى على ثلاثة صعد، ثنائي ومتعدد وكلي فتأخذ شكل العلاقات الثنائية، اوشكل العلاقات الاقليمية لعدة دول، او شكل العلاقات في مجموعة عربية واحدة هي جامعة الدول العربية.

لا بد ان نشير هنا الى ان الدائرة المصرية هذه ترتبط بدوائر اخرى لها مدلولاتها الجغرافية او السياسية او الروحية او الحضارية، شأنها في ذلك شأن بقية الدوائر القطرية العربية الاخرى. فهي جزء من الدائرة الافريقية وهي جزء من دائرة دول عدم الانحياز، وتدخل في دائرة العالم الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية، وهي جزء من دائرة اوسع تضم هذه الدوائر جميعها وهي «الدائرة الدولية العالمية». وواضح ان العلاقات التي تقوم بين مصر والاقطار العربية الاخرى في نطاق «الدائرة العربية» تتبادل التأثير مع علاقات الدائرة العربية بمختلف هذه الدوائر.

حين نركز النظر على العلاقات المصرية العربية التي هي موضوع بحثنا نجد ان عوامل محددة تتفاعل في تكوينها وتحكم مسارها عبر مراحلها المتتالية، شأنها في ذلك شأن علاقات اي قطر عربي آخر بالدائرة العربية. فهناك العامل الجغرافي - موضعا وموقعا - وهناك العامل السكاني والعامل التاريخي والعامل الاجتماعي الاقتصادي والعامل السياسي والعامل الثقافي الفكري والعامل الروحي المعنوي،

وجميعها تكون اوضاع البلد الداخلية. هناك ايضا اوضاع الدائرة العربية نفسها، واوضاع الصراع العربي الاسرائيلي، الاوضاع الدولية المحيطة. وواضح ان التفاعل فيما بين هذه العوامل هو الذي يحدد في اطار «المجموع» او الكل دور «الجزء».

وهكذا فدور «جزء في اطار «كل» يحيط به ويتكامل معه هو وظيفته في سير عمل هذا الكل، وتحركه من خلال ادراكه وظيفته لاداء مهام القيت على عاتقه بفعل عوامل محددة. وهكذا فالدور هو نتاج تفاعل الانسان والمجتمع الانساني في رقعة ما مع بعدي الزمان والمكان. ويمكننا ان نلاحظ على العوامل التي تحدد هذا الدور ان فيها «الثابت» كالعامل الجغرافي والى حد ليس بالقليل العامل السكاني، و«المتغير» كالعامل السياسي والاوضاع الداخلية عموما والاوضاع الدولية. وقد تجمع بعض العوامل في طياتها ثابتا ومتغيرا تتراوح النسبة بينهما من وقت لآخر، بفعل الظروف المحيطة فيتأثر الدور تبعا لذلك.

ولما كان العامل الجغرافي هو الثابت الاهم، فانه يرسم الى حد كبير خط الدور العريض ويطبعه بطابع خاص. ويساعد العامل التاريخي الذي يحفظ فيما يحفظ تجارب ممارسة الدور على ادراك ابعاد الدور وتمثل غاياته، تماما كما تحدد العوامل الاخرى صورة الدور النهائية.

يمكننا على ضوء ما سبق القول بوجود «دور» لكل جزء في اطار «كل» يمثل «دائرة» ما. وقد تتكامل الادوار فيما بينها من خلال «نظام» يحكم عمل الدائرة فينسجم العمل فيها، وقد تتعارض فيحدث الخلل. ومن اسباب حدوث هذا التعارض اختلاف صورة الدور عند صاحبه والاخرين من حوله، وعدم ادراك صاحب الدور لحقيقة امكاناته وحدود دوره. وتبرز هذه الظاهرة حين يفتقد «النظام» في الدائرة الى «القيادة» وصيغة تنظيم «القيادة».

ان ادراك طبيعة الدور وحدوده شرط اساسي للتحرك بغية القيام به. فالصلة وثيقة بين الادراك والحركة، وبين النظرية والممارسة، وبين

الفكـر والتطبيق . كذلـك فان قيـام «جـزء» ما بدوره يعـود على الدائرة بالنفع ، تماما كما يعود عليه هو ايضا .

واضح مما سبق ان لعنصر القيادة في جزء ما اهمية خاصة في ممارسة دور ذلـك الجـزء ، لان المسـؤ وليـة تقع على كاهلها في تمثل الدور تمثلا صحيحا ، ومن ثم التعبير عنه تعبيرا موفقا .

★★★

دخلت مصـر الثمانينات وهي تعيش مرحلة متميزة في تاريخها من حيث تأثـيرهـا على دورهـا العـربي . وقـد بدأت ملامـح هذه المرحلة بالظهـور مع زيـارة الـرئيس السـادات للكنيست الاسـرائيلي في نوفمبر ١٩٧٧ ، ثم اتضحت هذه المـلامـح مع ابرامه اتفاقيات كامب دافيد في سبتمبر ١٩٧٨ مع اسرائيل والولايات المتحدة ، وتحددت صورة المرحلة مع توقيعه لمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

ترتب على توقيع مصر لهذه المعاهدة قطع العلاقات الدبلوماسية بين غالبيـة الـدول العـربية ومصر ، ونقل مقر جامعة الدول العربية الى تونس ، وتجميـد عضـوية مصر فيها . وهكذا حدث لاول مرة منذ انشاء الجـامعـة ان غابت مصر عن اجتماعاتها ، وغابت عن مصر الاجتماعات العـربيـة . وغادر جل السفراء العرب الى مصر القاهرة في الوقت الذي تبـادلت مصـر فيـه التمثيـل الـدبلوماسي مع اسرائيل ، كما غادر سفراء مصـر في اكثـر الـدول العـربية مراكز عملهم . ولم تلبث مصر ان دخلت طورا جديدا في هذه المرحلة بعد اغتيال الرئيس السادات يوم ٦ اكتوبر ٨١ وانتخاب الرئيس حسني مبارك رئيسا لجمهورية مصر .

★★★

ان هذه المـرحلة التي تعيش مصـر اليـوم طورا جديـدا فيها وثيقة الصلة بمـراحـل تاريـخ مصـر السابقة ، وبخاصة مرحلة حكم الرئيس جمال عبدالناصر (٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠) ومرحلة حكم

الرئيس انور السادات (اكتوبر ٧٠ الى اكتوبر ١٩٨١)(٢). وحين ننظر في واقع مصر اليوم بهدف التعرف على دورها العربي، نلاحظ ان هذا الدور له جذوره الممتدة في المرحلتين السابقتين اللتين شهدتا بروزه بشكل معين في كل منهما.

لقد برز دور مصر العربي في المرحلة الاولى منذ بداياتها، وتنامى حتى بلغ ذروة، واخذ شكلا واضحا، واصبحت مصر بموجبه عند الكثيرين رائدة القومية العربية وزعيمة الوطن العربي وقائدة الامة العربية.

ويرزت من خلال اداء هذا الدور الزعامة العربية الشاملة التي لا تنحصر في الحدود السياسية القائمة بين الاقطار العربية، والتي جعلت زعامة عبدالناصر نوعا متميزا من الزعامات. ويمكننا حين نتتبع الخط البياني الذي يمثل مسار هذا الدور على مدى الثمانية عشر عاما ان نلاحظ ضمن خطه العريض المتصاعد بصورة عامة نزوله احيانا، كما حدث في اعقاب انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦١، واثر هزيمة مصر في حرب ١٩٦٧.

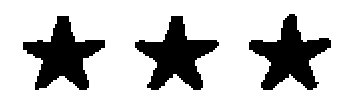
استمر دور مصر العربي في الوجود خلال المرحلة الثانية، وان فقد شيئا من قوته قبيل حرب ١٩٧٣، وصعد خطه البياني ابان هذه الحرب ثم بدأ بالنزول، وسجل صعودا اخر محدودا اوائل عام ١٩٧٧ قبل ان يسجل نزولا شديدا وانحدارا في المرحلة التي دخلتها مصر بعد زيارة الرئيس السادات للكنيست الاسرائيلي.

واضح ان ما طرأ على دور مصر العربي من تغير خلال هاتين المرحلتين يعود الى تغيرات حدثت في العوامل المكونة لهذا الدور. وهذه العوامل هي التي ستحكم مسار الدور في هذه المرحلة وفيما بقي من

---

(٢) يمكن اعتماد اكثر من تقسيم لفترة العقود الثلاثة بين قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واليوم. وقد اخترنا تسهيلا التقسيم القائم على الحاكم، وهو الشائع في تاريخ مصر منذ فجر التاريخ، مع ملاحظة ان عبدالناصر وان شارك في الحكم منذ ٥٢ الا انه تولى الرئاسة في ١٩٥٦.

الثمانينات. ومن هنا تأتي ضرورة التعرف على هذه العوامل وحركة تفاعلاتها في المرحلتين الماضيتين كخطوة اولى لتشوف المسار الذي سترسمه مستقبلا ونبدأ بالعامل الجغرافي لما يمثله من ثبات فنستحضر الحقائق التي يطرحها



تناول عدد من الكتاب عرض هذه الحقائق، واسهب جمال حمدان في كتابه «شخصية مصر» في شرحها. واوضح بالنسبة للمكان ان موقع مصر يأتي ليمنحها المزيد من التفرد على الاجزاء العربية الاخرى. وابرز ما في هذا الموقع انه كالقلب من الجسم، واسطة العقد، وهمزة الوصل بين اسيا العربية وافريقيا العربية.. ونحن اذا نظرنا الى هيكل النمط العمراني الفعلي في الوطن العربي، فسنجد مصر فيه كالعقدة البشرية، فعندها وحدها تلتحم ذراعا العروبة في افريقيا - المغرب والسودان - بالحلقة السعيدة التي تطوق المشرق العربي.

وننظر في موقع مصر من الدائرة العربية فنجد كما يقول حمدان انه يتميز بصفة خاصة هي ان مصر من الدول العربية القليلة التي لا حدود لها مع غير العرب، وذلك قبل قيام اسرائيل. وهذا الموقع يجعلها مركز جذب يشد اليه عناصر عربية يجري استيعابها فيها، ونضيف، ومركز طرد سكاني يدفع باعداد من المصريين الى الاجزاء العربية الاخرى.

كذلك شرح حمدان ما تتميز به مصر من «موضع». فاول ما تنفرد به في الوطن العربي ضخامة الحجم التي تجعل منها حجرا شاخا. فمصر وحدها ثلث العرب او انقص منه قليلا.. وهي بهذا تفوق ايا من المغرب العربي الكبير كله او اسيا العربية. وهي لا تستمد ثقلها من الحجم الخام وحده بل ومن تجانسها الشديد.. فوحدتها الجنسية واللغوية مطلقة، واقليتها الدينية واحدة محدودة، والكل يؤلف وحدة

وطنيـة . ومن هنـا كانت مصـر مركز ثقل وقطب قوة في الدائرة العربية . وهي على حد تعبيـر حمدان «اكثـر من عضو ضخم في الجسم العربي ، انها رأس ، ورأس موح مؤثر ، ثم هي جهاز عصبي مركزي فعال ، وهي في الحالة الاولى بمثابة جير وسكوب العالم العربي الذي يرسي سفينته في وجـه العـواصف الخـارجية ، ويمنحه من وزنه ليمنع تميعه او ضياعه بين الضغوط والاغراءات . وهي في الثانية كبوصلة العالم العربي الذي تتحسس نبضه وترصد تيارات العالم ثم تحدد اتجاه القافلة» . (٣)

لقـد رسم بعـد المكـان هذا الخـط العـريض لدور مصر العربي «فبحكم هذا المـوقـع كانت مصر ملتقى العرب ومجمع الاسرة ، واحيانا ملجأ وملاذا وخط دفاع اخير عن التراث العربي . . وفي كل الحالات كانت تلعب دور المنـار للاسـلام ودور المنـبر للعـروبة . . وتحتمت على مصـر بانتظـام مسـؤ وليـة الحـمايـة والـدفـاع عن العـروبة ، ابتداء من الصليبيـات والتتـار حتى الاستعـمار الاوروبي والاستعـمار الصهيـوني الاحـدث . ويـرى حمدان ان هذا الـدور يلقي على كاهل مصر واجب الـزعـامـة في المنطقـة . وهـذه الزعامة حقيقة ثابتة . وهي لا تعني طبقية اقليمية داخل العروبة ، وانما تعنى اولوية بين اكفاء ، واسبقية لا رياسة في حلبة مفتوحة وهذه الزعامة لا يمكن ان تكون تشريفا او تخليدا ، بل هي تكليف وتقليـد . . تكليف من الجغـرافيا وتقليد عن التاريخ . . ان مصر لا يمكن الا ان تكون النواة النووية في الوحدة العربية . » (٤)

كان هذا الخط العريض لدور مصر العربي كما رسمه بعد المكان محل اهتـمام عدد من المفكـرين العـرب والسيـاسيـين . وقـد ترددت في كتـابـاتهم واحـاديثهم في وصف الـدور ضمن الـدائرة العربية تعبيرات «الريادة» و «الزعامة» و «القيادة» و «الرئاسة» . وواضح ان ادوارا اخرى لبقية الاجزاء تبر ز ايضا وتحكمها حقيقة اشتراك هذه الاجزاء فيما بينها

(٣) جمال حمدان شخصية مصر ص ٢٥٤ - ٢٥٦ طبعة كتاب الهلال

(٤) جمال حمدان «شخصية مصر» ، ص ٢٣٦ - ٢٤٠ طبعة كتاب الهلال

ببعض السمات والخصائص وتمايزها في امور اخرى محققة نوعا من التكامل، فيتحدد من ثم لكل جزء دوره في اطار المجموع بحكم موقعه وموضعه وثقله.

لا بد ان نشير هنا الى انه اذا كان موقع مصر يهيؤها لان تكون نواة الوحدة العربية، فانه في الوقت نفسه يساعدها على الانعزال والتقوقع حين تجد ظروف تقتضي ذلك سواء بفعل خطر خارجي او خلافات عربية. ويمكننا ان نلاحظ تكرر حدوث هذه الظاهرة مرات في العقود الثلاثة الماضية. وفي كل مرة كانت مصر تدخل قوقعتها وتنعزل لفترة حتى تتغير تلك الظروف. ولقد مكنت هذه الخاصية حكام مصر من اتخاذ قرارات صعبة، ووفرت لهم القدرة على الانفراد بالموقف عن بقية الاقطار المجاورة ولو لفترة محدودة من الزمن. وتفسر هذه الخاصية قدرة مصر على «الريادة».

لقد تفاعلت مصر في عهد عبدالناصر مع هذا العامل الجغرافي. وبان أثر هذا التفاعل على صعيدي الفكر والممارسة. وقد انشغل عبدالناصر منذ الايام الاولى لثورة ٢٣ يوليو بالتفكير في بعد المكان بالنسبة لمصر وخصص في كتابه «فلسفة الثورة» الجزء الثالث للحديث عنه، لان المكان «يفرض علينا حقيقته». ووصل في تفكيره الى ان العزلة مستحيلة في عالم اليوم. وحدد مكان مصر على الخارطة بأنه مركز دائرة عربية وفي قارة افريقيا وفي عالم اسلامي ليتحدد تبعا لذلك الدور. ووصل الى تصور الدور الهائم في المنطقة الباحث عن البطل الذي يقوم به، تماما كما في مسرحية بيراندللو «ست شخصيات تبحث عن مؤلف».

ووصل الى ان هذا الدور استقر على حدود مصر، والى انه «ليس دور زعامة وانما دور تفاعل وتجارب مع كل هذه العوامل يكون من شأنه تفجير الطاقة الهائلة الكامنة في كل اتجاه من الاتجاهات المحيطة فيها، ويكون من شأنه تجربة لخلق قوة كبيرة ترفع من شأن نفسها وتقوم بدور ايجابي في بناء مستقبل البشر».

عمـل عبـدالناصر على تجسيد افكاره هذه، وتحرك في عدة دوائر حددها بعد المكان، وتفاعلت عوامل اخرى مع العامل الجغرافي لتحتل الـدائـرة العـربيـة اهتـمامـا خاصـا عنده، وليعظم دور مصر العربي في عهده، ويعبر عن حركة القومية العربية بما عنته من تحرر من الاستعمار وسعي للتقدم ولوحدة العرب.

تفـاعلت مصـر مع هذا العامل الجغرافي في عهد السادات ولكن تفـاعلهـا اخذ مسارا اخر. وذلك لان العوامل الاخرى التي تتفاعل مع العامل الجغرافي شهدت تغيرات هامة فيها، ومن هنا تأتي أهمية ما طرأ عليها.

★★★★

أول هذه العـوامـل هو اوضـاع مصـر الداخلية التي يتفاعل فيها الـوضع الاقتصادي مع الوضع السياسي مع الحالة الفكرية والروحية، فمصـر المـرتاحة اقتصاديا اكثر استعدادا للقيام بدور عربي فعال، واكثر تحمـلا لمتطلبـات هذا الـدور ووفاء بها. وحين تعاني مصر اقتصاديا تبدو اكثـر ترددا في القيـام بدورهـا العربي، وتتوزع بين الاقدام والاحجام، وتعتريها حساسية في التعامل مع شقيقاتها العربيات.

لقـد بدأ عبـدالنـاصر عهده وحالة مصر الاقتصادية لا بأس بها، فأمكن له ان يرسم ويـمارس سيـاسـة عربيـة .وكانت مصرلا تحجم عن تقـديم العـون المادي والمعنوي لبعض الاقطار العربية على الصعيدين الـرسمي والشعبي، وقـد كان لذلـك اثـره الفعـال في تدعيم دور مصر العـربي. فلما تدهـورت اوضـاع مصـر الاقتصادية بعد حرب ١٩٦٧، بعد ان عانت شيئا ما اوائل الستينات، انعكس ذلك على حجم دورها العربي ونوعيته واتجاهه.

وكـان وضـع مصـر الاقتصـادي على مدى عهد السادات صعبا سواء قبيـل حرب ١٩٧٣ اوبعـدهـا، وقد اثر ذلك سلبا على قيام مصر بدورها العربي السابق، وغير النظرة اليه. ولا بد لنا ان نلاحظ هنا ان قيام مصر بدورها العربي كان له في كثير من الاحيان مردود ايجابي على

وضعهـا الاقتصـادي بما يوفـره لها من هيبـة في الـوطن العربي . ولم يخل الامـر في بعض الاحيـان من بروز تأثـير سلبي للدور على الـوضع الاقتصادي حين مس القيام بالدور العلاقات الرسمية مع دول عربية اخرى .

ان مصـر المستقـرة سياسيا ، الواقفة على ارض صلبة من الوحدة الـوطنيـة ، المتمتعـة بقيـادة سيـاسية قوية تكون اكثر اقداما على القيام بدورهـا العـربي ، واعظم ادراكا له وتحديدا لوسائل انجاحه . وبالمقابل فان افتقـاد مصـر للاستقرار السياسي وللقيادة السياسية القوية يقعد بها عن القيام بذلك الدور ويشل قدراتها فتتجه الى الانكفاء على ذاتها .

لقـد تميـز عهد عبدالناصر بغلبة الاستقرار السياسي فيه وبظهور قيـادة سيـاسيـة قويـة . ومن هنـا برز دور مصر العربي بصورة عامة قويا خلاله . ولم يخل الامر من فترات قصيرة شهدت صراعات داخلية مثل احـداث ١٩٥٤ ، وفي عام ١٩٦٢ اثـر التأميم واثر هزيمة ١٩٦٧ حين حدثت مظـاهـرات ١٩٦٨ . وفي جميـع هذه الفـترات كان دور مصـر العربي يتأثر سلبا بالصراع الداخلي الذي يجري .

شهـد عهـد الـرئيس السـادات استقـرارا بين عامي ٧٣ و٧٧ ، حيث عانى في بدايـاتـه من احتـدام الصـراعـات الـداخليـة في مصر ، وكذلك عانى في اواخره وانتهى الامر فيه الى اغتيال رئيس الجمهورية . وتأثر دور مصر العربي بهذه المعاناة في الفترتين ، كما تأثر بينهما بعامل اخر هو عامـل الصـراع العـربي الاسرائيلي الذي سنأتي على ذكره وجاءت المحصلة في كل الاحوال ضعفا في قيام مصر بدورها العربي .

يبقى ان نشـير في معـرض حديثنـا عن هذا العـامـل الخـاص بأوضـاع مصـر الداخلية الى ان ازدهار الحياة الفكرية والروحية في مصر وبـروز مثـل أعلى ينـاضـل من اجله ، والحـرص على التمسك بالقيم العليـا ، يقـوى من دور مصـر العـربي ، ويجعلهـا مركـز جذب لقلوب الكثيرين في الدائرة العربية ولعقولهم . ويشد الانظار اليها .

لقـد برز هذا المثـل الاعلى الـذي ينـاضـل من أجله في عهـد

عبـدالنـاصـر في صورة الـوطن المحرر من الاستعمار مصريا وعربيا حين كانت مصـر تعـاني من الاحتلال البر يطاني وكانت جل الاقطار العربية مستعمـرة، وفي صورة الـوطن الموحد القوي الذي يحتل مكانه في العالم المحيـط به حين كان ثقـل العـرب الـدولي خفيفـا والحـدود تقـوم بين اقطارهم، وفي صورة الوطن المتقدم الذي تسود العدالة فيه بين ابنائه في وقت قوي الاحسـاس فيـه بالفـوارق بين اغنيـاء وفقـراء وبـالتخلف. وهكـذا ارتفعت شعـارات الحرية والاشتراكية والوحدة لتجد هذا المثل الاعلى، ورسمت صورة الـزعيم القـدوة في مسلكـه الـذي يعيش من اجل شعبه وأمته.

تغـير المثـل الاعلى في عهد السادات حيث حدث التركيز بداية على تحريـر مصـر، ثم على السلام بعد حرب ١٩٧٣، وعلى الانفتاح الاقتصادي الجالب للرخاء، وحدث التركيز على الانشغال بأمور مصر في المقـام الاول، وهكـذا ارتفـع شعـار الـرخـاء وشعـار السلام وشعار الـديمقـراطيـة وتعلقت الانظـار بهذه الشعـارات فترة من الـزمن وجاء التطبيق العملي ليرسم لها صورة مختلفة القت ظلالا عليها.

★★★★

العامل الثاني الذي يتفاعل مع بعد المكان ويسهم في التأثير على دور مصـر العـربي هو اوضـاع الـدائـرة العـربية. هذه الدائرة التي هي مســرح هذا الـدور. فهي تؤثـر على مصـر وتتأثـر بها، وهي توحي لها وتستوحي منها، وتحكم على دورها أو تحكم له. ومن هنا لا بد ان يأخذ دور مصـر العـربي هذه الاوضـاع في اعتبـاره، ويكيف نفســه وفقا لها، وبقدر ما ينجح في ذلك يحقق اهدافه.

كانت جل الاجـزاء في الـدائـرة العـربيـة تعيش في بداية مرحلة عبـدالنـاصر تحت منير الاستعمار تناضل من اجل التحرر والاستقلال، وتسعى جاهدة للحاق بالركب في شتى مجالات الحياة. وكانت مصر قد سبقت في الحصـول على نوع من الاستقـلال بعـد، الحرب العالمية

الاولى ، وسبقت الى دخـول العصـر منـذ عهـد محمـد علي في عدة مجالات . وقـد استشعـرت قيادة ثورة ٢٣ يوليو اهمية ارتباط مصر بنضال الاجـزاء العـربيـة الاخـرى كي تكسب مصـر معـركتهـا لاستكـال استقلالها، وتنال هذه الاجزاء استقلالها هي الاخرى فكان ان رسمت سياستها على هذا الاساس. وكانت مصر قادرة على تقديم العون لهذه الاجـزاء في اكثـر من مجال على الصعيد التعليمي والصعيد العسكري والصعيد السياسي والصعيد الاعلامي .

شهدت الدائرة العربية ايضا في بداية مرحلة عبدالناصر تغيرات اجتماعية وسياسية وفكرية في المشرق العربي ـ بلاد الشام والعراق ـ بعد نكسة عام ١٩٤٨ . وقد فرضت هذه التغيرات نفسها على مصر حيث زادت من انشغـالهـا في الامـور الـداخلية لهذه الاقطار، وتأثرت ببعض الشعارات الفكرية المرفوعة فيها، ولم تلبث ان شاركت في الصراع الدائر هنـاك بين عرب وعرب، وشهدت الدائرة العربية عموما تحولات غذت التنـاقض بين القـديم والجـديـد وبين المحافظة والتجديد، وقد دخلت مصر في هذا التناقض حتى اذا ما نشبت حرب ١٩٦٧ وهزمت مصر بدأ تأثـير الـواقـع العـربي القـائم في الـدائرة العربية على مصر يزداد على حساب تأثره بها .

اصبحت جل الاقطـار العربية في مرحلة السادات مستقلة، وقد قويت فيها الرغبة بالتعبير عن هذا الاستقلال وبخاصة تجاه شقيقاتها، وتدفق النفط في عدد من هذه الاقطار، وارتفعت مع زيادة اسعاره بعد حرب ١٩٧٣ عائـدات هذه الاقطـار فقـوى فيهـا اتجـاه الى العزلة عن الاخـرين، ونـما عنـد بعضها شعور بالاستغناء . وتقدم التعليم في هذه الاقطـار بعـد الاستقـلال كما وكيفـا واسهمت مصـر في هذا التقـدم، وبـرزت طائفـة من المثقفـين اخـذت مواقعهـا في السلطة فتطلعت الى تجاوز المثـل المصـري . واصبحت الاقطـار النفطيـة مركز جذب للعمالة المصرية فشهدت هذه الاقطار قدوم اعداد كبيرة من عامة مصر، فضلا عن شريحـة الخـبراء المصـريـين المختصـين الـذين اتصل وجودهم فيها

واستمر. واسهم ذلك كله في تغذية المشاعر الاقليمية في مصر وفي تلك الاقطار.

احتـدم الصراع بين عرب وعرب في مرحلة السادات، بفعل بؤر توتر ظهرت في مشرق الوطن ومغربه. وبلغ هذا الصراع مدى لم يحدث من قبـل فنشبت مجمـوعـة حروب عربيـة. وبرز اتجاه قوي في مصر الى تجنب الانشغال بهذا الصراع.

★★★

العـامـل الثـالث الذي يتفاعل مع العامل الجغرافي، ويسهم في التأثـير على دور مصـر العـربي هو اوضـاع الصراع العربي الاسرائيلي وقضية فلسطين فمن الواضح ان التحدي الاسرائيلي يواجه مصر بشكل خاص بحكم مجمـوعة عوامل من بينها الجوار الجغرافي، وقد دخل طورا جديـدا بعـد حرب ١٩٦٧ حين احتلت اسـرائيل ارض سيناء وجثمت على الضفـة الشـرقيـة لقناة السويس. ويواجه هذا التحدي في الوقت نفسـه شعب فلسطـين في المقـام الاول واقطـارا عربيـة اخرى بدرجات متفـاوتـة، الامـر الـذي يفـرض تكـاتف جهد مصر مع الجهود العربية لمواجهتـه، ومن ثم يسـهم في تشكيـل دور مصر العربي وتحديد وجهته، كذلك فان السياسة الاسرائيلية تفعل فعلها في محاولاتها الدائبة تعطيل هذا الدور، وبقدر ما تنجح مصر في تحقيق رؤ ية عربية مشتركة لكيفية مواجهـة هذا الصـراع، وفي التعبـير من خلال سيـاستهـا تجاه قضيـة فلسطـين عن المصلحـة العـربيـة المشـتركـة وعن الحس الشعبي، وفي افشال محاولات اسرائيل الرامية الى منع التعاون العربي، بقدر ما يبلغ دورها العربي مداه وينطلق لبلوغ الهدف.

لقـد ادرك عبـدالنـاصـر ابعاد التحدي الاسرائيلي لمصر والمنطقة العـربيـة. وتبنى سياسة ترمي الى مواجهة هذا التحدي وبخاصة بعد عدوان اسـرائيـل على غزة عام ١٩٥٥ والعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦. وسعى الى تحقيق رؤ يـة عربيـة مشـتركـة لكيفيـة المواجهة في مؤتمرات القمـة العـربيـة، فاصبحت سيـاسته هذه جزءا من دور مصر العربي،

وفعلت فعلهـا في دعم هذا الـدور ودفعه . وقد زادت حرب عام ١٩٦٧ من قنـاعتـه بهذه السيـاسـة فتـابـع انتهاجها . واستشعر في عام ١٩٧٠ الحاجة الى تطوير بعض اساليبه ضمن السياسة نفسها فاتجه الى قبول مبادرة روجرز.

تابع الرئيس السادات التزام الخط العريض لهذه السياسة في اول عهده ، وذهب بعيدا في اعتماد اسلوب جديد حين طرح مبادرته الاولى عام ١٩٧١ بشأن الســلام . وجـاءت حرب ١٩٧٣ تطـبيـقـا لهذه السيـاسـة ، . ولكنـه اتخـذهـا منطلقا لتبني سياسة جديدة تقوم على ان حرب ١٩٧٣ هي اخـر الحـروب التي ستخـوضهـا مصـر مع اسرائيل ، وعلى مواجهـة اسـرائيـل بالسـلام . ولم يحرص على تحقيق رؤ ية عربية مشـتركـة تتبنى هذه السياسة ، وانفرد في انتهاجها ، الامر الذي احدث ارتباكا في المواقف العربية ، وأثر تأثيرا سلبيا على دور مصر العربي .

★★★★

العـامـل الـرابـع الذي يؤثر على دور مصر العربي هو الاوضاع الـدوليـة وانعكاساتها على المنطقة العربية ، وواقع التوازن الدولي . وقد برز تأثير هذا العامل بشكل قوي على مصر والمنطقة منذ اقدم العصور بحكم الاهميـة الاسـتراتيجية التي تميز بها الوطن العربي موقعا وثروات وحضـارة . وتضـاعفت هذه الاهميـة في عصـر النفـط بسبب ما في هذا الوطن من احتياطي نفطي كبير .

حين نتتبـع تحرك مصـر في المنطقـة في العصر الحديث نلاحظ ان الاوضاع الدولية تحكمه الى حد ليس بالقليل ، فهي ترسم حدودا له ، وتعمل على الحد منه او تعطيله تماما ، لان الدول الكبر ى ترى في مصر القوية الملتحمة بالدائرة العربية خطرا شديدا على مصالحها ، ومن امثلة ذلـك ما حدث مع علي بك الكبـير ومحمـد علي وجمـال عبـدالنـاصـر ، ونـلاحـظ ان اي خلل في تقـديـر القيادة المصرية لهذه الاوضاع الدولية وحساباتها ينتهي بنكسة من امثلتها معاهدة ١٨٤٠ ، ونكسة ١٩٦٧ .

لقـد بدأت مرحلة عبـدالناصر في اعقاب الحرب العالمية الثانية ،

كانت الامبراطوريتان البريطانية والفرنسية والاستعمار الاوروبي في مرحلة التصفية. بينما برز كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة كدولة اعظم، وكان التوازن الدولي ينتقل من مرحلة الردع الشامل الى مرحلة التعايش السلمي. وقد أحس عبدالناصر فهم طبيعة العصر الذي تدفقت فيه ثورة التحرير في اسيا وافريقيا موجة اثر موجة، فاحسن مواجهة السياستين البريطانية والفرنسية في المنطقة، وقام بدور فاعل في الساحة الدولية حين اسس مع تيتو ونهرو حركة عدم الانحياز وضبط تحركه بين المعسكرين بشكل جيد حتى منتصف الستينات، ومكنه ذلك كله من مباشرة تحركه العربي. تماما كما اعطاه تحركه العربي قوة في تحركه الدولي، وعاد عليه بمردود معنوي واد من قدره.

حدثت منذ منتصف الستينات تغيرات واضحة في التوازن الدولي ادخلته في مرحلة الانفراج، ويبدو ان مصر لم تحسب حساب هذه التغيرات حين تصاعدت الاحداث في المنطقة قبيل حرب ١٩٦٧، الامر الذي مكن الولايات المتحدة واسرائيل من توجيه ضربة قوية لمصر. وقد حاول عبدالناصر في اخر عهده ان يتقن حساباته الدولية، وكانت الضربة التي وجهت له تستهدف فيما تستهدف تحركه العربي الذي تجاوز احيانا الحدود في نظر القوى الدولية كما حدث في حرب اليمن. ومن هنا يمكن القول ان نجاح مصر في تحركها العربي الى حد ليس بالقليل في الخمسينات اقترن بتحرك محسوب اخذ في الاعتبار الاوضاع الدولية، فحين تغيرت بعض هذه الاوضاع ولم يؤخذ التغير في الحسبان تعثر تحرك مصر العربي.

اراد الرئيس السادات منذ بدايات عهده ان يتجنب عداء الولايات المتحدة التي كانت وراء نكسة ١٩٦٧. واجتهد في رسم استراتيجية جديدة، واتخذ مواقف متتالية منها طرد الخبراء السوفييت والغاء المعاهدة مع الاتحاد السوفياتي وذهب بعيدا في تطمين الولايات المتحدة بعد حرب ١٩٧٣، فحد من نشاطات مصر العربية وقصر

تعـــامله مع الحكـومـات، وراهن على الازمـة التي برزت في الانفـراج الـدولي ليقنـع الـولايـات المتحـدة بأهمية دور مصر في المنطقة، ومن ثم جعلها قوة تتعاون معها، وهكذا اصبح التفاهم مع الولايات المتحدة هو السبيـل لتمكـين مصـر من القيـام بدورها العربي، بينما كان الامر قبل ذلـك ان مبـاشـرة دورهـا العـربي وانتهـاجها سياسة عدم الانحياز هو السبيـل الى بنـاء علاقـات صحيحـة مع الـولايـات المتحـدة، وبدت الـولايـات المتحـدة في الحالين ثابتة في عدم قبول قيام مصر بدور عربي قوي، وتابعت مع حرصها على كسب مصر استراتيجيتها القائمة على التعامل مع المنطقة مجزأة وبشكل مباشر.

بعـد ان عرضنـا لهذه العـوامـل الاربعـة التي تتفاعل مع العامل الجغـرافي في تكـوين دور مصر العربي، نستشعر الحاجة الى ان نعرض الى عامـل اخـير هو الـذي يحكم عمليـة التفـاعـل بين هذه العـوامـل مجتمعـه. انـه عامـل القيـادة في مصـر، ومع انه يدخل في اوضاع مصر الداخلية بشكل معين، الا انه يبرز كعامل متميز له تأثيره الخاص.

يكتسب هذا العامل اهمية حقيقة ان مصر مجتمع مستقر، هو في غالبيته مجتمع وادٍ زراعي، وقد برزت في هذا المجتمع منذ الاف السنين حكومة مركزية قوية بحكم ما يتطلبه المجتمع النهري من تنظيم دقيق، ونشأت حضارة مزدهرة قامت فيها اجهزة ومؤسسات تتميز بالاستقرار، وقـد احتـل ساكن «البيت الكبـير» في مصـر منـزلة خاصة لما يجسده من معنى وحـدة هذا المجتمـع، ولمسـؤ وليتـه في الحكم من خلال الاجهزة والمـؤسسـات. وبقدر ما يبدو الحاكم مطلق التصرف في تسيير الامور، فانـه في حقيقـة الامر «محكوم» بحدود لا يستطيع تجاوزها، ويصطدم بما تضعـه الاجهـزة من عراقيـل ان حاول. ويتيـح هذا المجتمـع المستقـر للحـاكم ان يعـبر عنـه بثقـة ويتميـز بصبر في تعامله معه، وبأنه يتمثل الاحـداث ببـطء، حتى اذا وجد ثقته في غير موضعها وبانت له عواقب الاحداث وخيمة نفذ صبره، واعاد الامور الى نصابها.

ويكتسب هذا العـامـل أهميـة من حقيقـة موقع مصر من الوطن

العربي وموقع الوطن العربي من العالم، فالقيادة في مصر مدعوة للموازنة بين مختلف العوامل المؤثرة على مسار الاحداث في مصر والمنطقة، وادراكها لدور مصر في المنطقة واحسانها التعبير عنه شرط اساسي لنجاح هذا الدور. وبقدر ما تنجح في صياغة مثل أعلى يعبر عن تطلعات الناس في مصر والمنطقة بقدر ما يلتف الناس حولها، واذا كان القائد في مصر حاكما يمارس فيصيب ويخطيء فانه يبدو للناس في اجزاء الوطن العربي الاخرى من خلال الافكار التي يطرحها.

«٣»

والان لنا أن نتشوف افاق دور مصر العربي فيما بقى من الثمانينات، من خلال النظر في العوامل التي تؤثر عليه، وفي كيفية التعامل مع هذه العوامل.

ان بعد المكان يشد مصر اليوم الى القيام بدور في الدائرة العربية، كما شدها في مراحل سابقة، ومع الثبات الذي يتميز به هذا العامل فانه يلبس في كل مرحلة ثوبا جديدا من خلال الاحداث التي تجري فيه.

تجد مصر نفسها جزءا من منطقة فيها الخليج حيث احتياطي النفط الكثير الذي يشتد الصراع الدولي حوله. وفيها البحر الاحمر الذي تزداد أهميته الاستراتيجية في هذه المرحلة من التوازن الدولي، وعلى مقربة منها القرن الافريقي حيث يشتد الصراع الدولي، وفي قلبها فلسطين المحتلة حيث تتحرك العسكرية الاسرائيلية بعد ان دخلت مرحلة جديدة، وعلى مقربة منها بؤر توتر في وسط افريقيا، ولا تستطيع مصر مهما اشتدت عليها الضغوطات او الاغراءات لتصرف النظر عما يجري، الا ان تنشغل بما يجري لانه يمس امنها مباشرة، ويلفت النظر هنا ان الحوار الذي دار حول تحييد مصر انتهى حتى عند الذين يقولون بالقومية المصرية الى ان حيادها مستحيل لانه يتناقض مع امنها. وتنمو اليوم في مصر من خلال تجربتها في عملية السلام مع اسرائيل اتجاهات قوية تربط بين امن مصر وامن الدائرة العربية، ومن

ثم تستشعر دورا لمصر فيها. وقد عززت حرب الخليج بين العراق وايران هذه الاتجاهات.

وهكذا نجد بعد المكان يرسم في هذه المرحلة الخط العريض لدور مصر العربي، ويدعوها الى القيام به، فكيف ستتفاعل العوامل الاخرى معه؟

★★★★

كيف تبدو اوضاع مصر الداخلية اليوم؟ وماذا سيكون تأثيرها على دور مصر العربي فيما تبقى من الثمانينات؟

ان نظرة شاملة على اوضاع مصر تكشف لنا انها في هذا الطور الذي تعيشه بعد تولي الرئيس مبارك تمر في فترة انتقال لتنتهي الى وضع داخلي له سماته الخاصة به وصورته المتميزة، وهي صورة ستحمل في طياتها محصلة ملامح المرحلتين السابقتين من الحكم في مصر. فمصر مؤهلة اليوم للحسم في أمور اساسية برز الخلاف حولها منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢، وجرى التعامل معها بأساليب مختلفة تتغير احيانا الى النقيض، ومن بين هذه الامور السياسة الاقتصادية التي تبنت الاشتراكية مرة، وانتقلت الى الانفتاح مرة اخرى، ومنها الموقف بين الشورى والديمقراطية الذي تراوح بين تبني مفهوم الديمقراطية الاجتماعي وتبني مفهوم الديمقراطية التعددية، وانتقل من التنظيم السياسي الواحد الى تعدد الاحزاب المحدود، ومنها قضية انتماء مصر وهويتها التي توزعت بين اندفاع في تبني الدعوة الى القومية العربية عند البعض وبين تشدد في الدعوة الى المصرية المنغلقة على نفسها عند بعض اخر، فضلا عن أمور اخرى تتعلق بعلاقة مصر بالدول العربية الاخرى، وعلاقتها باسرائيل، وعلاقاتها الدولية ولا يعني الحسم في هذه الامور الاساسية انه حسم نهائي لا عودة عنه لان التاريخ يعلمنا ان ذلك لا يحدث، وانما هو حسم على مستوى المرحلة يتعامل مع المتغيرات التي تظهر فيها، ويقبل التطور.

تعاني مصر في هذه الفترة الانتقالية من ضعف اقتصادي بفعل

مجموعة من المشاكل الاقتصادية تفاقمت في السنوات الاخيرة، ومن هنا فان القيادة تعطى اهتماما خاصا لمعالجة هذه المشاكل. ولنا ان نتوقع ان يجعل هذا الوضع الاقتصادي سياسة مصر الخارجية بصورة عامة وتحركها العربي بصورة خاصة يتسمان بالحذر، ولكننا لا نتوقع ان يقعد مصر عن القيام بدورها العربي وذلك لان العمالة المصرية المنتشرة في الوطن العربي هي اليوم احد ركائز الاقتصاد المصري الاساسية، كما ان خبرة تجارب تحرك مصر العربي في المرحلتين السابقتين بلورت حقيقة ان لهذا التحرك مردوده الايجابي على الاقتصاد المصري بما يحققه لمصر من منزلة بين العرب وما يقيمه من علاقات تعود بالخير على الصعيد الاقتصادي. ويمكننا ان نلاحظ اليوم في مصر وبقية اجزاء الوطن العربي ادراكا افضل لجدوى التعاون المشترك القائم على اسس موضوعية تعبر عن المصالح المشتركة، وذلك بعد تجربة القطيعة التى خاضوها، وبعد انكشاف حقيقة المعونات الخارجية بصورة عامة والمعونة الامريكية بصورة خاصة، وكونها تتصف بالهزال ولا تعدو في نهاية الامر عن كونها مجالا لتصريف فائض من الانتاج وتوظيف فائض من العمالة والسيطرة على اسواق جديدة، يضاف الى ذلك تبلور حقيقة ان تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل الذي فرضته المعاهدة المصرية الاسرائيلية لا مستقبل له مع استمرار السياسة الاسرائيلية العدوانية، وانه يمثل عبئا على علاقات مصر الاقتصادية في الدائرة العربية، وان التطبيع لا يأتي بالفرض. . . انما هو تعبير عن مصالح مشتركة في مختلف المجالات.

ان هذا الادراك الافضل لهذه الحقائق في مصر والاقطار العربية الاخرى يهيىء المناخ الصالح لقيام مصر بدور على الصعيد الاقتصادي من خلال اقامة علاقات مصرية مع دول عربية على صعيد ثنائي او متعدد. ويبقى ان يجري التغلب على حساسية قائمة بفعل ما ترسب ابان المرحلتين الماضيتين وفي فترة القطيعة القائمة، غذتها الحملات الاعلامية المنطلقة من النظرة الاقليمية، التي تعتمد اسلوب المن

وتجتزىء الحقائق لتتحدث عن حاجة الطرف الاخر دون التحدث عن حاجتهـا هي ، وبصـورة عامـة تسقط الموضوعية من حسابها في عرضها لعلاقات التعاون.

يقتضي التغلب على هذه الحساسية قيام القيادة المصرية بتوعية اعلامية وقبل ذلك بتحقيق وضوح في هوية مصر التي تتضمن دوائر عدة منها الدائرة العربية. وسيساعد في هذه المهمة جذب العمالة المصرية في الدول العربية للمشاركة في التوعية الاعلامية.

هناك امر اخر يحتاجه قيام التعاون الاقتصادي بين مصر والدول العـربيـة هو استقـرار السيـاسـة الاقتصادية في مصر على حال واضح، وارسـاء تقـاليـد في التعـامـل تضمن المصالح المشتركة وتحقق الطمأنينة لرأس المال العربي. فماذا سيكون عليه التوجه المصري في السياسة الاقتصادية؟

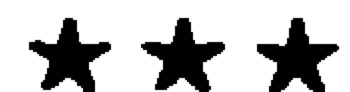
لنـا ان نتـوقع على ضوء ممارسات المرحلتين السابقتين ان تستمر مصر في انتهاج سياسة ا لانفتاح مع التركيز فيها على الانفتاح الانتاجي والحد من الانفتاح الاستهلاكي الذي بلغ حدا غير معقول. ويقتضي النجـاح في هذا التـوجـه طرح قيمـة عليا جميلة في ميدان الاقتصاد تعتز بالانتـاج الـوطني، وتنفـر من الاسـراف في الاستهـلاك، وتقبـل على الاسهام في تقدم الوطن ببذل مالها وعرقها تعبيرا عن اعتزازها بالانتماء للوطن.

ويـبر ز السـؤ ال عن ماهيـة الـدور الـذي يمكن لمصر ان تقوم به على صعيد الاقتصاد في الدائرة العربية؟

ان مصر قادرة على الاسهام في توفير العمالة الفنية اللازمة لتنفيذ البر امج الانمائية في دول عربية. وهي قادرة على تقديم بعض الخبرات بحكم توافـر اعـداد من الخـبراء فيهـا. ويمكنهـا الـدخول في مشاريع مشتركة للاستثمار في مصر ودول عربية اخرى وبخاصة في نطاق تحقيق هدف الامن الغذائي العربي. وسيقتضي ذلك كله من مصر ان تنطلق في التخطيـط لمشـاريـع التنمية فيها من منطلق قومي ونظرة شاملة تأخذ

بعين الاعتبار مشاريع التنمية في الوطن العربي.

سيتوقف مباشرة هذا التعاون على ايجاد الصيغة المناسبة لتجاوز القطيعة القائمة، وبخاصة فيما يتعلق بالتعاون العربي الشامل في اطار الجامعة العربية. ولن يتم ذلك الا اذا اجتمع العرب مع مصر على مشروع سلام واحد. والى ذلك الحين يمكن ان تتم المباشرة على صعيد ثنائي، او صعيد متعدد.



تبدو مصر في هذه الفترة الانتقالية، ووضعها السياسي اكثر استقرارا مما كان عليه في السنة الاخيرة لحكم الرئيس السادات. ومع ان الحذر الامني لا يزال باديا على الحكم ويجسده تمديد فترة الطوارىء، الا ان الحكم يحاول جاهدا اعتماد اسلوب الحوار مع المنتمين لحركات الاحياء الروحي، ويفسح المجال لصورة من صور المعارضة، ولحد من التعدد في الآراء. ومع ان ممارسة الديمقراطية التعددية لم تتخذ شكلها النهائي بعد، الا ان بعض تقاليدها بدأت ترسخ. ولا تزال صيغة التعددية القائمة لا تستوعب قوى سياسية تعبر عنها حركات الاحياء الروحي بين المسلمين او المسيحيين التي تستقطب اعدادا كثيرة من الشباب.

تقوم المؤسسة العسكرية بدور هام في نظام الحكم بمصر، وتمثل احد اركانه الاساسية، وقد قدمت الكثير من القيادات في العقود الثلاثة الماضية. وهي تطبع الحكم بطباعها. ويقوم قطاع الفنيين الخبراء بدور هام ايضا، ومثلهم بعض القوى الاجتماعية الفاعلة. ولا تزال تجربة الاحزاب الاربعة حديثة، وقد خرجت جميعها من «معطف» التنظيم السياسي الواحد. ولم تستقر بعد العلاقات بين الحزب الحاكم واحزاب المعارضة على اسس واضحة. وما تزال تتحرك ضمن اساليب تحتاج الى اعادة نظر شأنها شأن الحزب الحاكم.

الى اي مدى سيكون الوضع السياسي في مصر مستقرا ليمكن مصر من القيام بدور عربي؟

ان مصر مؤهلة لان تكون نموذجا للاستقرار. والامر يتوقف على مدى نجاح نظام الحكم في استيعاب القوى السياسية الموجودة خارج المؤسسات، ونجاحه في التفاعل مع الشباب الذين تصل نسبتهم الى حوالي نصف السكان. كما يتوقف الامر ايضا على نجاح الحزب الحاكم واحزاب المعارضة في تطوير اساليبها، وعلى اقتناع المؤسسة العسكرية بدعم تجربة الديمقراطية والصبر على بعض ممارساتها، وعلى التزام الجميع بسيادة القانون والحفاظ على حقوق الانسان في مصر. والحكم مدعو بصورة خاصة الى تعزيز الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين الاقباط.

لنا ان نتوقع قيام القيادة المصرية بالتحرك في هذا الاتجاه بعد ان دللت تجارب المرحلتين السابقتين على انه يوصل الى الاستقرار.

ان الوضع السياسي الداخلي في مصر اليوم يشجع على قيامها بدور في الدائرة العربية، والتحرك بخطى محسوبة فيها. وتأتي صفة الحساب في هذه الفترة كمحصلة للاندفاع في هذا التحرك في عهد عبدالناصر والمغالاة في الاحكام عنه في آخر عهد السادات. وقد تعززت القناعة في مصر اليوم بضرورة اقامة علاقات بين مصر والدول العربية قائمة على اساس من المصلحة المشتركة والوضوح والاحترام وعدم التدخل في الشؤون الداخلية. وكشفت المناقشات التي دارت حول هذا الموضوع عن ان المفاهيم حوله فيما يخص المبدأ واضحة، ولكن ليس من الواضح حتى الآن وجود استراتيجية متبلورة لتحرك مصر في الساحة العربية، لا على صعيد الوطن ككل ولا على صعيد علاقات مصر الثنائية مع كل دولة عربية على حدة. وقد بدا واضحا افتقاد هذه الاستراتيجية في السبعينات بخاصة، وعدم الشعور بالحاح الحاجة اليها على مستوى القيادة التي اعطت الاولوية لرسم خطوط استراتيجيتها الدولية والاسرائيلية، معتبرة ان ذلك سيوصل الى رسم

الاستراتيجية العربية. ويلفت النظر ان البحث في الاستراتيجية على المستويين الدولي والاسرائيلي كان يشير الى اهمية وضوح الاستراتيجية على المستوى العربي، كما حدث عند مناقشة بنود المعاهدة المصرية الاسرائيلية حين ثارت مسألة التزامات مصر العربية. وترددت الدعوة الى العكوف على وضع هذه الاستراتيجية في بعض الاوساط، والى انشاء مركز استراتيجي للبحث في امور الوطن العربي. ولنا ان نتوقع ان تتجاوب القيادة مع هذه الدعوة.

واضح ان اتجاه مصر في تحركها السياسي في الدائرة العربية سيكون متعددا. فهناك اولا العلاقات المصرية السودانية ولها اولوية خاصة. وقد تبلورت اسسها الى حد ليس بالقليل معبرة عن مصالح مشتركة للدولتين المصرية والسودانية. وهي تدخل اليوم تجربة التكامل القابلة للنمو. وتتحرك مصر ضمن الاتجاه نفسه في شرق افريقيا حيث الصومال، وتشارك السودان اهتمامه بما يجري في تشاد والجنوب وعلى حدوده مع اثيوبيا، هناك ثانيا اتجاه مصر ناحية الجزيرة العربية والانشغال بامن البحر الاحمر، وبأمن الخليج. وقد اقامت علاقات قوية مع عمان. واتخذت موقفا مؤيدا للعراق في الحرب مع ايران. وما تزال علاقاتها مع بقية الدول هناك اسيرة القطيعة الرسمية منذ مؤتمر بغداد وتوقيع المعاهدة المصرية الاسرائيلية. وهناك ثالثا اتجاه مصر ناحية بلاد الشام وقد توقف التحرك فيه بعد زيارة الرئيس السادات للكنيست لفترة، حتى بدأ من جديد مع تولي الرئيس مبارك في التحرك ناحية الاردن ولبنان. وهناك رابعا اتجاه مصر ناحية المغرب العربي وهو قائم في حدود معينة مع المغرب، وتحكمه القطيعة الرسمية مع الدول الاخرى. هناك قبل ذلك كله التحرك المصري ناحية فلسطين، وقد اخذ شكلا معينا بعد مبادرة الرئيس السادات اثار ما اثار من جدل وخلاف ومع ذلك فقد تمسك بالحرص على حد ادنى من العلاقة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

نلاحظ على هذا التحرك المصري في مختلف اتجاهاته هذه انه تحرك على الصعيد الرسمي ، استمرارا للنهج المتبع منذ عهد الرئيس السادات، لا يحاول ان يتجاوزه الى الصعيد الشعبي ، ويتعامل بحسابات دقيقة مع القوى المعارضة العربية .

ان مجالات التعاون السياسي بين مصر والدول العربية واسعة ، ولكن المجال الاهم فيها هو مجال الامن الاستراتيجي . وفي هذا النطاق تبرز اهمية التعاون للتقدم بصناعة السلاح . وكانت مصر مع بعض دول الخليج قد باشرت عملا هاما في هذا المجال لم يلبث ان توقف التعاون فيه بسبب القطيعة الرسمية . وتابعت مصر محاولاتها منفردة .

لنا ان نتوقع على ضوء ما سبق ان تحرص مصر في المرحلة القادمة على القيام بدور عربي على الصعيد السياسي . وهي قادرة على الاسهام بجهد لدفع مخاطر، ويجهد لبلوغ اهداف على صعيدي الحرب والسلام . ولا نرى في المدى القريب دورا مصريا متجها الى الشعوب العربية . واغلب الظن ان مصر ستتجنب لفترة العمل على المستويين الشعبي والرسمي في وقت واحد، وتحذر من تعقيدات العمل على المستوى الشعبي . اي انها ستتجنب انتهاج سياسة هجومية تثير مشكلات مع الانظمة العربية .

★★★

كيف تتعامل الحياة الفكرية والروحية في مصر اليوم مع المشكلات الاقتصادية والسياسية؟ وما هي القضايا المطروحة على هذا الصعيد؟ وما تأثيرها على قيام مصر بدورها العربي؟

تبرز اولا قضية الانتماء تماما كما تبرز في بقية الاقطار العربية . وتتخذ شكل تساؤلات ملحة احيانا وشكل حوار وجدل احيانا اخرى .

هل الهوية مصرية، ام عربية، ام اسلامية؟

هل التمسك بالمصرية يعني انكار القومية العربية؟

هل الانتماء القومي او الوطني يتناقض مع الانتماء العقيدي؟

واسئلة اخرى كثيرة تثور بين حين وآخر، وتغذيها الاحداث الجارية كالحرب بين العراق وايران، والمعاهدة المصرية الاسرائيلية، وغزو اسرائيل للبنان.

واضح ان طرح هذه الاسئلة اليوم وثيق الصلة بعدم قدرة الفكر القومي الذي تبنته المدرسة الشامية القومية على الاحاطة بحقائق الاوضاع في المنطقة، كما انه وثيق الصلة برد فعل الفكر الديني على الطروحات القومية، وبالطرح الاممي، والخطأ في جميع هذه الطروحات انها في تحديد الهوية اعتمدت دائرة واحدة من دوائر الانتماء المتعددة، واسقطت ما عداها، ووضعتها جميعها في موضع التناقض مع انها في موضع التكامل.

ان دائرة الوطنية المصرية واضحة المعالم كأشد ما تكون الوضوح ، بحكم عامل الجغرافيا وعامل التاريخ، ولا بد من ان تأخذ مكانها في دائرة الانتماء، الكلية. ولقد ضاق بعض دعاة الفكر القومي من المدرسة الشامية بوضوح الدائرة المصرية فعملوا على القفز عنها واقعا وتاريخا. ولم يتقبل ذلك قطاع هام من المثقفين المصريين، واعتبروا القفز على اسم مصر امرا غير مقبول.

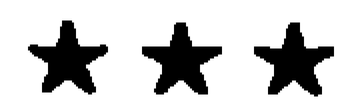
كذلك فان دائرة مصر القومية التي تجمعها ببقية الاجزاء العربية واضحة المعالم كأشد ما يكون الوضوح. ومثلها دائرة مصر المنتمية الى وطن الحضارة العربية الاسلامية، والى العالم اجمع. ولا تناقض بين الانتماء لهذه الدوائر معا في هوية واحدة.

يمكننا القول ان الفكر في مصر والوطن العربي اليوم مهيأة لهذا الفهم، وقد عبر مرحلة النظرة العاطفية في الدعوة القومية الى النظرة الواقعية الشاملة التي تتعامل مع الحقائق القائمة ومن هنا فان لنا ان نتوقع ان يساعد هذا الفهم على استشعار مصر اهمية دورها العربي، واستشعار العرب مجتمعين اهمية دورهم في دائرة الحضارة العربية الاسلامية، وفي الدائرة العالمية بشكل عام. ولنا ان نتوقع ان تعبر الوطنية المصرية عن نفسها تعبيرا ايجابيا بالانفتاح على ما حولها

والارتباط به وان تعبر القومية العربية عن نفسها بايجاد حقائق الوحدة كسبيل عملي للتقدم على طريقها، لا باقتصار الحديث عن ضرورتها وحتميتها كما كان الحال في المرحلة العاطفية التي مرت بها الفكرة القومية، وان تعبر المعتقدات الروحية عن نفسها بتوجيه الفرد والمجتمع الى العمل الصالح من خلال التعلق بمثل اعلى والتمسك بالقيم الخيرة.

ان مصر مهيأة اليوم بعد تجربة الانفتاح الاستهلاكي الى التعلق بقيمة الانتاج وبقيمة النزاهة والكسب الحلال على الصعيد الاقتصادي. وهي مهيأة اليوم من خلال تجربتها في المرحلتين السابقتين الى التعلق بقيمة العدل والرحمة وحماية حقوق الانسان وسيادة الشورى والديمقراطية على الصعيد السياسي، وبقيمة التسامح القائم على المحبة على صعيد المعتقد والدفاع عن حرية الاعتقاد.

سيكون للدعوة لهذه القيم في مصر حين تبدأ، ولتجسيدها عمليا بعد ذلك اثره على الدائرة العربية من حيث اكساب دور مصر العربي بعدا فكريا روحيا هاما.



ان قيام مصر بدورها العربي، وقد تهيأت اوضاعها الداخلية لذلك مقيد الان الى حد ما كما وضح لنا بالقطيعة الرسمية القائمة بينها وبين غالبية الدول العربية بسبب المعاهدة المصرية الاسرائيلية. فكيف تبدو العلاقات المصرية الاسرائيلية اليوم؟ والى اين تسير؟ وكيف يكون الانفكاك من القيد الموجود؟

واضح ان هذه العلاقات تعاني ازمة مستحكمة تعود في اصولها الى الكيفية التي بدأت بها. واذا كانت قد وصلت مؤخرا الى ما يشبه القطيعة في عهد الرئيس مبارك، فانها عانت ازمة حادة في السنة الاخيرة من عهد الرئيس السادات. ويكفي ان نشير الى ايقاف مفاوضات الحكم الذاتي والموقف بعد قصف اسرائيل المفاعل الذري في بغداد،

وبعد الغارة على بيروت وحرب الاسبوعين، وبعد ضم القدس وسلسلة الاعتداءات الاسرائيلية الاخرى. والامر يعود ببساطة الى تباين كامل في النظر لمعنى هذه العلاقات واهدافها. فبينما يصورها الحكم في مصر خطوة نحو حل شامل يتحقق فيه سلام عادل اساسه انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية المحتلة واحقاق الحقوق الوطنية لشعب فلسطين، نجد أن الحكم في اسرائيل اعتبرها ثمنا تقدمه مصر مقابل الانسحاب الاسرائيلي من سيناء، وتفرض على نفسها من خلاله الانعزال عن الدول العربية، والسكوت على ضمه الاراضي العربية المحتلة الاخرى، وعلى سياساته العدوانية في المنطقة. وتجسد هذا المنطق بفكرة فرض تطبيع العلاقات.

يمكن القول بوضوح على ضوء الواقع الراهن في العلاقات المصرية الاسرائيلية انها تعبر من وجهة نظر مصرية عن «سلام مفروض» وليس «سلاما عادلا» ولا يمكن لهذا الوضع الا ان يعاني ازمة.

ولكن هل تعني هذه الازمة في العلاقات ان مصر ستقدم على قطعها وتلغي المعاهدة المصرية الاسرائيلية؟

ان مبررات مصر في الاقدام على هذه الخطوة قوية، ومع ذلك فان مصر اكدت مرات انها لن تقدم عليها مؤثرة التعبير عن موقفها بوضوح من خلال احترام الاتفاقات وتسجيل مخالفات الطرف الاخر لها.

الى اي مدى تستطيع مصر الاستمرار على هذا الموقف؟ وان استطاعت، فهل ستقبل اسرائيل الموقف المصري الراهن وتسكت عليه ام انها ستنساق لاغراءات تفوقها العسكري وتشن الحرب على مصر؟

واضح ان اي قرار يخص الغاء هذه المعاهدة يفكر احد طرفيها باتخاذه لا بد وان يضع في حسابه البعد الدولي وبخاصة موقف الولايات المتحدة الامريكية التي دخلت شريكا في عملية كامب دافيد مع الطرفين. وهذا يعني ان ايا من الطرفين لا يجد نفسه في الوقت الراهن

مطلق اليد في الاقدام على هذه الخطوة.

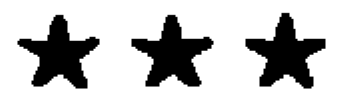
كيف اذن يكون الانفكاك من القيد الموجود على العلاقات المصرية مع الدول العربية؟ واضح ان مصر ترفض بشدة النظرة الاسرائيلية لعودة علاقاتها العربية التي تعتبر ذلك مخالفا لروح المعاهدة وهي تتمسك بقوة بنظرتهاالتي تؤكدالتزاماتهاالعربيةواعتباران الوفاء بهذه الالتزامات لا يتأثر بالتزامها نحو اسرائيل كما نصت عليه المعاهدة. وهي على استعداد لاعادة العلاقات مع اية دولة عربية في اية لحظة، ولكنها لا تقبل ان يوضع شرط لذلك الغاء المعاهدة.

لا تزال الدول العربية التي قطعت علاقاتها بمصر ترى صعوبة الاقدام على اعادة هذه العلاقات دون ان تلغي مصر المعاهدة او تتخذ خطوة بارزة تؤدي الى تجميدها. ولكن معظم هذه الدول مقتنع بضرورة البحث عن صيغة تمكن من انهاء هذه القطيعة القائمة على الصعيد الرسمي.

لنا ان نتوقع على ضوء ما سبق ان تتكثف الاتصالات بين مصر وغالبية الدول العربية في صورة الدبلوماسية الهادئة خلال الفترة القادمة لتصل الى تعزيز العلاقات على الصعيد الثنائي بانتظار الوقت المناسب لاعادتها رسميا.

ولنا ان نتوقع ايضا بعد ان تبنى مؤتمر فاس مشروع سلام عربي وطرحت الولايات المتحدة مبادرة الرئيس ريجان، ان تستمر المحاولات لبلورة «عملية» جديدة لاحلال السلام العادل في المنطقة . فاذا ما تم ذلك يمكن ان تلتقي مصر مع دول عربية اخرى في نطاق هذه العملية ومن ثم يتهيأ المناخ لقرار تتبناه الجامعة العربية بشأن عودة مصر. وعندها تعود مصر لممارسة دورها العربي متحررة من قيود القطيعة الرسمية التي حدثت بعد توقيع المعاهدة. وسينصب جزء هام من هذا الدور في مرحلة بلوغ السلام العادل على بناء موقف عربي تفاوضي قوي موظفا ما كسبته مصر من خبرة في تجربتها التفاوضية العسيرة.

ان مصـر مهيأة في الايـام القادمة لتبني هدف كبير يناضل شعبها لبلوغـه وتشـد اليـه انظـار الامـة العـربيـة في نطـاق الصـراع العـربي الاسـرائيـلي، هو احقـاق الحقوق الوطنية لشعب فلسطين واقامة الدولة الفلسطينيـة . وقـد كانت سباقة في التجاوب مع فكرة الدولة الفلسطينية وفي الـدعـوة اليهـا، ومن الـواضح ان تبني هذا الهدف سيقوي من دور مصر العربي .



كيف ستـؤثـر الاوضاع الدولية على قيام مصر بدورها العربي؟ وفي اي اتجاه؟ من الواضح ان الاوضاع الدولية تشهد ازمة في الانفراج منـذ اواخـر السبعينـات . وقد انعكست هذه الازمة على منطقة الوطن العـربي في صورة سعي كل من الـدولتـين الاعظم كسب بعض الدول العـربيـة من خلال ممارسـة سيـاسـة الاستقطـاب . وادت مؤخـرا الى رجحـان كفـة الـولايـات المتحـدة في المنطقـة . ومن المتـوقـع ان تتشدد الـولايـات المتحدة في ممارسة الانفراد في المنطقة وابعاد الاتحاد السوفييتي عنها . كما سيتابع الاتحاد السوفييتي بتصميم محاولته النفاذ اليها .

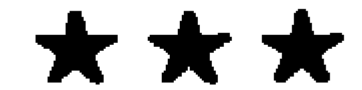
ماذا سيكـون موقف الـولايـات المتحـدة من توجـه مصـر للقيام بدورها العربي؟

لا نجـد في معطيـات السيـاسـة الامـريكيـة الـراهنة ما يوحي بامكانية حدوث تغيير في الموقف الامريكي المستمر الذي عارض دوما دور مصر العربي . وسيبقى هذا الموقف حذرا من ان تقوى مصر بارتباطها بالدائرة العـربيـة، وعـامـلا على ان يبقيهـا ضمن حدودها، مؤثرا التعامل مع الـدول العـربية دولة دولة . وستبذل اسرائيل جهدها لتعزيز هذا الموقف وتغذية هذا الاتجاه .

ولكن السيـاسـة الامـريكيـة ستجد نفسها امام صعوبة التعامل الثنـائي مع الـدول العـربيـة، ورسم اسـتراتيجيـة امنيـة فعالة في ظل السيـاسـة الاسرائيلية المعادية للعرب والسياسة السوفييتية المواجهة لها .

ومن هنـا فقـد تتجـه امـام هذه الصعوبة الى تفهم وجهة نظر مصر التي تتمسـك بمبـدأ عدم الانحيـاز، وتـرفض اقـامة القواعد الاجنبية على اراضيهـا، وتطـرح فكرة ان تدافع المنطقة عن نفسها بنفسها من خلال استراتيجية قومية. ولنا ان نتوقع ايضا ان احسنت مصر والدول العربية التعامل مع مراكز القوى في الولايات المتحدة ان يتقلص دور اسرائيل في الاسـتراتيجيـة الامـريكية في المنطقة لانه يثير نقمة الدول العربية التي يمكن ان تقدم بديلا مقبولا له.

هنا ايضا يمكن لمصر ان تطرح على شعبها وعلى الامة العربية سيـاسـة عدم الانحيـاز وتعـامل الانداد مع الدولتين الاعظم. وتسعى جهدها الى اقناع الولايات المتحدة بالتعامل معها على هذا الاساس.



وضـح لنـا ان اوضـاع مصـر تهيـؤها للقيام بدور عربي، وتعرفنا على ما يمكن ان يكون عليه هذاالدور في عدة مجالات. ونتساءل الآن الى اي مدى تبدو الدائرة العربية مهيأة للتجاوب مع دور عربي لمصر؟ وما هي الصيغة المناسبة لممارسة هذا الدور؟ وكيف ستنعكس ادوار اقطار عربية اخرى على دفع مصر للقيام بدورها؟

يمكننـا القـول ان الاحداث التي جرت في الوطن العربي خلال المرحلة التي بدأت مع زيارة الرئيس السادات للكنيست بكل ما تميزت به هذه الاحـداث من توتـر وانفعـال وتطـرف، اوصلت الى رأي عام عربي قوي ينادي بوحدة الصف العربي، ويعبر عن قوته وتطلعه لعودة مصـر الى ممارسـة دورهـا في الجـامعة العربية. وخففت هذه الاحداث مغـالاة اولئـك الـذين تحمسـوا للقطيعة لاسباب مختلفة. وكشفت لهم خطأ مقولات طرحوها، كمقولة دعاة العزلة في مصر «ان عزلة مصر عن العرب تحل مشاكلها» اومقولة المتطلعين لعزل مصر« سيثبت ان العرب يقومون بدون مصر» او مقولة الساعين لدور قيادي في المنطقة «انتهى دور مصـر القيـادي». والخطأ نابـع في كل هذه المقـولات من عدم ادراك

الترابط بين الاجزاء في اطار الكل. ومن ثم الغفلة عن حقيقة ان ضعف او اضعاف اي جز يعود بالضعف على مجمل «الكل».

ان بروز هذا الرأي العام العربي القوي الذي ينادي بوحدة الصف يشير بوضوح الى ان الدائرة العربية مهيأة للتجاوب مع دور عربي لمصر ولكنه تجاوب حذر، لان بعض الاطراف العربية الرسمية ما تزال تتبنى دعوة متشددة لاستمرار القطيعة حتى تفرض على مصر اتخاذ خطوة بالغاء المعاهدة، ولان رواسب اعلام المرحلة تفعل فعلها، ولان بعض المتحمسين لانهاء القطيعة يلوحون بنتائج مذهلة سريعة «دراماتيكية» لا يوحي الواقع بانها ستحدث.

واضح ان هناك ادوارا عربية يجب ان تؤدي كي تمكن مصر من تجاوز مجموعة الصعوبات التي تحول دون قيامها بدورها، بل وتشجعها على القيام بالدور. وهنا نذكر مرة اخرى بما طرحناه في مدخل هذه الدراسة بان الحديث عن دور عربي لمصر وثيق الصلة بالحديث عن دور عربي لكل قطر عربي. وهذا يعني ان يكون لهذا القطر او ذاك دور مهما صغر في مصر نفسها. فتلك هي الصورة التي ترسمها فكرة «التكامل والتكافل» في الدائرة العربية. فهل تهيأت الاقطار العربية للقيام بادوارها نحو مصر؟

ان هناك مؤشرات ايجابية تدل على ان بعض هذه الاقطار تهيأ لذلك من خلال استيعابه للمعاناة التي سببتها القطيعة للجميع، وظروف خاصة احاطت به. والاسئلة هنا كثيرة ومنها ما نراه في اقطار دول الخليج التي تعيش اجواء الحرب الناشبة هناك بين العراق وايران. ويبقى ان يأخذ توجه هذه الاقطار شكلا عمليا ويتجسد في خطوات محددة مدروسة. وهذا يتطلب بحثا مشتركا لاحتياجات مصر والمنطقة، ينتهي بتحديد ما تحتاجه مصر من دعم يغنيها عن الدعم الخارجي الذي يقيد تحركها، وما تستطيع ان تقدمه من خبرات وعمالة تغني دول المنطقة عن التوسع في الاعتماد على العمالة الغربية التي ينتج عن ازدياد اعدادها مشاكل واخطار.

ان لوجود صيغة مناسبة للعمل العربي المشترك اهمية خاصة في تمكين مصر وبقية الاقطار العربية من القيام بادوارها في الدائرة العربية. واذا كانت الجامعة العربية اطارا لهذا العمل، فقد آن الاوان ان يتبلور «نظام» عربي يحكم عمل هذا الاطار، ويحقق التكامل بين الادوار.

ان قيام التعاون الخليجي بين مجموعة الخليج، وحدوث التكامل بين مصر والسودان يشير الى احد الخطوط الرئيسية لهذا النظام. وهذا الخط هو قيام تعاون وثيق بين الدول العربية التي يجمعها الجوار الجغرافي في ظل التعاون العربي بين الدول العربية مجتمعة. ولقد آن الاوان ان يطمئن القائلون بالتعاون العربي الشامل على ان هذا «التعاون الاقليمي» هو الشرط اللازم لبلوغ هذا التعاون الشامل. وقد اثبتت التجارب ذلك عمليا. ولا يعتبر احد قيام صيغة بينولكس بين بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج مناقض او معرقل لصيغة الجماعة الاوروبية.

خط رئيسي آخر في هذا النظام ترسمه حقيقة ان القيادة فيه لا تكون لقطر واحد وانما هي قيادة جماعية بين قادة انداد.

ان مصر اليوم بعد تجارب المرحلتين السابقتين هي اكثر ما تكون فهما لهذين الخطين الرئيسيين، ومن ثم فان لنا ان نتوقع ان يأتي دور مصر العربي منسجما معهما ومسهما في بلورة هذا النظام العربي.

يمكن للحكم في مصر ان يبلور هدفا يناضل لتحقيق شعب مصر والامة العربية، وهو «ايجاد الحقائق الوحدوية في الوطن العربي وبلورة هذا النظام العربي».

يمكن للحكم في مصر ان يبلور هدفا يناضل لتحقيقه شعب مصر والامة العربية، وهو «ايجاد الحقائق الوحدوية في الوطن العربي وبلورة هذا النظام العربي».

كما يبدو ان دور مصر العربي يجب ان يتضمن في طياته انشغالا بالدفاع عن حقوق الانسان العربي في مصر والوطن العربي وتعاونا مع المعتمدين لهذه المهمة في الدول العربية الاخرى. وبقدر ما يبدو هذا الموضوع حساسا في تناوله ومثيرا لردود فعل انظمة الحكم، بقدر ما

تشتد الحاجة اليه في هذه الفترة بعد ان شهد الوطن العربي منذ السبعينات تفاقم ظاهرة انتهاك حقوق الانسان العربي. وواضح ان التعامل مع هذه القضية تعاملا مبدئيا ووفق اسس موضوعية وبأساليب بعيدة عن الهوى يخفف من شدة ردود فعل انظمة الحكم المعنية، ويلزمها بالاقرار بضرورة بحثه.

★ ★ ★

وبعد.. فان القيام بهذا الدور - دور مصر العربي في الثمانينات - الذي وضحت ملامحه يتطلب عنصر القيادة التي تتمثله وتحيط بمجمل الحقائق المتعلقة به، تعبر عنه وتحسن التحرك بين مختلف المؤثرات التي تؤثر عليه. تبلور الافكار التي يقوم عليها وتضع برامج التنفيذ المدروسة، وتتقن العمل.

لا بد ان تقوم هذه القيادة على مؤسسات واجهزة تعمل من خلالها وبها. وان لدى مصر الحد الادنى المطلوب للمباشرة. ولكن اتقان الدور يتطلب تطويرا في عمل هذه المؤسسات والاجهزة.

كما يتطلب اهتماما خاصا بانشاء مراكز بحث عربية تتخصص في شتى المجالات، تكون بمثابة العقل المفكر. وان مما يلفت النظر ان ما هو موجود منها دون الحد الادنى المطلوب.

لنا اذن ان نتوقع ان تشهد بقية الثمانينات قيام بمصر بدور عربي فعال، في نطاق نظام عربي ناضج.

الـولايـات المتحـدة ودولة فلسطين واستتباب السلام العادل

احييكم بتحيتنا «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

واشكـر لمجلس العـلاقـات الخـارجيـة دعـوته الكريمة لي. فقد اتاحت لي فرصة هذا اللقاء وهي عندي فرصة ثمينة لما نعرفه من اهتمام اعضاء هذاالمجلس الموقر بما يدور في عالمنا، وللدور الذي يقومون به في التفـاعـل مع مجريـات الاحداث، ولاني من شعب يؤمن بالحوار سبيلا لتفـاهم بني الانســان، وبـان الله خلق النـاس ليتعـارفـوا فيتـآلفـون ويتكـافلون ويتعـاونـون على الـبر والتقـوى. وقـد كانت رسالة شعب فلسطـين عبر العصـور حمل رسـالات السماء وتبليغ تعاليمها الاخلاقية والدعوة لها بالحكمة والموعظة الحسنة وخدمة المؤمنين الذين يحجون الى اراضيه المقدسة.

ان استشعاري اهمية هذه الفرصة حثني على المحاضرة لاول مرة بالانجليـزيـة التي. ارجو ان تلتمسوا العذر لي ان لم احسن التعبـير، وانـا من الذين يحسون بجمال النطق الانساني، وجمال كل من لغتي العربية ولغتكم الانجليزية.

المـوضـوع الـذي اتحـدث فيـه اليـوم يحاول الاجابة عن مجموعة اسئلة منها كيف نعمل لتحقيق سلام عادل في فلسطين؟ وما هو دور قيام دولة فلسطينية في استتبابه؟ وما هو دور حوار اميركي فلسطيني في تحقيقه؟.

اخترت هذا الموضوع من بين عدة موضوعات برزت امامي، لاني اعتقد ان شعب الولايات المتحدة الاميركية يريد سلاما عادلا في فلسطين وفي العالم اجمع شأنه شأن الشعوب عامة.

وان تحقيق هذا السلام العادل هو هدف نضال شعب فلسطين، وهو في اعتقادنا السبيل الوحيد لتأمين مصالح جميع المعنيين بفلسطين.

ولقد اخترت هذا الموضوع لحديثي وفي اعتباري الدعوة الكريمة التي وجهت الي بصفتي الشخصية، فلسطيني من شعب فلسطين مجال عمله هو تحصيل العلم والمعرفة. وهو لهذه الصفة انتخب مع زملاء له قيادة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وتولى فيها مسؤولية مجلس التربية والثقافة والعلوم، ومسؤولية الحوار العربي الاوروبي. واني ارجو ان اوفق في ان اطرح عليكم بموضوعية وجهة نظر واحد من شعب فلسطين.

اشير ايضا بين يدي حديثي ان اختياري الموضوع اخذ في الاعتبار توقيت هذا اللقاء. فنحن نلتقي في اعقاب سلسلة احداث خطيرة جرت في منطقتنا، وعلى مشارف احداث اخرى ستجري في القريب العاجل، لان نهر الاحداث لا يزال يتدفق بقوة. ومطلوب ان نقف امام ما جرى ونستخلص عبرته لنستفيد منها ونحن نعمل لبلوغ السلام العادل، ونحاول التأثير على مجرى الاحداث القادمة.

لقد شملت سلسلة الاحداث التي جرت منذ اوائل حزيران الماضي فيما شملت اخر غزو اسرائيلي للبنان، ومعارك صور وصيدا والنبطية، ومعركة بيروت الكبرى، وخروج قادة منظمة التحرير الفلسطينية ومقاتليها من بيروت، ومبادرة الرئيس ريجان ومؤتمر القمة العربي بفاس، ومذابح صبرا وشاتيلا. واغلب الظن ان من بين جميع الاحداث الكثيرة الخطيرة التي شهدتها الشهور الستة الماضية سيكون لمذابح صبرا وشاتيلا تأثير خاص على مجرى الاحداث القادمة، وعلى مواقف الاطراف المعنية بالصراع العربي الاسرائيلي، وبخاصة

فيما يتعلق بنظرة شعب فلسطين الى اسرائيل والى السياسة الاميركية والتعهدات الاميركية.

ذلك ان ذكرى المذابح لا تنمحي من الذاكرة الانسانية. ومما يلفت نظر دارس التاريخ انها تكتب في صفحاته باحرف كبيرة بارزة، وان الناس يؤرخون لانفسهم بالاشارة اليها. مثل بارز على ذلك في تاريخ عالمنا المعاصر معسكرات الابادة النازية في داخاو واوشويتز التي راح ضحيتها ملايين المدنيين من يهود اوروبيين واوربيين اخرين. وامثلة اخرى في تاريخنا المذابح التي جرت في المسجد الاقصى بالقدس عند دخول الفرنجة لها، ومذابح بغداد على يد هولاكو المغولي، ومذابح دمشق على يد تيمورلنك التتري، ثم في تاريخنا المعاصر مذابح دير ياسين وقبيه ونحالين وكفر قاسم على ايدي الصهاينة.

وحين نتأمل في سبب هذه الظاهرة نجد انه متصل بما للدم الانساني من حرمة عبرت عنها جميع الرسالات السماوية والشرائع بوصية «لا تقتل»، «وان من قتل نفسا واحدة بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا»، وذلك منذ ان قتل قابيل اخاه هابيل واحس بالندم.

ان المناخ الذي يسود هذه الفترة في منطقتنا ملبد بغيوم سوداء من صنع هذه الاحداث التي جرت وهو مناسب للسير في اتجاهين ـ كما يعلمنا التاريخ ـ اتجاه الحرب واستمرار اسالة الدم الانساني وتغذية المعاناة وصور الضحايا من الاطفال والنساء والشيوخ والشباب وقد قتلوا غدرا وصبرا (بالدم البارد) واتجاه السلام العادل وتغذية الرغبة في انهاء المعاناة ونداءات ارواح اولئك الشهداء وهي تنادي بالحفاظ على الحياة.

نحن عازمون على السير في الاتجاه الاخر وعلى اختيار السلام العادل الذي لا غنى عنه لشعبنا ومنطقتنا. ولا بديل عنه لجميع الشعوب في عالمنا الذي اصبح بفعل ثورة العلم والاتصال عالما واحدا، كل جزء فيه يتبادل التأثير مع الجزء الاخر، والكل مهدد بخطر الفناء باسلحة الدمار الشامل وحريص على تجنب هذا الخطر.

ان عملنا المشترك لتحقيق سلام عادل في فلسطين يقتضي ان نتحاور فالحوار شرط اساسي للتفاهم ومن ثم للتعاون. والحوار يقتضي مصارحة كل طرف الطرف الآخر بافكاره.

اننا نتجه الى الولايات المتحدة والعالم الغربي عموما بحديثنا عن السلام العادل ودعوتنا العمل لتحقيقه، وفي اعتبارنا ان الغرب يتحمل مسؤ ولية خاصة - مباشرة في معظم الاحيان وغير مباشرة احيانا اخرى - في كل ما جرى لشعب فلسطين ووطنه فلسطين، تماما كما تتحمل الولايات المتحدة مسؤ ولية خاصة في تأخير تحقيق السلام العادل في فلسطين والمنطقة منذ عام ١٩٦٧ وفي العمل الدائب لتحقيقه في اسرع وقت ممكن.

ارجو الا يشعر احد من الاميركيين والغربيين بصدمة وبألم بسبب تحميله هذه المسؤ ولية ونحن ندرك مبررات شعوره هذا. وغايتنا من طرح هذه الفكرة هي ان يقرن نظرته الى الامور بنظرة غيره حين يرغب في مواجهتها. ونورد في معرض شرحنا موقفنا وتحميله مسؤ ولية ما حدث ما قاله المؤرخ ارنولد توينبي في مطلع محاضراته عن العالم والغرب التي القاها عام ١٩٦٠ من محطة الاذاعة البريطانية.

«قصدت من اختياري عنوان العالم والغرب لفت النظر الى امرين رئيسيين لفهم الموضوع. الاول هو ان الغرب، حتى في اوج قوته لم يكن الممثل الوحيد على المسرح العالمي، وهذا الاوج ربما يكون قد فات عليه الزمن. الثاني فهو هذا الصراع الدائر بين العالم والغرب منذ اربعمائة سنة او خمسمائة سنة. والعالم هو الذي عرف التجربة الاكثر تعبيرا. وليس الغرب هو الذي تحمل نتائج طفرات العالم، بل العالم هو الذي تحمل طفرات الغرب الرهيبة.

ان الغربي الذي يرغب في مواجهة هذه المشكلة عليه ان يحاول الخروج، فترة من الزمن عن كونه غربيا، فينظر الى الصراع بين العالم والغرب نظرة غير الغربيين الذين يشكلون اكثر البشرية.

ان الشعـوب غير الغـربيـة تختلف في العنصـر والـدين، واللغـة والحضارة ولكنها تتفق جميعها على نقطة واحدة اذا سألها غربي عن رأيها في الغرب فانها تعطيه الجواب نفسه. . ان الغرب كان اكبر مغتصب في العصـور الحـديثـة وكـل شعب من هذه الشعـوب بامكانه ان يستشهد بتجاربه لتبرير هذا القول.

وينتهي توينبي الى القول. «يقول المثل اللاتيني» «عندما يصدر العـالم احكـامـه، يمكننـا التأكـد من انه ستكون له الكلمة الاخيرة». والحكم الـــذي اصـدره العـالم على الغـرب له ما يبرره بالطبـع، على الاقـل بالنسبـة للمـرحلة التي تبـدأ بالقـرن السادس عشر وتنتهي سنة ١٩٤٥. فحتى هذا التاريخ كان الغرب في نظر العالم هو الذي يعتدي دائما.»

لقد تعرض شعبنا لعدوان الغرب المباشر عليه اكثر من مرة وعانى منـذ اواخـر الحـرب العـالمية الاولى من الاستعمار البريطاني الذي التزم بتنفيـذ تصـريـح بلفـور، ومن سيـاسـات غربية ادت الى تحميله اوزار اخطـائهـا هي، ومـا النـازيـة في النهـاية الا سياسة غربية، حتى اذا ما انتهت الحـرب العـالميـة الثـانيـة تحملت الـولايـات المتحـدة الاميركية المسـؤوليـة الاكـبر عن معـانـاة شعب فلسطـين من خلال سياستها في منطقتنا وتجاه قضيتنا.

لا بد من القول هنا ان غالبية شعب فلسطين فوجئت آنذاك بهذه السيـاسـة لانهـا لم تعرف عن الولايات المتحدة نزوعا للاستعمار. ولانها استبشـرت بفكـرة حق تقـريـر المصـير التي تضمنتهـا مبـادىء الرئيس ويلســـون، ورحبت وتجـاوبت مع مهمـة لجنـة كنـج ـ كرين التي زارت فلسطين عام ١٩١٩.

اعتقد انكم تتفقون معي اننا حين نسترجع احداث المنطقة منذ ١٩٦٧ ونتـابـع سيـاسـة الـولايـات المتحدة تجاه انسحاب اسرائيل من الاراضي العـربيـة التي احتلتها في ذلـك العـام تمثـل امـامنا حقيقة ان

الولايات المتحدة تتحمل مسؤ ولية خاصة في تأخر تحقيق السلام العادل في فلسطين والمنطقة. وتتأكد لنا هذه الحقيقة حين نرى كيف تعاملت الولايات المتحدة مع مبادرة الرئيس السادات عام ١٩٧٧، وبخاصة في تلك اللحظات الدقيقة التي سبقت ابرام اتفاقية كامب دافيد انها بدلا من ان ترمي بثقلها لتحقيق السلام العادل القائم على ممارسة حق المصير وانهاء الاحتلال، رمت بثقلها لتضغط على الرئيس السادات كي يقبل ما دون الحد الادنى، فيتعرض للسير في عملية سلام غير عادل تنتهي مضاعفاتها نهاية مأساوية.

ان الولايات المتحدة تتحمل اليوم مسؤ ولية خاصة في العمل الدائب لتحقيق السلام العادل في فلسطين باسرع ما يمكن، لا لتكفر عن مسؤ وليتها الخاصة فيما تحمله شعب فلسطين من معاناة، اوفي تأخير تحقيق السلام العادل فحسب بل لان مصالحها ومصالح جميع الاطراف المعنية تقتضي ذلك، ولان عدم النهوض بهذه المسؤ ولية ستكون له نتائج وخيمة اخرى لان الجو في اعقاب زلزال احداث لبنان صالح للنهوض بها اكثر من اي وقت مضى وهو يغري بالتحرك السريع وطرق الحديد وهو ساخن.

★★★

لقد تهيأ الجو السياسي المحيط بقضية فلسطين واصبح اكثر صلاحا لتحقيق السلام العادل بعد الغزو الاسرائيلي للبنان ومعركة بيروت الكبرى لان الاحداث الاخيرة التي جرت كشفت عن حقائق كان لها اثرها الواضح على المعنيين بالصراع العربي الاسرائيلي، وبخاصة على الولايات المتحدة واسرائيل.

اننا نرقب باهتمام قوي اثر الاحداث على صعيد الولايات المتحدة، ونشير الى ثلاث نتائج هامة لها.

اولها ـ اقرار حكومة الرئيس ريجان والإدارة الاميركية بوضوح بأن

هناك قضية لشعب فلسطين وان هذه القضية هي جوهر الصراع العربي الاسرائيلي، وانه لا بد من الانشغال بمعالجتها. وقد سلم خطاب الرئيس ريجان بهذا كله. واننا نستشعر اهمية ان يحدث ذلك لانه يطرح متغيرا هاما ينبغي ان يكون له ما بعده.

النتيجة الثانية ـ هي تعرف الرأي العام الاميركي على بعض الحقائق المتعلقة بشعب فلسطين وقضيته وبمنظمة التحرير الفلسطينية قائدة نضاله.

واسجل هنا فضل وسائل الاعلام في ذلك، واحيي جميع الاعلاميين الذين اسهموا في نقل احداث لبنان الى الرأي العام الاميركي وبخاصة اولئك الذين عاشوا معنا في بيروت. ولقد قلت بعض الحقائق لان هناك حقائق كثيرة لم توضع بعد امام المواطن الاميركي الذي من حقه ان يعرف كل شيء والذي اكتشف ابان الحرب الاخيرة انه ضلل في امور كثيرة. واننا نعلق اهمية خاصة على معرفة الشعب الاميركي بهذه الحقائق لاننا نثق بحكمته وبقدرته على التعبير عن ارادته والتأثير على حكومته.

النتيجة الثالثة ـ هي حدوث نوع من مراجعة النفس بين قطاع هام من يهود الولايات المتحدة حول موقفهم من السياسة الاسرائيلية العدوانية وموقفهم من سياسة بلادهم الولايات المتحدة الاميركية. وقد عبر بعض هؤلاء قيادات وافرادا عما توصلوا اليه علنا واتخذوا مواقف جديدة نحو شعبنا تنطلق من الاعتراف بأن له حقوقا.

واني اوجه التحية هنا لهم جميعا وانقل لهم مدى تأثر شعبنا بمواقفهم المبدئية بجهرهم بكلمة الحق. اننا نعلق اهمية خاصة على الموقف الذي سيقفه يهود الولايات المتحدة في الايام القادمة لانه يسهم في رسم سياسة بلادهم، ولان له تأثيرا خاصا على سياسة اسرائيل. ولذا فاننا نتطلع الى ان تأخذ ظاهرة «مواجهة النفس» مداها دفاعا عن القيم التي جاءت بها اليهودية، وحفاظا على مصالح اليهود انفسهم اينما كانوا وهذه القيم وتلك المصالح مهددتان على المدى القريب وعلى

المدى البعيد بما يجري. اننا نذكرهم في هذا المجال بدعوة يعقوب تالمون المؤرخ الاسرائيلي المعروف الى «حساب النفس» في دراسته التي حملت هذا الاسم وصدرت في اعقاب حرب ١٩٧٣ وفي رسالته قبيل وفاته مؤخرا الى مناحم بيجن.

اننا نرقب باهتمام قوي اثر الاحداث على صعيد اسرائيل ونشير الى نتائج هامة لها.

النتيجة الاولى: هي صدور صيحة استنكار قوية لمذابح صبرا وشاتيلا عبرت عن استشعار قلق الذين اصدروها القوي من سياسة الابادة والاضطهاد والقمع التي تنتهجها اسرائيل تجاه شعب فلسطين، ومن نتائج هذه السياسة على نفسية الفرد الاسرائيلي وامنه وصورته في العالم. لقد ادرك هؤلاء ان هذه السياسة التي رسمها قادة اسرائيليون صهاينة بنوا مجدهم على قتل النساء والشيوخ والاطفال منذ مذبحة دير ياسين عبورا بمذبحتي قبية ونحالين وحتى مذابح صبرا وشاتيلا التي بلغت المدى الذي نعرفه، لم تثمر الا تأجيج نار الصراع في المنطقة ومن ثم تهديد الامن فيها وتوريط الفرد الاسرائيلي العادي في اقتراف جرائم يستنكرها العالم اجمع.

اننا نعلق اهمية على هذا الادراك، وقد قدرنا موقف كل اسرائيلي شارك في استنكار تدبير مذابح صبرا وشاتيلا، لاننا نريد سلاما عادلا في منطقتنا وفي وطننا يكفل الامن لكل فرد في المنطقة. ولاننا نحزن حين تمس قيم الدين اليهودي باقتراف هذه الجرائم.

النتيجة الثانية: هي استشعار قطاع من الاسرائيليين الذين شاركوا في حرب لبنان خطر سياسة الحرب عليهم بعد ان رأوا باعينهم الخسائر البشرية الكبيرة التي نزلت بهم والتي بلغت ارقاما لم يعرفوها حتى في حرب عام ١٩٧٣.

ولقد تأكد هؤلاء ان سياسة الحرب هذه لم ولن توفر امنا لاسرائيل كما زعم دعاتها حتى ولو اختاروا لحرب الابادة اسم «السلام في الجليل» او اسما اكثر خداعا.

واصبح هذا القطاع من الاسرائيليين اكثر فهما لما دأب ناحوم جولدمان وامثاله من حكماء اليهود على قوله منذ عام ١٩٦٧ وفي اعقاب حرب عام ١٩٧٣ بشأن نبذ سياسة الحرب هذه واقرار الامن بالمنطقة من خلال تحقيق السلام العادل القائم على احقاق حقوق شعب فلسطين. اننا نعلق اهمية على تزايد الادراك بين الاسرائيليين لحقيقة ان سياسة الحرب والتوسع وابادة الفلسطينيين لن تصل بهم الى ضمان امنهم وانما تجعل منهم وقودا للحرب.

النتيجة الثالثة: هي اقدام قطاع من الاسرائيليين على المطالبة بالسلام العادل وخروجهم في مظاهرات تنادي بالسلام وتذكر بان لشعب فلسطين حقوقا وسط الجو المحموم الذي يصنعه دعاة الحرب. ولقد عبرنا نحن عن تقديرنا لهؤلاء لاننا نعلق اهمية خاصة على تنامي تيار السلام هذا ونعمل ما في وسعنا لتشجيعه كي يعم ويكون المستقبل له.

★★★

هل ستشهد الايام القادمة تغيرات في السياسة الاميركية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي، وتجاه قضية فلسطين، وفي اساليب تحركها؟

ان حدوث هذه التغيرات ضرورة ملحة لتحقيق السلام العادل في فلسطين والمنطقة نقول هذا استنادا الى حقيقة ان هذه السياسة كما اثبتت الاحداث ـ لم تحقق النجاح المطلوب، وكانت ـ باخف تعبير ـ سياسة غير ناجحة بالمقياس العملي والمقياس الخلقي. وهذان المقياسان معا هما الاساس الصالح للحكم على اية سياسة.

فلقد فشلت على الصعيد العملي في منع نشوب ثلاثة حروب طاحنة ارهقت المنطقة وهددت امن العالم وسلامته، واضرت بالمصالح الاميركية على المدى القريب والمدى البعيد. ولم يتوقف العنف في المنطقة في فترات ما بين هذه الحروب ولم يهدأ التوتر.

كما تنــاقضت على الصعيــد الخلقي مع ميثـاق الامم المتحـدة وحقـوق الانســان والقيم التي تقـوم عليها الحياة الاميركية، والقيم التي تنادي بها الاديان السماوية.

لا اريـد ان افصـل في الحديث عن خطوط هذه السياسة، فانتم على علم جيد بها، واكتفى بالاشارة الى بعض نتائجها.

لقد اوصلت هذه السياسة الولايات المتحدة الى عدم الاعتراف بحق شعب في تقرير مصيره وهي الدولة التي اعلنت في وثيقة استقلالها يوم الرابع من يوليو عام ١٧٧٦.

«ان النـاس خلقـوا سواسية، وان خالقهم حباهم بحقوق معينة هي جزء من طبائعهم لا يتجزأ، منها «الحياة والحرية والتماس السعادة.»

واوصلت الى رفض الحـوار مع ممثـلي هذا الشعب وسـماع وجهة نظـره فيـما يجري وهي الـدولة التي ذكر رئيسها جفرسن بان حرية الناس تشمل حرية الفكر وحرية الدين وحرية الكلام وحرية تبادل ا لرأي. كما اوصلت الى قتـل المـدنيـين بالاسلحـة المتطورة الاميركية الصنع، والى تمكـين قوة غاشمـة من احتـلال وطن الغير وممارسة ابشع صور الطغيان على شعبـه. وهي الـدولـة التي قال رئيسها جفرسن «حين تقدم لرئاسة الجمهورية عام ١٨٠٠» لقد عاهدت الله ان اكون الى آخر الدهر عدوا للطغيـان في شتى صوره. واوصلت الى انكـار حق الشعب الـذي يقع تحت الاحتــلال في ا لثـورة على المحتـل وهـو حق كفلتـه كل المـواثيق الدولية، وحفلت بالحديث عنه كتابات المفكرين الاميركيين، واوصلت الى عدم احـترام الشـرعيـة الـدوليـة وعـرقلة اعمال المنظمة الدولية من خلال الاستخــدام الجــائــر لحق النقض في مجلس الامن «الفيتــو». واوصلت الى الاخـلال بميـزان القـوى في المنطقـة اخـلالا لم يحدث له مثيــل في تاريخهـا فمكنت دولـة واحـدة بما تقـدمـه لها من سلاح ومـال امـيركي ان تحشـد قوة عسكـريـة هائلة تسخـرهـا في التوسع والعدوان

وفرض الامر الواقع. وعرضت من حيث تدري او لا تدري هذه الدولة لاخطار لا حد لها لمخالفة هذا الوضع طبيعة الامور في المنطقة ولان الامن لا تأتي به القوة الغاشمة.

ان هذه السياسة الاميركية في تعاملها مع قضية فلسطين وشعب فلسطين تذكر بسياسة «القوة السلبية» التي سادت خلال القرن التاسع عشر داخل اوروبا وفي المستعمرات، انها سياسة تقوم على تسخير القوة لتحقيق هدف سلبي، هو كبت تفاعل المتغيرات والابقاء على الاوضاع الراهنة اطول مدة ممكنة، وخنق القوى الجديدة وحركات التحرر التي تعبر عنها، ومنع التقدم. وهي سياسة شعار رموزها «من بعدي الطوفان». ومن اشهر هذه الرموز مترنيخ الذي قال عنه جرانت وتمبرلي في تاريخهما «كانت اهدافه واقعية في بساطة وقوة، وان اخفاها بكثير من الحذق تحت ستار العبارات الرنانة. وقد اعتقد ان اول ما ينبغي عمله بعد ان امسك بزمام القيادة بين يديه هو سحق الروح التحررية.

وكان سبيله لذلك التحكم في الصحافة وارهاب الجماعات وكبت حرية الرأي وامتلاك ادارة بوليسية قوية راح يستخدمها دونما رحمة او هوادة. ولقد هرب مترنيخ اثر اندلاع ثورات ١٨٤٨ في اوروبا، ويقولون بانه صاح «ان الطوفان آت من بعدي» ولقد كان لهروبه مغزى فائقا وجاء ليدل على ان الحقيقة هي حقبة انتصار الثورة، واوجز جرانت وتمبرلي الحكم على هذه السياسة قائلين «كان النظام الذي اقامه مترنيخ جديرا بالاعجاب اذا نظرنا اليه كقوة سلبية. ولكن مثل هذا لا يمكن ان يدوم ابدا. ويسقوط مترنيخ انهار البناء المتعفن الذي نخره السوس من اساسه ليأتي بعده بناء جديد».

هل يمكن لسياسة فشلت في القرن التاسع عشر ان تنجح في القرن العشرين عصر التحرير؟

اليس لنا ان نصدر مثل هذا الحكم على امثال مترنيخ في السياسة الدولية اليوم وعلى النظام الذي يسبب الحروب في منطقتنا،

ونعمل معا لاقامة البناء الجديد؟

ان عزمنا على اقامة البناء الجديد سيشتد ويقوى حين نرى حقائق وضع البناء الراهن كما تبدو من خلال سياسة اسرائيل تجاه شعب فلسطين التي تقوم على انكار كامل لكل حقوق هذا الشعب بما فيه حقه في الحياة وتود لو تتمكن من انكار وجوده كلية.

ان جزءا من هذا الشعب يحمل الهوية الاسرائيلية رغما عنه ولا ينال افراده الحقوق التي تترتب على حمل هذه الهوية، حقوق المواطنة. لقد بلغ عدد اخوتنا هؤلاء في الجليل والمثلث والنقب حوالي ستمائة الف ويوجز كاتب اسرائيلي الحديث عن اوضاعهم في كتاب اقرأه فيقول «الوف هارئوبين في كتابه «ضرورة الاختيار» يرتفع عدد العرب في اسرائيل باطراد ومن المتوقع ان يصل سنة ٢٠٠٠ الى اكثر من مليون نسمة مقابل ٤،٥ ملايين يهودي. انهم يشكلون الآن ١٦٪ من مجموع السكان و ٧٠٪ منهم ولدوا اسرائيليين ومع ذلك فان لهم في الكنيست سبعة اعضاء اي اقل من ٦٪ من اعضاء الكنيست وليس هناك منهم اي وزير او نائب وزير عربي. ولا مدير عام او قاض او استاذ جامعي ولا يحتل عربي اي منصب مرموق في الدولة، ولا يسمح لهم بالعمل في جهاز الامن الذي يقوم بتشغيل ٢٥٪ من مجموع الايدي العاملة في اسرائيل. كما لا يسمح لهم عادة العمل في مؤسسات اسرائيلية او في احتلال مناصب ادارية في المصانع وبالتأكيد ليس في المناصب الادارية الرفيعة. لقد تضمنت سياسة اسرائيل تجاه هؤلاء الفلسطينيين مصادرة اراضيهم وقصة يوم الارض مشهورة بينهم الذي نحيي ذكراه يوم ٣٠ مارس من كل عام.

كما تضمنت ممارسة التفرقة العنصرية عليهم، ووثيقة كوينج الشهيرة تكشف الى اي مدى يمكن ان تذهب الافكار العنصرية بالسلطة.

ما نتائج هذا الوضع على الصعيد العملي؟ وكيف ننظر اليه على

الصعيد الخلقي؟ جزء آخر من شعب فلسطين يعيش في الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ عام ١٩٦٧ . ويبلغ عدد هؤلاء حوالي ثلاثة ارباع المليون في الضفة وحوالي نصف مليون في القطاع . وعلى هؤلاء تمارس سلطات الاحتلال فنونا من القمع والعسف والاضطهاد تسمعون ببعضها ولا تسمعون بالبعض الآخر. والقائمة تضم مصادرة الاراضي وسرقة المياه والعقاب الجماعي والاعتقال التعسفي والابعاد القصري . كما تضم فرض اربع وعشرين نوعا من الضريبة، واذلال الانسان في حله وترحاله . وتشير آخر التقارير التي وصلت الينا من اهلنا هذا الاسبوع الى ان تطبيق هذه السياسة اخذ في الشهور الخمسة الماضية صورا بالغة الشدة والقسوة.

ولقد كنت استمع الى احاديث بعض الاساتذة الجامعيين المبعدين من جامعات الوطن المحتل في اجتماع عقده مجلس التربية والثقافة والعلوم قبل ايام عن اوضاع شعبنا فاشعر بالمرارة الشديدة وادرك تصور المدى الذي يمكن للسياسة العنصرية ان تصله . ان سياسة اسرائيل تجاه هذا الجزء من شعبنا هي فرض الاحتلال عليه وممارسة السيادة على اراضيه وانكار حقوقه وتحويل افراده الى اجراء.

ما نتائج هذا الوضع على الصعيد العملي؟ وكيف ننظر اليه على الصعيد الخلقي؟

ما نتائجه على شعب فلسطين الذي هو من اقدم شعوب المنطقة؟

ما نتائجه على الاسرائيليين انفسهم وعلى اليهود في العالم الذين يساعدونهم؟

الجزء الباقي من شعب فلسطين يعيش خارج وطنه مشردا في اماكن تجمعه المختلفة في البلاد العربية المجاورة لوطنه وفي مختلف القارات . ويبلغ عدد هؤلاء حوالي مليونين وربع وجميعهم متمسك بهويته الفلسطينية ومحروم من ممارستها . وسياسة اسرائيل تجاههم تقوم

على انكار هويتهم وحقوقهم في العودة الى وطنهم وتقرير مصيرهم والانتماء الى دولتهم وهي تعمد الى ابادة من استطاعت منهم والى انزال الضربات بالباقين او قمعهم منكرة عليهم حق مقاومة الاحتلال والنضال من اجل استعادة حقوقهم.

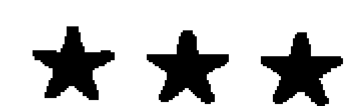
ما نتائج هذا الوضع على الصعيد العملي؟ وكيف ننظر اليه على الصعيد الخلقي وماذا نسمي هذه السياسة؟

لقد وصفها سياسي بارز في عالمنا مؤخرا هو المستشار كرايسكي بانها سياسة حكومة شبه فاشية لاسباب اربعة اولها انها تقوم على التفرقة العنصرية، وثانيها انها تقوم على الايمان بالحرب، وثالثها انها تقوم على تجاهل حقوق الانسان، ورابعها انها تقوم على اسس جماهيرية.

لنا ان نتصور نتائج هذه السياسة الاسرائيلية على المنطقة وبخاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار الاطماع الاسرائيلية في الدول العربية المجاورة لفلسطين لبنان وسوريا والاردن ومصر، ولا يتسع الحديث عنها هنا، ولكن ترمز لها سياستها تجاه جنوب لبنان والليطاني، وضمها الجولان، وحديثها عن الاردن كوطن بديل للفلسطينيين وموقفها في طابا بعد معاهدة السلام الاسرائيلية المصرية.

اليس لنا الحق ان نقطع بأن هذا البناء الراهن معرض للانهيار؟ أليس لنا الحق ان نصدر حكمنا على هذا النظام الذي تقيمه اسرائيل وتدعمه الولايات المتحدة بأنه نظام متعفن مخالف للقيم؟

اليس لشعب فلسطين الحق ان يقاوم هذه السياسة الاسرائيلية، ويتابع نضاله لاقامة البناء الجديد؟



ان شعب فلسطين يعتقد اعتقادا راسخا بان مقاومة هذه السياسة الاسرائيلية ليست حقا له فحسب بل هي ايضا واجب عليه.

فليس بحي الانسان الذي يرضخ للظلم ويسكت عن الطغيان وليس جديرا بالحياة. وشعبنا يفيض بالحياة ويحب الحياة جذور انسانه ممتدة في اعماق وطنه وتعود الى فجر التاريخ الانساني.

شيد الحضارات وقاوم الغزاة وشارك في المعارك الفاصلة على ارضه، واكتسب من ذلك كله قدرة هائلة على التكيف وعلى الاستجابة الصحيحة لتحديات النكبات.

لقد استجاب شعب فلسطين لنكبة عام ١٩٤٨ ولتحديات هذه السياسة الاسرائيلية بالعمل الدائب والنضال المستمر في مختلف المجالات.

قاوم الجوع واقبل على العلم والمعرفة فحقق اعلى نسبة تعليم في المنطقة واسهم في تقدمها. قاوم محو هويته الحضارية والثقافية واقام كيانا له متمثلا في منظمة التحرير الفلسطينية الارض الرمزية التي يقف عليها كل فلسطيني ويلتقي فيها باخيه. قاوم الاضطهاد والعسف وفجر ثورته التي مثلت حياة له في شتى مجالات الحياة.

وهكذا بنى في منظمة التحرير الفلسطينية مؤسساته السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعسكرية. واختار الحرية في كل مجال فصنع تجربة ديموقراطية يعتز بها. واحتلت منظمة التحرير الفلسطينية مكانها بين الدول العربية وفي الامم المتحدة كممثل لشعب فلسطين، واسهمت بواجباتها في الجامعة العربية ومجموعة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الاسلامي والامم المتحدة.

وتابع شعب فلسطين بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية نضاله ليستعيد حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف كما اقرتها الشرعية الدولية التي التزم بها.

وطبيعي ان يتابع شعب فلسطين بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية نضاله بعد هذه الحرب الاخيرة التي خرج منها اشد صلابة واقوى تصميما. ولقد زادته هذه الحرب قناعة بضرورة مضاعفة نضاله

ليقوم السلام العادل على ارض فلسطين وليقوم البناء الجديد في المنطقة. وواضح اليوم لجميع المعنيين في الصراع الدائر في المنطقة ان الهدف الاسرائيلي بتدمير هياكل البنية الاساسية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد انتهى الى فشل ذريع، لان المؤسسات في منظمة التحرير الفلسطينية باقية وتعمل بكفاءة عالية. كما هو واضح اليوم مدى شجاعة المناضل الفلسطيني وتصميمه على استرجاع حقه.

لقد كان شعب فلسطين يتألم ويغضب وهو يتابع موقف حكومة الولايات المتحدة وغالبية الشعب الاميركي من نضاله ومن ممثله الشرعي. وكان البعض منه يحاول فهم اسباب هذا الموقف ويتذكر ما كتبه كرين برنتون في مقدمة كتابه «تشريح الثورة» حول تحسس الاميركي اليوم من كلمة ثورة وهو الذي قام بثورة قبل قرنين. كما يتذكر ما يقال عن الاعلام الاميركي والمؤثرات عليه وعن قوى الضغط السياسية التي تسهم في صنع السياسة الاميركية. وينتهي من ذلك كله الى توقع ان يراجع اولئك الذين اسهموا في حجب الحقائق عن الشعب الاميركي فيما يخص قضية فلسطين انفسهم بعد ان كشفت الاحداث حقائق كثيرة.

لقد ادركت غالبية شعوب العالم وحكوماته نضال شعب فلسطين على حقيقته ففهمت مبرراته، واعجبت به، وقدرته، وتجاوبت معه، وتسامحت مع هفوات حدثت فيه وسط ظروف قاهرة، وعلقت آمالا عليه في تحقيق السلام العادل في المنطقة، وفي الاسهام في اقامة الامن والسلام في العالم. كان هناك استثناء وحيد هو الولايات المتحدة الاميركية التي شاركت اقلية ضئيلة جدا منها هذه الغالبية من شعوب العالم وحكوماته في موقفها من نضال الشعب الفلسطيني. ونحن نحيي هذه المجموعة الرائدة التي كان من بينها يهود اميركيون منصفون شجعان. اما اكثرية شعب الولايات المتحدة فقد بقيت وحدها بين شعوب العالم حتى حرب لبنان اسيرة مقولات غير صحيحة عن شعب

فلسطين ونضاله شوهت صورته وظلمته ظلما شديدا. مقولات اعتبرت الثورة ضد الظلم ارهابا ومقاومة الاحتلال عنفا، وبررت سياسات القمع والاضطهاد والتوسع والضم. وتبنت الحكومة الاميركية في اكثر الاحيان هذه المقولات وبنت مواقفها من شعب فلسطين وقضيته على اساسها. وجاءت الحرب الاخيرة التي يسميها البعض بحق الحرب الفلسطينية الاسرائيلية لتكون لها آثارها على الموقفين الرسمي والشعبي في الولايات المتحدة كما اوضحنا.

الم يئن الاوان ان تتعامل الولايات المتحدة مع قضية فلسطين بسياسة القوة الايجابية التي تتعامل مع الواقع وتتيح لقوى التحرير ان تعبر عن نفسها.

الم يئن الاوان ان تحاور الولايات المتحدة منظمة التحرير الفلسطينية وتعترف بحقوق شعب فلسطين لتتعرف على وجهة النظر الفلسطينية في اقامة السلام العادل واقامة البناء الجديد في المنطقة؟

★★★

ان عزمنا على اقامة البناء الجديد سيشتد ويقوى حين نرى الاسس المتينة التي سنقيمه عليها، والمبادىء الانسانية التي ستحكمه، والصورة الجميلة التي سيكون عليها حين يكتمل.

نريده ان يقوم على الشرعية الدولية كما اقرها ميثاق الامم المتحدة وقراراتها. وهذا يعني احقاق الحقوق الوطنية لشعب فلسطين وانهاء حالة الحرب بين جميع دول المنطقة واقامة السلام العادل.

نريده ان يقوم على تنمية المنطقة بوقف سباق التسليح فيها وتحويل الاموال التي تنفق على تخزين السلاح للصرف منها على مشاريع التنمية.

نريده ان يقوم على المصالح المشتركة بين دول المنطقة بعضها ببعض وبينها وبين دول العالم.

ان اسهام شعب فلسطين في هذا البناء الجديد سيكون من خلال قيام دولة فلسطين المستقلة التي ستكون عاملا اساسيا في استتباب السلام في المنطقة.

ان قيام هذه الدولة سيأتي تطبيقا لقرار اتخذته الامم المتحدة قبل خمس وثلاثين سنة ولقرارات اخرى تلت. وهي ستقوم على جزء من اراضي فلسطين.

ان قيام هذه الدولة سيعالج مشكلة الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة. كما سيساعد على معالجة مشكلة الفلسطينيين في اماكن التجمع الاخرى خارج فلسطين بتوفير الهوية الفلسطينية لهم وبتلبية حاجتهم الانسانية الملحة للانتماء الى وطن. وسيفسح المجال ايضا لايجاد حلول انسانية لمشكلات الفلسطينيين القاطنين في الجليل والمثلث والنقب.

ان قيام هذه الدولة سيساعد عربيا على ايجاد نظام عربي مستقر اكثر نضجا. بل ان قيام هذه الدولة سيفتح الباب على مصراعيه لاقامة علاقات صحيحة بين الفلسطينيين واليهود ومن ثم بين العرب واليهود. علاقات اساسها التعايش والمصلحة المشتركة في السلام.

كذلك فان قيام هذه الدولة سيسهم في ابعاد التوتر عن المنطقة، وازاحة خطر الاستقطاب الدولي فيها، ونزع فتيل حرب عالمية ثالثة قد تنشب منها ان لم يقم السلام العادل.

لقد بلور شعب فلسطين من خلال مؤسساته مواقفه من جميع هذه القضايا. واتخذ مجلسه الوطني قراراته بشأنها لتسير عليها منظمة التحرير الفلسطينية. ولقد تضمنت هذه القرارات بوضوح تمسكا بالسلام العادل ودعت جميع اليهود الاسرائيليين للعيش مع العرب الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين ويهود بسلام.

وانني اشير هنا الى يهود فلسطينيين عرب لاننا نعتز باخوة لنا عاشوا معنا عبر مختلف حقب التاريخ واسهموا في حضارتنا وميثاقنا ينص في مادته السادسة على انهم جزء من شعب فلسطين.

كذلك تضمنت القرارات حرص شعب فلسطين على ان يكون جسرا واصلا بين اشقائه العرب يتعاون معهم ويسهم في العمل العربي المشترك ولا يتدخل في الشؤون الداخلية لاية دولة عربية. وتضمنت القرارات حرص شعب فلسطين على عدم الانحياز في السياسة الدولية تعبيرا عن ذاتيته وادراكا لمتطلبات امن العالم وسلامته.

لنا ان نتصور على ضوء ذلك دولة فلسطينية ينتمي اليها الفلسطينيون في كل مكان تقيم افضل العلاقات مع جيرانها وبخاصة الاردن ومع دول العالم. وتمكن شعب فلسطين من متابعة دوره التاريخي في خدمة المقدسات والمؤمنين وتبليغ الرسالة السماوية التي جاءت بها الاديان السماوية.

لقد اختار شعب فلسطين بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية السلام العادل فهل آن الاوان للولايات المتحدة الاميركية ان تختار السلام العادل؟

وهل آن الاوان ليهود الولايات المتحدة الاميركية ان يسهموا بدورهم في دفع الاسرائيليين لاختيار السلام العادل؟.

ان اختيار الولايات المتحدة السلام العادل مرتبط بمجموعة امور اولها ان تقتنع بان السلام في منطقة الشرق الاوسط هو لصالحها، وان حالة الحرب او حالة اللاحرب واللاسلم هي في غير صالحها على المدى البعيد.

ثانيا ان تقتنع بأن السبيل الصحيح لدفع اية اخطار عن المنطقة هو قوتها الذاتية. وجميع السبل الاخرى لا توصل.

ثالثا ان تقتنع بأن فكرة عدم الانحياز ضرورة لسلام عالمنا وامنه بل انها ضرورة لامن الولايات المتحدة نفسها وبقية القوى في عالمنا. وان تدرك ان هذه الفكرة هي تعبير عن حاجة دول العالم الثالث المستقلة حديثا الى ان تكون لهم ذاتيتهم المستقلة التي تمكنهم من التعامل مع القوى الاخرى تعامل الانداد.

رابعـا ان تقتنـع بان السـلام المفـروض لا يمكن ان يستمـر وان التطبيع بالاكراه مخالف لطبيعة الامور.

خامسـا ان تقتنـع بان اتخام دولة بالسلاح لا بد وان يشجع على انتهاجها سياسة الحرب والتوسع .

سادسا ان تقتنع بان استمرار الاحتلال وسياسة القوة السلبية لا تورث الا الشرور وتزيد الاوضاع تعقيدا .

★★★

ان الاحداث التي شهدتها منطقتنا خلال الشهور الستة الاخيرة تسـاعـد على بلورة هذه القناعات . ولذا فان علينا ان نكثف الجهود في اتجاه اختيار السلام العادل وفي البحث في كيفية تحقيقه .

نحن نعتقد ان اسس السلام العادل باتت واضحة وهي تقتضي الاعـتراف الصـريـح بالحقـوق الوطنية لشعب فلسطين . كما نعتقد ان السـلام العـادل لا يتم الا بمشـاركـة شعب فلسطـين . وهـذا يعني ان تشـترك منظمـة التحـريـر الفلسطينية ممثله الشرعي في عملية السلام . ونعتقـد ان الـولايـات المتحـدة الامـيركيـة بحكم عدة عوامـل تتحمل مسـؤوليـة في انجـاز عمليـة السلام . وهذا يقتضي منها ان تكون على علاقة طبيعية بكل الاطراف ومنهم منظمة التحرير الفلسطينية . ونعتقد ان للامم المتحـدة دورا في احتضـان عمليـة السـلام وتـوفير الضمانات اللازمة لها .

لقـد عبرنـا عن اعتقـادنـا هذا عمليا فلسطينيين وعربا في اتخاذنا قرارا في قمة فاس تضمن هذه الاسس اسميناه مشروع السلام العربي . .

لا بد من المصـارحـة ان قيـام الولايات المتحدة بدورها في عملية السـلام يقتضي منهـا ان تمسـح ما علق بها بسبب سيـاستهـا تجاه قضية فلسطـين من حقيقـة التحيـز لطـرف في الصراع . وسبيلها الى ذلك ان تلتـزم بما قالـه جورج واشنطن في خطبـة الـوداع . «ليس هنـاك ما يجب

الابتعـاد عنـه اكثـر من الابتعـاد عن الحقد الشديد والدائم على بعض الـدول او المحبـة والصلة المتينـة جدا نحـو غيرهـا لا بل يجب احـلال العلاقات العادلة والطيبة نحو جميع الدول على حد سواء .

فالامة التي تنغمس في حقد مفرط او محبة مفرطة نحو امّة اخرى تصبـح عبـده لها الى درجـة ما . فهي عبـدة الى محبتها او الى عداوتها . «وكلتا الحالتين ستقودانها بالتالي الى الابتعاد عن واجبها نحو نفسها وعن مصـالحهـا» . وفي تراثنـا قول شبيـه بهذا القـول . كما يقتضي منها ايضا تصحيح خطأ كبير حدث مؤخرا .

لقـد تفـاوضت الولايات المتحدة مع منظمة التحرير الفلسطينية تفـاوضـا غير مبـاشـر عبر الحكـومـة اللبنـانية في الصيف الماضي . وتم التوصل الى اتفاق محدد يلزم الطرفين . وحين وفت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بكل التزاماتها فوجئت بأن الولايات المتحدة لم تستطع الوفاء بتعهداتها الصريحة المكتوبة ، حين خرقت اسرائيل الاتفاق في ثلاثة مواضع .

كانت المادة الثانية في الاتفاق تنص على وقف اطلاق النار وعدم دخول بيروت الغربية فاحتلت اسرائيل بيروت الغربية .

وكـانت المـادة الـرابعـة في الاتفـاق تنص على ضمان سلامـة المخيـمات الفلسطينيـة فقـامت اسرائيل بتدبير مذبحتي صبرا وشاتيلا .

وكـانت المـادة السـادسـة في الاتفاق تنص على حماية المدنيين في منطقة بيروت ككـل ، فقـامت اسـرائيل اثناء احتلالها بيروت الغربية باعتقال الالاف منهم وخـربت مكـاتب منظمة التحرير الفلسطينية ونهبت مركز الابحاث الفلسطيني .

ان من حق منظمة التحرير الفلسطينية على الولايات المتحدة ان تطـالبهـا بتقـديـر الضـرر المادي والمعنوي الذي اصاب شعب فلسطين وقيـادتـه بسبب هذا الخـرق . وان تطالبها باتخاذ موقف عملي تجاه شعب فلسطـين يخفف عليـه بعض ما اصـابه . ولما كان ما اصابه لا يقدر ماديا

فان التعـويض الممكن هو التـزام حكـومـة الـولايـات المتحـدة بالعمل لاحقاق حقوق شعب فلسطين التزاما مكتوبا يسلم لمنظمة التحرير الفلسطينية .

لنا ان نقول في ختام هذا الحديث ان السلام العادل في فلسطين ممكن التحقيق وانـه يقتضي من الـولايـات المتحدة امرين، الاول: ان تحزم ارادتها فورا وتحاور منظمة التحرير الفلسطينية لان كل الحجج التي سيقت للحيلولـة دون هذا الحـوار سقطت سواء فيـما يخص تفسير القيد الكيسنجـري الشهـير عام ١٩٧٥ او فيـما يخص مواقف المنظمة، ولان مصداقيتها كدولة كبيرة تلتزم بتعهداتها تقتضي ذلك.

الامر الثاني: ان تسعى بكل طاقتها لاتمام انسحاب اسرائيل من الاراضي العـــربيـــة المحتلة ١٩٦٧ باقصـر وقت ممكن لان الاحـداث اثبتت عدم سلامـة اجـراء التفاوض في ظل الاحتلال. ويمكن لجهات دوليـة ان تحل محل قوات الاحتـلال في الفـترة الانتقـالية التي يمارس بها شعب فلسطين حقه في تقرير المصير.

في تراثنا الكنعاني القديم كان اجدادنا يرددون ملحمة «بعل» رمز الخصب الـــذي كان رقيق القلب يحب الســـلام ويكـره الحـرب، يأمـر بالابتعـــاد عن الســلاح وبتعميم المحبـة على الارض ومن ابيـات هذه الملحمة وبعل يخاطب اخته:

الحرب على الارض مخالفة لمشيئتي
بلقاح المحبة لقحي التراب
اسكبي السلام في كبد الارض
والعسل في قلب الحقول
ابعدي عنك عصاك وسلاحك
تعالي الي ولتسرع خطاك نحوي

ويحدث ان يعمل «موت» رمز القحط على قتل بعل ولكن بعلا يعود الى الحياة مرة اخرى.

واذا بالسماء تقطر سمنا

والاودية تسيل عسلا

وتصرخ الخلائق ان بعلا حي

حين ادركت ان سيد الارض قد عاد الى وجه الارض ان قيام دولة فلسطين هي عودة بعل الى الحياة.

ان انظار العالم اليوم تتجه الى الولايات المتحدة والى اليهود الاميركيين تنتظر وتترقب قيامهم بمسؤوليتهم في احلال السلام العادلة قبل ان تدخل النطقة اطول حرب اخرى يتحملون مسؤولية نشوبها

وهي تتطلع الى اليوم الذي سيشهد قيام الدولة الفلسطينية دولة غصن الزيتون المرفوع ليسود السلام في ارض السلام وترتفع التهليلات والتكبيرات لله الذي خلق الانسان ومن عليه بالحياة.

«هو الله الملك القدوس السلام»

«باركي يا نفسي الرب»

وسيصدر التاريخ حكمه.

الفهرست

كتب للمؤلف

كتب تاريخية :

كتب سياسية فكرية ادبية :

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

(١٩٨٣/٣/١٤١)

شركة الشرق الأوسط للطباعة
عمان — ماركا الشمالية
تلفون ٩٤٩٤٠ — ٩٤٩٤١

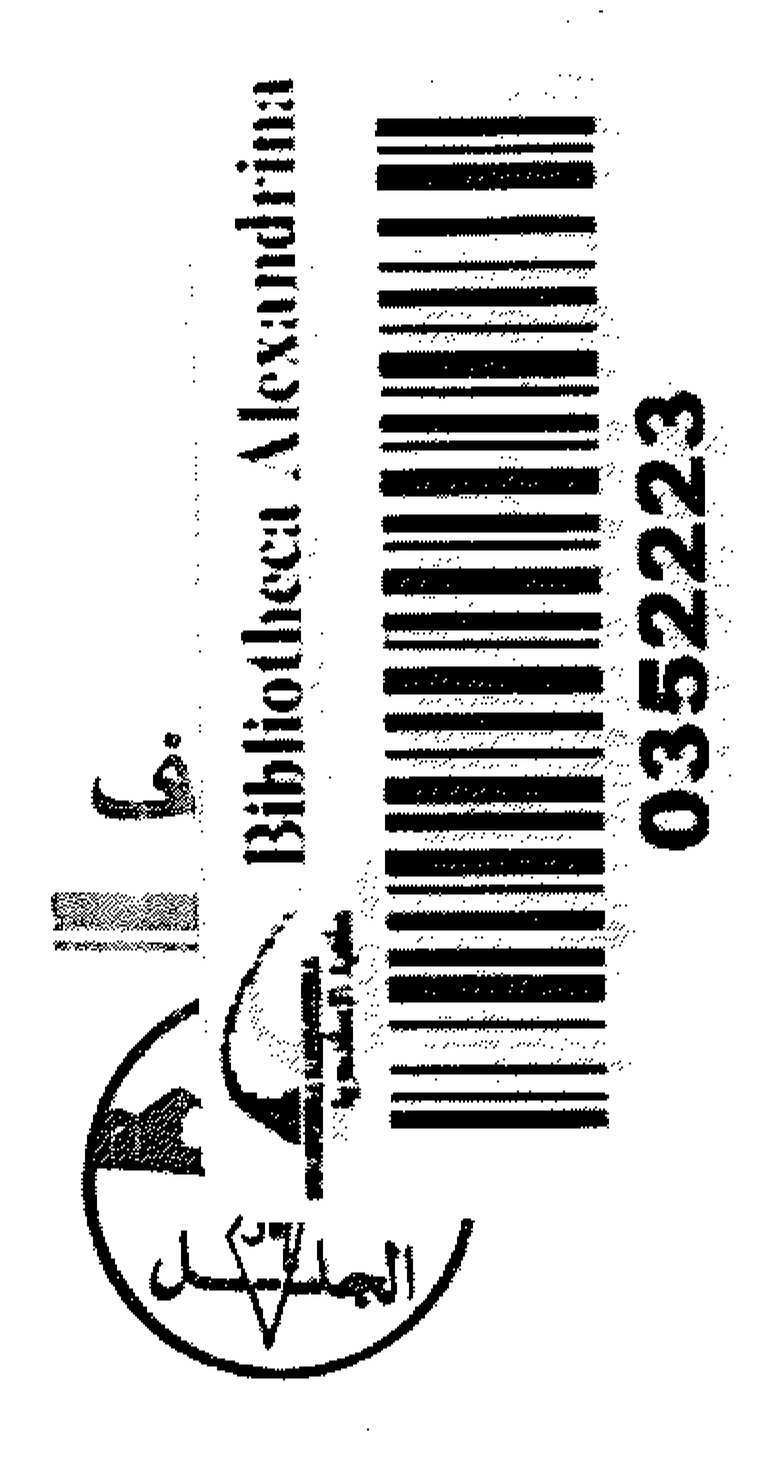


هذا الكتاب

● «يضم هذا الكتاب بين دفتيه اربع دراسات مستقبلية كتبتها بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٢م. وقد وافق بدء عقد الثمانينات من القرن العشرين الميلادي، بداية قرن هجري جديد هو القرن الخامس عشر الهجري، فأوحت هذه المناسبة الزمنية بوقفة يتم فيها استشراق افاق المستقبل، وهكذا تردد الحديث عن رؤى في الثمانينات. وانشغلت بكتابة هذه الدراسات مستجيبا لدعوات كريمة وجهتها لي مراكز علمية احترمها واقدرها.»

● «ان الحاجة الى استشراق افاق المستقبل واستشفاف كنه ما سيأتي، هي حاجة انسانية تشتد في فترات معينه، وهي تلح في طرح سؤال ماذا بعد؟ وتفرض محاولة الاجابة عليه».

● «أهديت الكتاب الى اولادي، وهم يشملون طلابي، وابنائي، ومريدين شبابا، اتاحوا لي فرصة تواصل الاجيال من خلال الصحبة والحوار رمزا لجيل شبابنا الذين على اكتافهم تقع مسؤولية صنع مستقبلنا».



دار الجليل للنشر - عمان
ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧
تلكس ٢٣٠٣١